ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية
وأثره في التنمية الاقتصادية
مع عرض للتجربة الأخـلاقية اليابانية

تأليف

أ/ أحمد خيري علي فدار

ماجستير في الاقتصاد الإسلامي

أصل هذا البحث

رسالة ماجستير قدمت إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية شعبة الاقتصاد، ونوقشت في شهر رمضان سنة 1440هـ الموافق شهر يونيو 2019م، وقد تكونت لجنة المناقشة، والحكم على الرسالة من:

1- فضيلة الأستاذ الدكتور/ عـــادل حميد يعقـــوب أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة/ جامعة الأزهر، ومستشار جامعة الملك خالـد بالمملكة العربية السعودية (مشرفًا).

2- فضيلة الأستاذ الدكتور/محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق/ جامعة القاهرة (عضوا).

3- فضيلة الأستاذ الدكتور/رفعت السيد العوضي أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة/ جامعة الأزهر (عضوا ورئيسا).

إهداء
إلى الأمة الإسلامية

قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]

ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية
وأثره في التنمية الاقتصادية
مع عرض للتجربة الأخـلاقية اليابانية

تأليف
أ/ أحمد خيري علي فدار
ماجستير في الاقتصاد الإسلامي

توطئة

إن الأمة الإسلامية في سابق عهدها لم تتقدم في جميع مجالات الحياة إلا بالأخلاق، فبعض أجزاء أوروبا مثل صقلية فُتحت بفضل التجارة وقنوات الاتصال الثقافية والدينية.

بل لو نظرنا إلى بعض الدول غير المسلمة كاليابان مثلًا لما حرصت على ترسيخ خلُق الإتقان وغيره من الأخلاق أصبحت في مقدمة الدول، وذلك مع ندرة مواردها الاقتصادية، ونحن معشر المسلمين نمتلك وفرة في الموارد الاقتصادية، ومع ذلك لم نحظ بأي تقدم اقتصادي مشهود خلال قرون طويلة ماضية تعيش فيها الأمة الإسلامية فجوة حقيقية بين تطبيق منهجية الاقتصاد الإسلامي، وبين الواقع الفعلي للمعاملات الاقتصادية في مجتمعاتنا المعاصرة.

ومن هنا نشعر بالاحتياج الشديد إلى ترسيخ القيم الأخلاقية لتهيئة مجتمع يتقبل تطبيق اقتصاد إسلامي، وذلك في مناهجنا التعليمية عامة، ومناهج التنمية الاقتصادية خاصة على أوسع نطاق، فأحسب أن في هذا الخلاص من السلبيات الرديئة في عاداتنا الاقتصادية، وهو السبيل للتقدم الاقتصادي.

ومن ثم جاء هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم مُسلِّطًا الضوء على دور القيم الأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي، متعرضًا للأخلاقيات والقيم كمفهوم، ومبينًا أنواع الأخلاق الحسنة التي جاءت في القرآن والسنة وكذلك الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة، والتي ترتب عليها غياب الأمة الإسلامية عن المنافسة الاقتصادية العالمية، وغياب خلُق التعاون وتشتت أفراد المجتمع الواحد وضياع قُوَّتِه.

هذا مع الإشارة إلى التجربة الأخلاقية الاقتصادية اليابانية، التي جعلت المجتمع الياباني مجتمعًا اقتصاديًّا قويًّا يُشار إليه بالبنان، وإن كانت هذه النهضة في جوهرها نهضة علمانية، اعتمدت على استيراد المناهج والنظم الغربية المبنية على العلم والتقنية، إلا أنها قد استفادت من التعاليم الإسلامية بشكل غير مباشر من خلال احتكاكها بأوروبا والغرب الذين كانت نهضتهم مما فعله المسلمون الأوائل وخاصة في بلاد الأندلس.

وكتبه

أ/ أحمد خيري علي فدار

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك، تباركتَ وتعاليتَ، يا ذا الجلال والإكرام.

لك الحمد الدائم السرمدي، حمدًا لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد، كما ينبغي لك أن تُحمد، وكما أنت له أهل، وكما هو لك علينا حق.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية هي أمة أخلاق، ونود أن نقول: إنها لا يمكن أن تَسُودَ إلا بالأخلاق بجانب المنافسة في العلوم التقنية، ولكن الواقع أن الأمة بعُدت كثيرًا عن أخلاقها، وهذا إما بسبب التأثر بالاحتلال الأجنبي، وإما بأثر الإعلام الفاسد، وإما بسبب التقصير في ترسيخ القيم الأخلاقية في النفوس، وإما بكل هذه العوامل مجتمعة.

ومن المستقرّ والثابت عندنا جميعًا أن الأمة الإسلامية في سابق عهدها لم تتقدم في جميع مجالات الحياة إلا بالأخلاق، فبعض أوروبا -مثل صقلية وشبه جزيرة القرم- ما فُتح للإسلام إلا بأخلاق التجار المسلمين، وتعاملاتهم الخُلُقية الحسنة، وما تقدم شعب، وازدهر اقتصاديًّا إلا بترسيخ الأخلاق الحميدة بين أفراد مجتمعه، ولا سبيل لأي تنمية اقتصادية مهما بُذلت الجهود إلا بالعودة إلى النبع الصافي (القرآن والسنة الصحيحة)؛ بل إن ترسيخ القيم الأخلاقية في كل العلوم -ومنها علم الاقتصاد- هو السبيل الوحيد نحو النمو والتقدم في كافة مجالات الحياة، والواقع يؤكد هذا؛ إذ إن بعض الدول غير المسلمة -كاليابان على سبيل المثال- لما تمسكت بروح هذه القيم الأخلاقية، وحولتها إلى أيديولجيات ومناهج عصرية وترجمتها إلى سلوكيات مطبقة في الحياة العملية، وجعلتها أسلوبًا للحياة الاقتصادية، استطاعت الوصول إلى ما ينبغي أن نصل نحن إليه.

وهذا ما أشار إليه وأكد عليه فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قولِه: لا تغرَّنكم دندنة الرجل في صلاتِه، انظُروا إليه في دينارِه ودرهمِه.

ويقصد الفاروق أن العبرة ليست بصلاةِ المرء وقراءتِه للقرآن، بل العبرة بما يترجمه في حياتِه من تعاملات مالية، أو اقتصادية، أو خلُقية، أو ردود أفعال تدلُّ على ما نريد أن نشير إليه، وهو روح القيم الأخلاقية، هذه الروح التي أخذها كثير من الدول العظمى في معنى، وقيمة العمل، والإنتاج، والازدهار والتعامل في السوق، وتركناها

نحن، ولا نقول: إن هذه الدول أفضل منا خُلُقًا مع الله تعالى، ولكن هم الأفضل في التطبيق على أرض الواقع اقتصاديًّا.

إذًا استطاع المسلمون الأوائل نشر الإسلام من خلال التجارة، وذلك بالتعامل الذي كان مدعومًا بالقيم الأخلاقية الرفيعة، كالإتقان، والصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والسماحة، والحرص على الآخرين, وهذه هي القيم التي تتعامل بها الدول غير المسلمة، ولو ظاهريًّا ودرسوها في مناهجهم، وطبقوها في حياتهم الاقتصادية إلى حد كبير، فكانت النتيجة أن أصبحوا في مقدمة الركب وتخلفنا نحن في المؤخرة.

وسعيًا للإصلاح والتغيير ونصيحةً للأمة الإسلامية أقدِّم هذا الكتاب الذي سمَّيتُه «ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية وأثره في التنمية الاقتصادية مع عرض للتجربة الأخلاقية اليابانية»، وهو يحوي مبحثًا تمهيديًّا وأربعة فصول، وذلك على التفصيل الآتي:

مبحث تمهيدي: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي

الفصل الأول: ماهية القيم الأخلاقية

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم.

المبحث الثاني: الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة.

الفصل الثاني: التنمية الاقتصادية والقيم الأخلاقية

المبحث الأول: مفهوم التنمية والاقتصاد في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ركائز التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية.

الفصل الثالث: ترسيخ القيم الأخلاقية وأثره على التنمية الاقتصادية

المبحث الأول: مفهوم ترسيخ القيم الأخلاقية.

المبحث الثاني: ركائز ترسيخ القيم الأخلاقية.

المبحث الثالث: أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية.

الفصل الرابع: التجربة الأخلاقية اليابانية

هذا، وأشكر الله سبحانه وتعالى القائل في محكم التنزيل: {أَنِ اشْكُرْ لِلَّه وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12]، أن وفقني لهذا العمل، وأعانني عليه، وأرشدني لما فيه من خير ثم أتقدم بالشكر لكل من علمني حرفًا، أو ساعدني بكلمة، أو نصح، أو إرشاد، أو إضافة، أو تعليق بنَّاء.

ولا أنسى في هذا المقام الدعاء لوالديَّ الحبيبين رحمهما الله تعالى؛ أبي الذي كافح كثيرًا من أجلي وأنا صغير وتعلمت منه الكثير، وأمي الحبيبة التي لا أستطيع أن أوفِّيها ذرة واحدة من حقها، فالله أسأل أن يجزيهما خير الجزاء، وأن يسكنهما فسيح الجنات.

ثم أتقدم بالشكر لزوجتي أم حبيبة على جهدها المبذول من أجل أن أتفرغ للعلم والبحث وإتمام هذا العمل.

ثم أتقدم بالشكر لأستاذي المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور/ عادل حميد يعقوب، شاكرًا له على نصحه، وتوجيهاته، وإرشاداته زاده الله علمًا فنعم المُعلم، ونعم التواضع، ونعم الخُلُق، ونعم القدوة.

ثم أتقدم بالشكر لكل أساتذتي بجامعة القاهرة، ولا أنسى أستاذي في الاقتصاد الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم عوض الله الذي تعلمت منه الكثير.

ثم أتقدم بالشكر لكل أساتذة المعهد العالي للدراسات الإسلامية الذين قدموا العلم النافع المثمر المفيد البناء. أطال الله أعمار الجميع، وأحسن أعمالهم، وجعلهم من خير الناس.

والشكر موصول إن شاء الله للجميع طوال العمر فهذا أقل ما يجب بعد الدعاء لكم وتقبيل أيديكم فهذا حق المُعلم على من عَلَّمَ.

والله من وراء القصد

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

مبحث تمهيدي
دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي

مبحث تمهيدي
دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي

إن رسالة الإسلام رسالة قيم وأخلاق بالدرجة الأولى، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ»[1]، فحصر رسالته في هذه المهمة الأخلاقية، ومما لا شك فيه أن هناك علاقة قوية بين الأخلاق والإيمان، وهذا خاتم الأنبياء جاء ليتمم مكارم الأخلاق ويعلمنا كيف نصل لأعلى درجات الإيمان.

وعن جابر رضي الله عنه، قال: قيل: يا رَسُولَ الله، أيُّ الإسلامِ أفضَلُ؟ قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويدِه»، قال: فأيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ قال: «الصبرُ وَالسماحَةُ»، قيل: فأيُّ المؤمنين أكمَلُ إيمَانًا؟ قال: «أحسَنُهم خُلقًا»، قال: فأيُّ الجِهَادِ أفضَلُ؟ قال: «مَن عُقِرَ جَوَادُه وَأُهرِيقَ دَمُه»، قيل: فأيُّ الصلاةِ أفضَلُ؟ قال: «طُولُ القُنُوتِ»، قيل: فأيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: «جَهْدُ المُقِلِّ»، قيل: فأيُّ الهِجرَةِ أفضلُ؟ قال: «أن تَهجُرَ مَا حرَّم الله عليك»[2]. فجعل صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا.

وعن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة[3] لمن ترك المِرَاء[4] وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسُن خلقُه»[5].

ولو دققنا النظر في هذا الحديث الشريف نجد أن هذه البيوت كلها جُعلت جزاء على أمور أخلاقية، ولكنه جعل البيت الذي في أعلى الجنة لمن حسن خلقه في تصرفاته كلها.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن أقربنا إليه مجلسًا يوم القيامة الأحسن أخلاقاً عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». قال أبو عيسى الترمذي: الثرثار: الكثير الكلام، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام[6].

ويصف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق بأنه يبلغ بصاحبه درجة القائم الصائم، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا، وإن حُسنَ الخلُقِ ليبلغُ درجة الصومِ والصلاةِ»[7].

ولقد ربط الإسلام أيضًا بين المعاملات، والأخلاق؛ فالأمانة، والصدق، والعدل، والبر والرحمة، والإخاء، والتعاون كلها أخلاقيات، وتعاملات، وجميعها تؤثر بدورها على المخرجات الاقتصادية.

---

(1) أخرجه أحمد (8939)، البخاري في الأدب المفرد (273)، الحاكم (4221)، والبيهقي (20572)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
(2) أخرجه أبو داود (2485)، والحاكم (2390) وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(3) أي: حوالَي الجنة وأطرَافها لا في وسَطها.
(4) أي: الجدال.
(5) أخرجه أبو داود (4800)، والطبراني (7488)، والبيهقي (20965).
(6) أخرجه أحمد (17778)، البيهقي في شعب الإيمان (4969).
(7) أخرجه أبو يعلى (4166).

"ونلاحظ ربط الحياة كلها بالأخلاق فلا انفصال بين العلم والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين الحرب والأخلاق، فالأخلاق لُحمَة الحياة الإسلامية وسداهـا"[1].

والقيم الأخلاقية تتعدد فهناك قيم أخلاقية في التعامل مع الله بتوحيده، وأداء العبودية تجاه الرب سبحانه، فهناك من يسيء الأدب مع الله فيجعل له ندًّا وولدًا.

وهناك قيم أخلاقية تتفرع من العبودية لله كالخوف، والرجاء، والمحبة، والإنابة، والخشوع والتوكل، والتفويض، وغيرها من منازل العبودية، والتي كلما ارتقت زاد الخلُق، وزاد الإيمان، وانعكس بدوره على المعاملات بشكل عام، والمعاملات الاقتصادية بشكل خاص.

وهناك قيم وأخلاق في الاقتصاد الإسلامي لها من التأثير القدر الكبير على مجالات الاقتصاد المختلفة, "كما أن أبرز ما يميز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من مذاهب الاقتصاد الوضعي أنه اقتصاد قيم وأخلاق"[2]. وسنعرض ما هو الاقتصاد الإسلامي كمفهوم ثم سنذكر بعض الأمثلة العملية.

أولًا- مفهوم الاقتصاد الإسلامي:

يمكن أن نُعرِّف الاقتصاد الإسلامي بأنه "مجموعة الأصول والقواعد الاقتصادية المستخرجة من القرآن الكريم، والسنة الشريفة"[3].

ويعرف الاقتصاد الإسلامي أيضًا بأنه "المذهب الاقتصادي للإسلام الذي تتجسد فيه الطريقة الإسلامية في تنظيم الحياة الاقتصادية بما يملك هذا الرصيد ، ويدل عليه من رصيد فكري تتألف من أفكار الإسلام الأخلاقية، والأفكار العلمية، والاقتصادية، والتاريخية التي تتصل بمسائل الاقتصاد السياسي، أو بتحليل تاريخ المجتمعات"[4].

وهناك من يقول: إن النظام الاقتصادي الإسلامي هو "البناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر"[5].

وهنا يقصد د/ محمد عبد الله العربي بـ "الأصول"، أي: الأصول والقواعد المستخرجة من القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

وجاء أيضًا أن الاقتصاد الإسلامي هو "مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي جاء بها الإسلام في نصوص القرآن والسنة؛ ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان"[6].

---

(1) د/ يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، (ص 8)، القاهرة، مكتبة وهبة.

(2) مرجع سابق، د/يوسف القرضاوي، (ص9).

(3) د/حسن عباس زكي – مجلة الاقتصاد الإسلامي – دبي – العدد الأول 1982م، (ص11).

(4) محمد باقر الصدر – اقتصادنا – دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، القاهرة 1977م، (ص9).

(5) د/محمد عبد الله العربي، محاضرة في الاقتصاد الإسلامي، ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، الموسم الثقافي الثاني للمحاضرات العامة (ص21).

(6) د/محمد شوقي الفنجري، المدخل في الاقتصاد الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م، ط1، (ص57).

ويشير الباحث إلى أن الاقتصاد الإسلامي هو "الكيان الذي ترسم خطواته معالم الشريعة، ليقدم لها النموذج الأسمى لاقتصاد يضيف للإنسانية ما عجزت عنه الشرائع السابقة".

والشاهد أن الجميع اتفق على أن الاقتصاد الإسلامي يأخذ مصادره من القرآن الكريم والسنة المطهرة بالإضافة إلى اجتهادات العلماء في الفقه الإسلامي، والدراسات الاقتصادية المعاصرة بما لا يخالف مصادر التشريع، وفي الوقت الذي نجد فيه الواقع المعاصر لكثير من المسلمين في بعدهم عن المصادر الأساسية للتشريع في معاملتهم الاقتصادية، فنحن هنا في حاجة إلى إعادة هيكلة المجتمع لغرس العديد من القيم والأخلاق؛ لكي يواكب المنهج الاقتصادي الإسلامي.

وهذا ما يؤكده د/ شعبان فهمي عبد العزيز حيث يقول:

"لا يمكن استخدام الاقتصاد الإسلامي في المرحلة الراهنة -وبشكل فعَّال- في صياغة قوانين تصلح لتفسير الظواهر الاقتصادية التي يمكن أن تحدث في مجتمع إسلامي بمعنى الكلمة، وذلك لانعدام وجود هذا المجتمع الآن؛ فمعظم سلوكيات المسلمين وتصرفاتهم الاقتصادية بعيدة جدًّا عما ينادي به الاقتصاد الإسلامي"[1].

ومما سبق نَلْحظ وجود فجوة حقيقية بين تطبيق منهجية الاقتصاد الإسلامي، وبين الواقع الفعلي للمعاملات الاقتصادية في مجتمعاتنا المعاصرة.

ومن هنا نجد الاحتياج الشديد لترسيخ القيم الأخلاقية لتجهيز مجتمع يتقبل تطبيق اقتصاد إسلامي، بدون حدوث خلل بين الناحية النظرية -كاقتصاد إسلامي- والناحية العملية لتطبيق هذا الاقتصاد في كل من المعطيات والنتائج، وذلك لأن عملية التطبيق للاقتصاد الإسلامي له مدخلات لا بد أن تكون في تناسق تام أثناء عملية التشغيل داخل المجتمع بكل أطرافه؛ ومن هنا تكون المخرجات والنتائج في صورة تنمية اقتصادية شاملة من منظور اقتصادي إسلامي يحقق الرخاء والتقدم للشعوب.

والواضح أن أبرز ما يميز الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد قيم وأخلاق هذا الاقتصاد الذي لا يُجيز أبدًا تقديم الأغراض والأهداف الاقتصادية على المثُل والفضائل التي يدعو إليها الدين الإسلامي، إذْ نجد أن الأنظمة الاقتصادية الأخرى تُؤثِر المكاسب الاقتصادية، ولو على حساب الأخلاق ومقتضيات الإيمان، وذلك بخلاف الاقتصاد الإسلامي والأخلاق؛ إذْ إنهما يسيران في خطين متوازيين في العمليات الاقتصادية جميعها سواء في الإنتاج، أو التوزيع ، أو التداول، أو الاستهلاك، وعلى الفرد والمجتمع قيد إيماني أخلاقي في كل نشاط اقتصادي عند الكسب للمال، أو في تنميته، أو في إنفاقه.

ثانيًا- بعض الأمثلة على ذلك:

1-"ظل المشركون من العرب يحجون إلى البيت الحرام بمكة إلى السنة التاسعة من الهجرة، وكان لهم في حجهم تقاليد كالطواف بالبيت عرايا، لئلا يمس أجسامهم شيء من الملابس التي دنسوها بالمعاصي، هكذا زعموا، ولكن النبي صلى الله عليه

---

(1) د/شعبان فهمي عبد العزيز، مقدمة في الاقتصاد الإسلامي، دار أبو المجد للطباعة القاهرة، كتاب جامعي (ص25).

وسلم أراد أن يطهر بيت الله من أرجاس الوثنية وتقاليدها فبعث عليًّا إلى أبي بكر الصديق أمير الحج رضي الله عنهما في السنة التاسعة فأخذ يُعلن في الناس يوم الحج الأكبر: «ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[1].

ومما لا شك فيه أن منع حج الألوف وعشرات الألوف إلى الكعبة خسارة اقتصادية كبيرة على المسلمين، ولكن عليهم أن يتحملوا ذلك في سبيل إيمانهم، وفي هذا جاء قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً[2]. فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 28].

"ونستنتج من المثال السابق أن الاقتصاد الإسلامي من أعمدته أنه لا ينبغي أن يعتمد على أن يقوم المسلمون بتنشيط السياحة، وكسب العملات الصعبة بأن يبيحوا الخمور، ويحلوا الحرام ويقيموا دور الفجور، وإن خافوا عيلة فسوف يغنيهم الله من فضله إن شاء"[3].

2- ومن الأمثلة أيضًا ما كان عليه أهل الجاهلية من فرض إتاوة على الإماء يأخذونها منهن، ولو كان ذلك عن طريق البغاء والزنا العلني، فلما جاء الإسلام امتنع هؤلاء الفتيات بمقتضى إيمانهن عن ارتكاب الفاحشة في سبيل الكسب، وأراد أولئك أن يجبروهن على الخنا، فنزل القرآن ينهى عن ذلك في قول الله تعالى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ الله مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 33].

وهذا الخلُق الديني له أثره على اقتصاديات شعوب تتمسك بالقيم بخلاف شعوب أخرى تعتمد على بيوت الفجور والخنا، والزنا المرخص الذي يتعاملون به في اقتصادهم بلا أي قواعد أخلاقية، أو دينية، وهذا مشاهد في كثير من الدول، ومنهم من يعتبر ذلك رواجًا اقتصاديًّا وإضافة للناتج القومي بما تفرضه هذه الدول على القائمين على هذه الأفعال من رسوم وضرائب.

3- ومن الأمثلة التي توجد في كل أسبوع: توقف حركة البيع والشراء في يوم الجمعة وقت الصلاة ، ومما لا شك فيه أن استمرار الناس في البيع والشراء فيه مكاسب اقتصادية، وانتعاش للاقتصاد، ولكن القرآن يأمر المؤمنين في يوم الجمعة إذا سمعوا النداء أن يتوقفوا عن البيع والشراء ليسعوا لأداء الفريضة الأسبوعية، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ مِنَ اللهوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَالله خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة: 9-11].

والأكثر من ذلك، وهو ما كان يطبق في دولة واحدة دون كل دول العالم الإسلامي، وهي المملكة العربية السعودية حيث كان يتم التوقف عن جميع الأعمال في مواقيت

---

(1) تفسير ابن كثير (131/4).
(2) أي فقرًا.
(3) مرجع سابق، د/يوسف القرضاوي، (ص58).

الصلاة، ويعاقب من يفعل خلاف ذلك تطبيقًا لقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: 103].

والملاحظ أن هذا الوضع القائم لديهم لا يؤثر مطلقًا على العمل، بل على العكس تعتبر ديار المملكة العربية السعودية هي أغنى الدول، وليس في ذلك أي تدهور اقتصادي، بل على العكس يكون وقت الصلاة راحة نفسية وجسدية، يقوم بعدها الفرد بعمله على أفضل ما كان عليه.

4- في إباحة الخمر والمسكرات والمخدرات منافع اقتصادية لبعض الناس، حيث يترتب عليها زراعة الكروم، والقيام بتصنيعه، وعصره، واتساع تجارته في مجال التصدير والاستيراد في الخارج والداخل، ولكن جاء المشرع وأهدر هذه المنافع المادية لما كان هناك من أضرار معنوية جسيمة تزرعها في حياة الفرد وحياة الأمة، وهي ما تمثله من خطر على الدين والعقل والأخلاق والسلوكيات، بل وأيضًا على الصحة والإنتاج، ولهذا لم يبال المشرع بالمنفعة الاقتصادية العاجلة، وضحى بها قرير العين ليتفادى الأخطار الهائلة الناجمة عن إباحتها.

وهنا جاء قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)} [البقرة: 219].

ومع ذلك نجد المسكرات بيعًا وشراء، وتتداول ليلًا ونهارًا نشاهدها في بلاد المسلمين يبيعها ويشتريها ويتناولها المسلمون، وغير المسلمين.

ولم يكتف الإسلام بتحريم تناول الخمر، بل حرم كل ما يعين على تناولها، فعاصرها، وحاملها وبائعها، وساقيها، وشاربها، وآكل ثمنها، وكل من أسهم فيها بجهد ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم: «لعن الله الخمر، ولعن ساقيها، وشاربها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبايعها، ومبتاعها، وآكل ثمنها»[1].

5- ومثل الخمور نجد لعب الميسر (القمار)، حيث نجد أن له بعض المنافع العاجلة كالتسلية وشغل الفراغ، والشعور بنشوى المجازفة، وتوقع الكسب بشكل سريع، وبغير تعب مما فيه من إدمان النفس لتركن لمتابعة اللعب للتربح، ولكن القرآن لم يعبأ بهذه المنافع الشخصية، مقابل إضرار الميسر نفسية المقامرين من الناحية الأخلاقية والسلوكية، كتعوده الكسب من غير جهد وأكل أموال الناس بالباطل، وعيشه على أوهام الحظ، ويصبح في غريزته أنه من السهل أن يبيع عرضه ويخون وطنه ويبيع دينه من أجل إدمانه للقمار بالإضافة إلى أنه يجلب العداوة والبغضاء، ويصد عن ذكر الله، وعن الصلاة.

ولقد وصف الله ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: 90-91].

---

(1) أخرجه أبو داود (3674)، ابن ماجه (3380) من حديث ابن عمر.

والمشاهد أن بلاد المسلمين مليئة بقاعات لعب الميسر، والأغرب من ذلك، والذي سمعته من أحد الضباط المصريين أن اليهود يأتون إلى شرم الشيخ بمصر ليلعبوا الميسر، وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يلعبوه في بلادهم، وهذا ما يندى له الجبين أن أعداء الإسلام يعرفون كيف يتعاملون اقتصاديًّا وخُلُقيًّا في بلادهم، وأما نحن فلا.

وعلى شاكلة الخمور ولعب الميسر نجد أن هناك أشكالًا أخرى لبعض الأعمال غير المشروعة، منها:

1- التجارة في المخدرات، وأنشطة البغاء والدعارة.

2- الأموال المتحصلة بسبب الرشوة أو الفساد الإداري والاختلاس.

3- الأموال المتحصلة مقابل صفقات الأسلحة.

4- الأموال المتحصلة مقابل أعمال التجسس الدولي.

5- الأموال المتحصلة عن تزييف النقد والشيكات المصرفية، وتزوير الاعتمادات السندية، وغيرها"[1].

ونَلْحظ أن الاقتصاد الإسلامي في خطاه التي تتوازى مع الدين، والخلق الإسلامي القويم يرفضان هذه المعاملات، وإن كانت هذه المعاملات فيها من الكسب والمنافع الاقتصادية الكثير والكثير، لكن الإسلام يأباها، والاقتصاد الإسلامي يلفظها، ويعدُّها من أراذل الأخلاق، وأسافل السلوكيات، وبكل أسف نجد أن بعض البلاد العربية، والمفروض أنها بلاد إسلامية، تعج بها مصانع الخمور، وترويجها وكثير من المعاملات الأخرى غير المشروعة.

6- وكذلك في تربية الخنازير، وبيعها لغير المسلمين فائدة اقتصادية، ولكن الله تعالى حرَّم لحمه، وجعله رجسًا، ولهذا لا يباح للمسلمين أن يتاجروا فيه فإنه ما من شيء حرَّمه المشرع إلا أنه حرام أكل ثمنه.

وجاء ذلك في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 172-173].

ويقول الشيخ الغزَّالي رحمه الله: "اعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها، فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه، ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه، القسم الأول الحرام لصفة في عينه، كالخمر والخنزير وغيرهما"[2].

ونحن نجد كثيرًا من بلاد المسلمين تنتشر فيها تربية الخنازير، وهذا يخالف الدين ويخالف شريعة رب العالمين، ويتنافى مع الاقتصاد الإسلامي.

---

(1) د/عبد الله محمد عبد الله، مستشار سابق بمحكمتي التمييز والدستورية بدولة الكويت غسيل الأموال وبيان حكمه في الفقه الإسلامي والنظم المعاصرة، مقدم للمؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، محرم 1424هـ- مارس2003م، بجامعة أم القرى- مكة المكرمة، (ص2).

(2) إحياء علوم الدين (92/2).

7- وكذلك في بيع الأصنام وصناعة التماثيل المحرمة توجد منفعة اقتصادية لصانعيها والقائمين على التجارة فيها، ولكن الإسلام لم يبال بمنفعة هؤلاء الأفراد، ومن وراءهم من أجل الحفاظ على العقيدة، والمبادئ التي يقوم عليها كيان الأمة الإسلامية.

ولقد روى الشيخان في صحيحيهما[1] عن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال: إني رجل أُصوِّر هذه الصور فأفتني فيها فقال له: ادْنُ مني فدَنا، ثم قال: ادْنُ مني فدَنا حتى وضع يدَه على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مُصوِّر في النار، يَجعلُ له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبُه في جهنم»، قال: إن كنت لا بد فاعلًا فاصنع الشجر، وما لا نفس له.

وعند البخاري في حديث عوف عن سعيد بن أبي الحسن، قال: كنت عند ابن عباس، إذ جاء رجلٌ فقال: يا أبا عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول: «من صوَّر صورةً فإن الله معذبه، حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخٍ فيها أبدًا»، فرَبا الرجل ربوةً شديدةً، واصفرَّ وجهه فقال: ويحك، إن أبيتَ إلا أن تَصْنَعَ، فعليك بهذا الشجر، كل شيء ليس فيه روح.

وجاء سؤال في حكم بيع الأصنام في فتاوى العلامة ابن باز رحمه الله:

س 35: هل بيع الأصنام - أحسن الله إليك - لا يجوز إطلاقًا لو كان مثلًا إنسان اشترى صنمًا من ذهب وأراد أن يصهره ويستعمله في منافع فهل يجوز؟

ج: لا يجوز بيعها لكن إذا كسرها صاحبها، فلا بأس ببيع الصنم مكسرًا، أما أن يبيعه على حاله فلا يجوز، لكن إذا كسره فإنه تحول من كونه صنمًا فيجوز، والواجب تكسيره ولا يُقرُّ على حاله بل يجب أن يكسر ثم يبيع كسره[2].

وها هم المسلمون في كل ربوع الأرض، الكثير منهم لا يُقدر هذه التعاليم الشرعية، ولا يكترث بها، ويخالفها، وهذا هو سبيل الخسران في الدنيا والآخرة، ولو تحققت مكاسب مادية ظاهريَّة، ولكن فيها الخسران للقيم والأخلاق الإسلامية، وضياع لمبادئ الدين القويم، وضياع لمكاسب أخرى كثيرة خفية، مصداقًا لقول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2-3]. فبتقوى الله، واتباع أوامره يأتي الرزق من حيث لا نحتسب، وبالتوكل على الله، وأخذ الأسباب الشرعية التي أرشدنا لها الله تكون الكفاية من الله.

8- وكذلك التعامل بالربا، نجد أن في الربا والتعامل به من المكاسب التي لا تُحصى ظاهريًّا، فالمرابي يفرض على آخذ مال الربا زيادة، ومن المعلوم أن في مفهوم الربا: (أن كل قرض جر نفع فهو ربا)، ومن تعريف الربا أن القروض تأتي بمنافع، ولكن الشاهد أن المشرع حرم هذه المعاملات، ومهما كانت حجم هذه المنافع فهي حرام، ولا ينبغي التعامل بها، ولكن الإسلام لم يبال بمنافع من جراء ذلك لما يعقبه من خسائر أخرى سيأتي شرحها.

---

(1) البخاري (2225)، مسلم (2110).

(2) مجموع فتاوى ابن باز (46/19).

قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: 275-276].

ولقد جاءت فتوى الأزهر واضحة عند السؤال بخصوص "الفائدة المحددة" التي تصرفها البنوك نظير إيداع الأموال بها هي من قبيل ربا الزيادة المحرم شرعًا ولا فرق في حرمة التعامل بالربا بين الأفراد والجماعات أو بين الإفراد والدولة.

السؤال بالطلب المتضمن: أن المصارف في مصر تعطي فائدة سنوية لكل مائة مبلغا قدره 5.7 أو 5.8 أو 13، وقد أفتى بعض العلماء بجواز ذلك، حيث إن التعامل ليس مع الأفراد ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة، وطلب السائل الإفادة عن حكم هذه الفائدة؟

الجواب: قال الله تعالى في سورة البقرة {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم} [البقرة 275-276]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب يدًا بيدٍ والفضل ربا»، ومن هذه النصوص الشرعية وغيرها يكون الربا محرمًا، سواء أكان ربًا نسيئة أو ربًا زيادة، ولما كان إيداع المال بالبنوك نظير فائدة محددة مقدمًا قد وصفه القانون بأنه قرض بفائدة فإن هذه الفائدة تكون من قبيل ربا الزيادة المحرم شرعا، وبالتالي تصبح مالًا خبيثًا لا يحل للمسلم الانتفاع به وعليه التخلص منه بالصدقة.

أما القول بأن هذا التعامل ليس بين الأفراد ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة فإن الوصف القانوني لهذه المعاملات قرض بفائدة لا يختلف في جميع الأحوال ولم يرد في النصوص الشرعية تفرقة بين الربا بين الأفراد وبين الربا بينهم وبين الدولة، وعلى المسلم أن يكون كسبه حلالًا يرضى عنه الله والابتعاد عن الشبهات"[1].

فقد أصل الإسلام أن القروض يتحتم أن تكون بدون منفعة، وأن الربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع، وسنشرح في مبحث قادم إن شاء الله آثار الربا، ومفاسده النفسية والخُلقية، ووصف المرابي بالتخبط في الدنيا والآخرة، وانعكاسات الربا على المجتمعات الإنسانية، وكم يفقد مجتمع المرابين من الألفة، والمحبة، وكم الحروب التي توقد، والدماء التي تسيل ليربو مال المرابين، وكم الخلل الذي يصيب المجتمع بسبب اختلال توزيع الثروات فيه، وكم التدمير للمجتمعات.

ومن الواضح أن العالم الإسلامي بعيد كل البعد عن هذه القيم، إلا في حالات خاصة يتعامل فيها بالقرض الحسن، وبكل أسف التعاملات الربوية هي المنتشرة في التعاملات اليومية بين المسلمين.

---

(1) فتاوى الأزهر، التعامل مع البنوك، موقع وزارة الأوقاف المصرية
. http: //www. islamic-council. com

9- ومن القضايا الاقتصادية، والأخلاقية، والدينية في مجتمعاتنا الإسلامية ظاهرة إباحة الموالد التي تكون حول الأضرحة والقبور التي تعج بها مساجدنا، والتي ينتج عنها الكثير من الأرباح الاقتصادية من خلال البيع، والشراء، والسفر، والسياحة الدينية فمثلًا "يبلغ عدد الموالد الشعبية في مصر حوالي 2850مولدًا للمسلمين والنصارى، فلا تخلو مدينة ولا قرية في ربوع البلاد من رجل صالح يزار، ومقام يحتفى به بجانب الاحتفال بالمناسبات الدينية العامة"[1].

ونقول: إن ذلك فيه من الرواج الاقتصادي، وحركة البيع والشراء، والنذور التي تتلقاها صناديق الأوقاف في المساجد، وغير ذلك من العائد المادي الذي يعود على الدولة والأفراد، ولكن كل ذلك في جانب ما يحدث في هذه الأماكن من موبقات من تمسح بالأعتاب، ونذر لغير الله، وذبح لغير الله، وطواف بالقبور، ومن الشركيات كان لا بد أن نشير إلى أنه كما أن المشرع حرم الربا، والخمور، والميسر، ولحم الخنزير، فإنه سدًّا للذرائع ولتلافي الشركيات التي تحدث في هذه الموالد يقول الاقتصاد الإسلامي كلمته: بأن شريعة رب العالمين فيها من التجارات الرابحة التي تغنينا عن هذه التجارة الخاسرة مع الله بما فيها من موبقات، وسنضرب أمثلة للموبقات التي في هذه الموالد، وخطورتها:

فعن عُقبة بنِ عامرٍ الجُهنِيِّ، قال: أتى رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرةُ رهطٍ ليُبايعُوه، فبايع تسعةً ولم يُبايِعِ الآخر، فقِيل: يا رسُولَ الله، ما لك لم تُبايِعْ هذا؟ قال: عليهِ تمِيمةٌ، فأدخل يدهُ فقطعها، فبايعَه رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «من علَّق تمِيمةً فقد أشرك»[2].

ومما سبق يتضح أن التمائم تعليقها شرك، وما أكثر ما تباع التمائم في بلاد المسلمين، وخاصة في هذه الموالد، والاحتفالات الدينية، والتميمة هي كل ما علق في الرقبة واليد، أو السيارة أو البيت من أجل الحفظ من العين، والحسد، أو جلب الحظ، أو صرف الأذى، وأشكالها كثيرة ككف اليد، والخرز الأزرق، والودع، وغير ذلك.

"وعن أبى الطفيل قال: سُئل علي، هل خصَّكم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخصَّ به الناس كافة؟ قال: ما خصَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخصَّ به الناس إلا ما في قراب سيفي، ثم أخرج صحيفة فإذا فيها مكتوب: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا» [3].

واللعن هو الطرد من رحمة الله، والوعيد باللعن لمن ذبح لغير الله، وكثيرًا ما يذبح في هذه الموالد لصاحب القبر، أو صاحب المقام.

وكذلك النذر معلوم أنه عبادة لا تكون إلا لله؛ لا لنبي مرسل، ولا لملَك مقرَّب، ولا لصاحب مقام، فالنذر لغير الله شرك، وكثيرًا ما تمتلئ صناديق الأوقاف بهذه النذور، ومما لا شك فيه أيضًا أن طيب المورد من الأهمية بمكان في جمع أموال الدولة، وهذه أمور بالغة الخطورة في العقيدة.

---

(1) د/رمضان صديق، الدين وأثره في التنمية الاقتصادية، القاهرة، (ص150)، دار الكتب.
(2) أخرجه أحمد (17458)، والحاكم (7513). قال الهيثمي (103/5): ورجال أحمد ثقات.
(3) الأدب المفرد (17).

حيث يقول القاضي أبو يوسف في كتابه الخراج: "هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصل إليه مال العراق فيخرج إليه عشرة من أهل الكوفة، وعشرة من أهل البصرة يشهدون أربع شهادات بالله أنه من طيب"[1].

ويقول د/ رفعت العوضي معقبًا على قيمة طيب المورد: "هذه أول القيم التي تخضع لها إيرادات النظام المالي الإسلامي"[2].

وهذا السلوك الاقتصادي في هذه الموالد غير متوافر على الإطلاق، وبالتالي كأخلاقيات وقيم للاقتصاد الإسلامي لا بد من استبدال هذه الموالد بطرق اقتصادية أخرى نفتح فيها أسواقًا للبيع والشراء، والعجيب في الأمر أنه يوجد أسواق عالمية في مواسم الحج، والعمرة فيها من المنتجات المختلفة، ولكن بكل أسف بدلًا من التخطيط ليكون للدول الإسلامية رصيد من صناعة هذه المنتجات التي يتداولها أكثر من 3 مليون حاج، والملايين من المعتمرين سنويًّا من كل أنحاء العالم الإسلامي الذين يأتون لزيارة الحرم المكي والحرم النبوي، إلا أننا نجد الصين هي المسيطرة على هذه الصناعات، ونحن يتمثل دورنا في دور المستهلك لا المنتج، –فلماذا لا يكون هناك بدل الموالد التي كلها مخالفات شرعية يكون لدينا أفكار لفتح مجال في هذه الأسواق العالمية التي تتكرر سنويًّا، ويتزايد الطلب عليها، فهي كفيلة لرواج اقتصادي على منهاج اقتصاد إسلامي مبني على قيم خُلقية، وأسس دينية؟!

وهنا سؤال يطرح نفسه: هل القيم الأخلاقية موروثة أم مكتسبة؟! ويمكن التفصيل في هذه المسألة كما سيأتي.

---

(1) كتاب الخراج، لأبي يوسف (ص124).

(2) د/رفعت السيد العوضي، النظام المالي في الإسلام، (ص79)، القاهرة، الإسراء للطباعة.

القرآن والسنة وقضية الإلزام الأخلاقي

في البداية لا بد أن نتحدث عن أن الأخلاق كطبيعة بشرية على نوعين النوع الأول خلوق بطبعه متدين على الفطرة السليمة، والنوع الثاني بخلاف ذلك يحتاج لترسيخ القيم الأخلاقية والدينية بداخله، ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم أهلُ اليمن، هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوبًا، الإيمان يَمانٍ والحكمةُ يمانيَة»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «نساءُ قريشٍ خير نساءٍ ركبن الإبلَ، أحناه على طِفْل، وأرعاه على زوجٍ في ذات يدِه»[2]. وقوله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله عز وجل قسَم بينكم أخلاقَكم كما قسَم بينكم أرزاقَكم»[4].

فالشاهد في هذه الأحاديث أن هناك صفاتٍ خلقية جبلهم الله عليها، أي خُلِقُوا بها، واتصفوا بها دون أن يكتسبوها.

وهناك صفات خلقية، ومكتسبات سلوكية يمكن ترسيخها من خلال الخطاب الديني القرآن والسنة بصورة إلزامية، وهذه أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لأبي ذر: «اتَّق الله حيثما كنت، وأتْبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخَالقِ الناسَ بخُلُق حسَن»[5].

وتتفاوت طبائع البشر في انصياعها للأمر الإلهي أو للخطاب الديني، ولذلك تعددت صور وأشكال الخطاب الديني ممثلًا في القرآن، والسنة لتواكب كل طبيعة بشرية، ولقد جاءت الآيات القرآنية متحدثة عن نماذج بشرية سلكت في حياتها مناهج مختلفة منها ما تُمثل جوانب معينة من الغرائز، والميول مع إهمالها لبقية الجوانب، ولذلك جاءت حياتهم مثالًا للسلوك غير السوي.

فهناك نمط من البشر قال تعالى فيه: {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الأعراف: 176]، فشبهه القرآن بنموذج مماثل له من الحيوان فقال: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 176].

وقال قتادة: "هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عُرض عليه الهدى فأبى أن يقبله"[6].

وقال التستري: "أعرض لمتابعة هواه، وأن الله تعالى قسم الأعضاء في الهوى لكل عضو حظًّا منه، فإذا مال عضو من أعضائه إلى الهوى يرجع ضرُّه إلى القلب

---

(1) البخاري (4388)، مسلم (52).
(2) البخاري (3434)، مسلم (2527).
(3) مسلم (18).
(4) المعجم الكبير للطبراني (8990)، قال الهيثمي في المجمع (90/10): رجاله رجال الصحيح. قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (213/6): لا يخفى أنه في حكم المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي.
(5) أخرجه أحمد (21392)، الترمذي (1987)، وقال: حسن صحيح.
(6) معالم التنزيل (304/3).

فقال: كيف نسلم من الهوى؟ فقال: من ألزم نفسَه الأدب سلِم منه، فإنه من قهر نفسه بالأدب عبَد الله عزَّ وجلَّ بالإخلاص"[1].

وقال السعدي: "فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللِّباس.

فلما انسلخ منها {أتبعه الشيطان}، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزًّا"[2].

وهذا النموذج من الجنس البشري الذي وصفه القرآن بهذا الوصف هو أكثر الأجناس البشرية بعدًا عن الأخلاق والقيم والفطرة السليمة، التي يصعب أن يتكيف مع الأمر، والنهي، وعندما نتكلم عن اقتصاد إسلامي هذا يعني بالمقام الأول قيمًا، وأخلاقًا نابعة من الأمر والنهي القرآني، فكيف لنا بمن هو بهذا الوصف كونه متبعًا لهواه يجعل كتاب الله وراء ظهره رافضًا لأخلاق وقيم القرآن أن نجعله متبعًا لنهج اقتصادي إسلامي في المجتمع إلا بترسيخ القيم الأخلاقية في هذا المجتمع؟.

وهناك نموذج من البشر جعلهم القرآن كالأنعام قال الله تعالى فيهم: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: 179].

وهذا النموذج من البشر خضع لغرائز الدنيا فكانوا كالأنعام التي لا عقل لها، ولا مبادئ، ولا أخلاق.

"{لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا} أي: لا يصل إليها فقه، ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة.

{وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا} ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها، وفائدتها.

{وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا} سماعا يصل معناه إلى قلوبهم.

{أُولَئِكَ} الذين بهذه الأوصاف القبيحة {كَالأَنْعَامِ} أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل.

{بَلْ هُمْ أَضَلُّ} من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان، تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالًا منهم"[3].

كما وصفهم بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: 12].

حيث طغى على هذا النموذج من البشر شهوة البطن، وأعمتهم عن النهوض بالجوانب الأخرى وتنميتها، وتهذيبها.

وهذا الصنف من أهل النار كما جاء وصفهم في الآيات الكريمة هم غير المسلمين، والمشاهد أنهم في بلادهم قاموا بأخذ الأوامر والنواهي من ديننا وبحثوا فيها بما فيه فوائد لحضاراتهم واقتبسوا من الإسلام كل ما هو مفيد، ونافع لهم، وصبغوه بصبغة تناسب عقائدهم الفاسدة في عبادتهم لغير الله الواحد القهار، وطوروا علومهم، وأخذوا قيم الصدق، والإتقان، والتفاني في العمل، وكلها قيم في ديننا الإسلامي، وعملوا هم بها، وتركناها نحن، وركنا لماضٍ تليد.

---

(1) تفسير التستري (ص69).
(2) تفسير السعدي (ص308).
(3) تفسير السعدي (ص309).

وهناك نماذج أخرى من البشر في القرآن جاء وصفهم بأنهم أصحاب العقول في قوله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: 269].

وقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190].

وقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: 128].

وهذه النماذج من البشر أخضعوا حياتهم لما يمليه عليهم العقل، والبصيرة، وهذا النموذج هو الأيسر عند التعامل معه لتوصيل القيمة، أو الخلق، أو محاولة الإقناع بالفكرة لننهج سلوك اقتصادي إسلامي.

ثم يوجهنا القرآن لطائفة أخلاقها تتمثل في أنهم فيهم الوسطية في الإنفاق قال الله تعالى فيهم: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

ونجد أن هذا الخُلق (خلُق الوسطية في الإنفاق) له معنى اقتصادي، ويُتعامل معه في سلوك الأشخاص بطرق خاصة في عمليات الإنتاج، أو الاستهلاك، أو اتخاذ القرارات الاقتصادية سواء القرارات طويلة الأجل، أو قصيرة الأجل، وهذا الخُلق من الأخلاق التي يمكن ترسيخها في عقول الناس بتعليمهم معاني الإسراف، وأن الله لا يحب المسرفين، وأنهم إخوان الشياطين بإسرافهم، وتبذيرهم.

قال تعالى: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: 27]، وقال تعالى: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141].

وبالطبع يكون ذلك حسب الطبيعة البشرية التي نتعامل معها، وهكذا سنتناول من آيات الله القرآن ما فيه حثٌّ على أخلاق نحن في احتياج لبثها في نفوس البشر، وهذه إحدى الوسائل التي يُرسخ بها القيم والأخلاق.

وتتعدد الأساليب القرآنية بين الوصف للنماذج الأخلاقية والسلوكية للطبائع البشرية، وبين الإرشاد للسلوك القويم، وبين التهديد، والوعيد، وبين الترغيب، والتحفيز، ونظرًا لأن النفس البشرية تختلف اختلافات كثيرة، وتتنوع طبائعها فلقد جاء القرآن وجاءت السنة المطهرة عارضة لهذه الأنفس البشرية، وعارضة لطرق التعامل معها حسب الصفات، والخصائص والرغبات الكامنة في الطبيعة الإنسانية، والتي تتنوع بين جوانب مادية، وجوانب روحية كما سنرى من أمثلة:

فهناك في غريزة التملك، وحب المال فقد جاء الشرع الحكيم مهذبًا هذه الطبيعة بقوله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

وهذا إرشاد لسلوك اقتصادي بعيد عن البخل، وحب النفس، والحض على إيثار الغير.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)} [الحشر: 9].

وهناك الأسلوب القرآني للحض على الإنفاق، والترغيب فيه. قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 261].

وقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 274].

وقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133-134].

والآيات السابقة التي تحض على الإنفاق هي على سبيل الترغيب في سلوك اقتصادي هام وضروري لسد احتياجات المجتمع من التمويل الجماعي الذي يساعد على حل الأزمات الاقتصادية، وعلاج لمشكلات التنمية، وسد لثغرات لا تستطيع الدولة القيام بها بمفردها، ولو تركنا خلق البخل بدون علاج له بهذه الطريقة من ترغيب في الدار الآخرة لحدث خلل كبير في المجتمعات، وفجوة كبيرة بين طبقات المجتمع الواحد في الدولة، وهذا ملحوظ عندما نجد تقاعس الأفراد عن دفع زكاة الأموال، والتي ينتج عنها فجوة كبيرة في المجتمع بين طبقاته من فقراء، وأغنياء، وخاصة في الدول التي لا تلزم أفرادها بدفع أموال الزكاة جبرًا للحفاظ على حق الفقير.

وهناك طبائع بشرية لا يصلح معها الترغيب فقط، بل لا بد من الترهيب. وهنا يأتي التهديد، والوعيد القرآني الذي يقوم بتهذيب الأخلاق التي تبخل عن أداء دورها الاقتصادي كدفع أموال الزكاة، أو غير ذلك من الأموال التي يحتاجها المجتمع كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: 34-35].

وجاء في التفسير "{وَالَّذِينَ يَكْنزونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} أي: يمسكونها {وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله} أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت، {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ثم فسره بقوله: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا} أي: على أموالهم، {فِي نَارِ جَهَنَّمَ} فيحمى كل دينار أو درهم على حدته. {فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخًا ولومًا: {هَذَا مَا كَنزتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنزونَ} فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز. وذكر اللّه في هاتين الآيتين انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعًا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله. وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات، و"النهي عن الشيء، أمر بضده"[1].

(1) تفسير السعدي (ص335).

مما سبق نجد أمثلة واضحة من القرآن والسنة تبين نماذج الأخلاق، والسلوك بين الناس وكيف يكون التعامل معهم من خلال الخطاب القرآني بين الترغيب والترهيب.

وهناك من القيم الإسلامية الكثير في السلوك الاقتصادي، والتي سنأتي بها على سبيل العرض وسنستفيض فيها شرحًا في مواضع أخرى لاحقة إن شاء الله تعالى.

القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي

ولما كانت هذه القيم الأخلاقية تحكم السلوك الاقتصادي، وتؤثر في أخلاقيات التعامل الاقتصادي كان لا بد من الإشارة إلى هذه القيم الإسلامية.

ومن هذه القيم:

أولًا: أن الدنيا وسيلة، وليست غاية.

ثانيًا: أن النشاط الاقتصادي يجب أن يوجه ابتغاء مرضاة الله.

ثالثًا: قيم وأخلاق اقتصادية في التعامل بين الناس:

أ – الناس جميعهم إخوة، وأن أبناء المجتمع المسلم كلهم إخوة.

ب- الصدق.

ج- الأمانة.

د- الوفاء.

هـ- حسن المعاملة.

و- المسامحة في المعاملات.

ز- التعامل في الطيبات.

ح– البعد عن المحرمات.

ط– القناعة، والاعتدال في الربح.

ي- الاحتياط، والمحافظة على رأس المال.

ك- الإنفاق بالمال لنيل البر.

وهناك أخلاق، وتعاملات حذر منها الشارع:

أ- تطفيف الموازين.

ب- النهى عن المنافسة غير المشروعة.

ج- النهي عن الغش والخداع.

وإذا تكلمنا عن خصائص الأخلاق الإسلامية يمكن إجمالها في ثلاثة أمور:

أ – قدسية الأوامر الأخلاقية.

ب- القيم الأخلاقية لا تتغير ولا تتبدل.

ج- القيم الأخلاقية تتصف بالرقي.

ومما سبق يتضح لنا أن الإسلام رسالة قيم وأخلاق بالمقام الأول، وأن دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي له أثره الكبير في اقتصاديات الدولة كما تبين لنا أنه يوجد فجوة كبيرة بين الاقتصاد الإسلامي بمفهومه، وبين القيم، والأخلاق الموجودة في مجتمعنا وواقعنا، ولن تتحقق الفاعلية للاقتصاد الإسلامي إلا بترسيخ القيم الأخلاقية حتى يسير الاقتصاد على خط متوازٍ مع واقع المجتمع من ناحية القيم الدينية والأخلاقية، لأن الذي نحن بصدده الآن واقع نظري جيد من علوم الاقتصاد الإسلامي، مع وجود فراغ كبير في التطبيق العملي وهذا الفراغ لن يزول إلا بإزالة الفجوة الموجودة بين الاقتصاد الإسلامي، والأخلاقيات في المجتمع، وهذا موضوع الرسالة كيف لنا أن نقوم بترسيخ القيم الأخلاقية، والأثر الناتج على التنمية الاقتصادية من منظور الاقتصاد الإسلامي حيث إن القرآن والسنة لم يتركا علمًا يسد الثغور، ويعالج الأمور إلا وأتوا به كما تم التوضيح بأمثلة سابقة في هذا المبحث لدور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، وسنتكلم في الفصل القادم عن ماهية القيم الأخلاقية؛ حيث

سنشرح مفهوم الأخلاق والقيم، وما هي الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة، وما هي الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة كما سيأتي.

الفصل الأول
ماهية القيم الأخلاقية

وفيه ثلاثة مباحث:
1- مفهوم الأخلاق والقيم.
2- الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة.
3- الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة.

المبحث الأول
مفهوم الأخلاق والقيم

قبل أن نتناول مسألة الأخلاق في القرآن والسنة بين الأخلاق الحسنة والأخلاق الذميمة، نعرض أولًا مفهوم الأخلاق والقيم، وذلك من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي، وموقعها في كتاب الله. ومفهوم القيمة الأخلاقية، وأصناف القيم، والغاية من الأخلاق الإسلامية، وذلك على النحو الآتي:

أولًا- تعريف الأخلاق لغةً:

الأخلاق واحدها الخُلق، وأصله في اللغة: تقدير الشيء[1]، تقول: خلقتُ الأديم للسقاء، إذا قدَّرتَه قبل القطع. ومن هذا الأصل انبثقت التعريفات اللغويَّة لهذا اللفظ.

فذكر الخليل بن أحمد (170هـ) تحت هذا الأصل الخليقة، وذكر أنها: الخُلق، والخَليقةُ: الطبيعة [2]، وذكر في موضع آخر أن الطبيعة بمنزلة السجية والخليقة [3].

وقال ابن الأعرابي (231هـ): الخلق الطبع والخلق الدين والخلق المروءة[4].

وقال ابن دريد (321هـ): والخُلق: خُلق الإنسان الذي طُبع عليه، وفلان حسن الخُلق والخُلْق، وكريم الخَليقة[5]. وقال نشوان الحميري (573هـ): الخُلق: السجية، وجمعه أخلاق. وقال ابن منظور (711هـ): والخُلق والخُلق السجية[6]. وقال الفيروزآبادي (817هـ): السجية والطبع، والمروءة والدين[7].

فالمتأمل في هذه التعريفات السابقة يجد أن أغلبها تنتهي إلى (السجية) و(الطبع)؛ وذلك لأن الخُلق - كما قال ابن فارس (395هـ)- صاحبه قد قُدِّر عليه[8].

ثانيًا- تعريف الخلق اصطلاحًا[9]:

1- قال ابن المبارك (181هـ) واصفًا حسن الخلق: "هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"[10].

2- قال الجاحظ (255هـ): "الخُلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخُلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعًا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة.. ، وكالشجاعة، والحلم والعفة، والعدل، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة"[11].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (213/2).
(2) العين (151/4 مادة: خ ل ق).
(3) المرجع السابق (23/2 مادة: ط ب ع).
(4) ينظر: مشارق الأنوار، للقاضي عياض (239/1).
(5) جمهرة اللغة (618/1 مادة: خ ل ق).
(6) لسان العرب (193/4 مادة: خ ل ق).
(7) القاموس المحيط (ص881 مادة: خ ل ق).
(8) مقاييس اللغة (214/2).
(9) أي: في اصطلاح علماء السلوك الإسلامي.
(10) أخرجه الترمذي (2005).
(11) تهذيب الأخلاق، للجاحظ (ص12).

3- قال الماوردي (450هـ): "الأخلاق غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار"[1].

4- قال أبو إسماعيل الهروي (481هـ): "الخُلق ما يرجع إليه المتكلف من نعته"[2].

5- قال أبو حامد الغزَّالي (505هـ): "الخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا، وإنما قلنا: إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة، لا يقال: خلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال: خلُقه السخاء والحلم"[3].

6- قال ابن الأثير (606هـ): "الأخلاق واحدها خُلُق -بضم اللام وبسكونها- وهي السجية التي جُبِلَ الإنسان عليها من حسن وقبح، ولذلك طلب الهداية لأحسنها"[4]. وقال في النهاية: "وحقيقته أنه لِصُورة الإنسانِ الباطنة، وهي نَفْسُه وأوصافُها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لِصُورته الظاهرة وأوصافِها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة"[5].

7- قال أبو العباس القرطبي (656هـ): "الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال: أن تكون مع غيرك على نفسك، فتُنصِف منها ولا تُنصِف لها، وعلى التفصيل: العفو، والحلم، والجود، والصبر، والرحمة، والشفقة والتودُّد، ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضدُّ ذلك: أي: ضدُّ الأخلاق المحمودة، كالكذب، والغش، والقسوة، ونحوها من الأخلاق الرديئة"[6].

8- قال ابن تيمية (728هـ): "الخُلق ما صار عادة للنَّفس وسجية"[7].

9- قال ابن القيم (751هـ): "الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقًا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها"[8].

---

(1) تسهيل النظر، للماوردي (ص5).
(2) منازل السائرين (ص58).
(3) إحياء علوم الدين (58/3).
(4) الشافي في شرح مسند الشافعي (534/1).
(5) النهاية (70/2).
(6) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (116/6).
(7) أمراض القلوب وشفاؤها (ص22).
(8) التبيان في أقسام القرآن (ص217).

10- قال الجرجاني (816هـ): "الخلُق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"[1]. وهو مأخوذ من تعريف أبي حامد الغزَّالي السابق.

11- قال ابن عاشور (1393هـ): "الخلُق السجية المتمكنة في النفس، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وتشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يُضم إليه، فيقال: خلُق حسن، وفي ضدِّه: خلُق قبيح، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخلُق الحسن"[2].

12- وعرَّفه الباحث التركي مقداد يالجين بـ "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[3].

وبعد هذا العرض لهذه التعريفات، نخلص إلى ما يأتي:

أ- إن الأخلاق تترسخ في نفس الإنسان، وتصطبغ بها أفعاله وسلوكياته، ولا يمنع ذلك من إمكانية تغيير الأخلاق السيئة، إلا أن ذلك يحتاج إلى جهد وإرادة من صاحب الخلُق السيئ.

ب- الأخلاق مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس؛ وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثَمَّ يقدم عليه أو يحجم عنه.

ج- الخلُق عبارة عن ردود الأفعال الناتجة في صورة تصرفات يحدثها الإنسان بناء على موروثه العقدي والفكري والثقافي وتجاربه في حياته.

ثالثًا- مفهوم القيم الأخلاقية:

قبل التحدُّث عن مفهوم القيم الأخلاقية نود أن نوضح أن مفهوم القيمة من المفاهيم التي اهتم بها كثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالاقتصاد، والتربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وغير ذلك من المجالات. وقد ترتب على هذا نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص لآخر.

"أما عن المعنى اللغوي لهذا الاصطلاح، فيقال: قيَّم الشيء تقييمًا، أي: قدر قيمته. وقيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه. ويقال: ما لفلان قيمة، أي: ما له ثبات، ودوام على الأمر"[4].

"كما تدل كلمة "القيمة" من الناحية اللغوية على الاعتدال، والاستواء، وبلوغ الغاية، فهي مشتقة أصلًا من الفعل "قام" بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، وبلغ، واستوى"[5].

"ويقال: قوَّم السلعة، واستقامها بمعنى قدَّرها، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، وقيم الأمر: يقيمه، وأمر قيم: مستقيم، والقيِّم: السيِّد، وسائس الأمر، والملة القيِّمة: المعتدلة،

---

(1) التعريفات (ص101).
(2) التحرير والتنوير (19/171-172).
(3) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، (ص75)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م.
(4) المعجم الوسيط (2/798، 801).
(5) لسان العرب (12/498 مادة: ق و م).

والأمة القيِّمة: كذلك، وفي التنزيل: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، أي الأمة القيِّمة"[1].

وتدل كلمة "قيمة" حسب الأصل اللاتيني لها على القوة، والصحة، والشجاعة، ومن هنا كان الإقدام والشجاعة على رأس الفضائل الأخلاقية.

ويستخدم علماء الرياضة كلمة "القيمة" للدلالة على الكم لا الكيف.

ويهتم علماء الاقتصاد بقيمة التبادل، ويفرقون بينها وبين قيمة الاستعمال، فالماء والهواء لهما قيمتان كبيرتان في الاستعمال، في حين أن قيمتيهما ضئيلة في التبادل، إذ هما في الغالب يكونان بشكل مجاني، والماس له قيمة ضئيلة في الاستعمال؛ في حين أن قيمته في التبادل كبيرة جدًّا.

والاقتصاديون حين يتحدثون عادة عن القيمة يقصدون قيمة التبادل، والقيمة بهذا المعنى يقصد بها السعر المقدَّر للسلعة، ومع ذلك يميز بين القيمة والسعر على أساس أن القيمة حقيقية، في حين أن السعر اعتباري بحسب التراضي بين المتبادلين للسلعة، ولهذا قد تكون القيمة أكبر أو أقلَّ من السعر.

أما المشتغلون بالفنون فإن القيمة عندهم تعبِّر عن العلاقات بين الألوان، والأصوات، والأشكال من حيث الكمُّ والكيف معًا.

"وفي تعريف القيمة من الناحية الأخلاقية نظر بعض الباحثين إلى القيم من خلال مؤشر السلوك على اعتبار أن القيم هي محددات لسلوك الفرد، وأفعاله، فيعرف شارلز موريس على سبيل المثال القيم الخلقية بأنها التوجه، أو السلوك المفضل، أو المرغوب من بين عدد من التوجهات المتاحة"[2].

"وكذلك يمكن تعريف القيم الخلقية بأنها المبدأ، أو القاعدة، أو المعيار الذي يجعل بمقدورنا اعتبار سلوك ما خُلقيًّا، أو يعني ذلك المبدأ الذي يجعل بمقدورنا اعتبار سلوك ما خيرًا، أو شرًّا، أو كل ما يبني لنا أحكامنا الأخلاقية، أو موجهات السلوك"[3].

وتجدر الإشارة إلى ما في القيم الأخلاقية من دلالة اتفاق، وهي تظهر في تلازم القيم مع الأخلاق؛ إذ لا يطلق لفظ القيم إلا ويرتدُّ معناه غالبًا إلى الأخلاق، بمعنى قيم الأخلاق، أو أخلاق القيم، أو القيم الخلقية.

والحاصل أن القيم الخلقية تعد مبحثًا مشتركًا بين علمي الأخلاق والقيم، وهذا هو المختار وإن جاز أن تطلق على عموم علم الأخلاق، أو أن تحوز النصيب الأكبر من مسائل علم القيم[4].

"والجدير بالذكر أن القيم الدينية تفوق القيم جميعًا. فالدين هو أساس القيم، لهذا فهي قيم روحية قادرة على هداية الإنسان، لأنها من صنع الله سبحانه، والذي خلق النفوس،

---

(1) لسان العرب (502/12 مادة: ق و م)، المعجم الوسيط(768/2).

(2) د/عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم – عالم المعرفة، رقم: 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب – الكويت، إبريل، 1992م، (ص46).

(3) د/محمد عبد الكريم أحمد، القيم الخلقية بين المنهج الوضعي والمنهج المعياري، دراسة تحليلية مقارنة (رسالة دكتوراه)، إشراف: د. حامد طاهر، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، 1426هـ-2005م، (ص22).

(4) المرجع السابق (ص27).

وأوردها فجورها، وتقواها، لذلك كان النبع السليم للقيم هو الدين. وقد جاء الإسلام بقيمه السامية لكبح جماح تلك القِيَم المضادَّة"[1].

كما أن للقيم اصطلاحات ذات صلة، وهي مرادفات تتفق مع دلالة القيم الخُلقية في المعنى مثل الأخلاق، والفضائل، والآداب.

ويرى الباحث أن تعريف القيم: هي مُثُل ومبادئ سامية ترتقي بها النفس البشرية لتصل بها إلى درجات من السموّ الإنساني يبلغ منتهاه في درجة النبوة وأعلى درجات هذه القيم تتمثل في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعًا- أصناف القيم:

إن أصناف القيم كثيرة ومتعددة إلى حدٍّ يصعب معه الحصر، لكن يمكن الحديث بصفة عامة عن صنفين تندرج تحتهما كل أنواع القيم هما:

1) قيم مادية تتعلق برغبة اكتساب الخيرات، وتتغير الحاجة إليها، والظروف التي تكتنفها.

2) قيم معنوية روحية إنسانية، وتشمل القيم العقلية المتعلقة بالحق، والقيم الأخلاقية المتعلقة بالخير، والقيم الجمالية المتعلقة بالجمال.

خامسًا- موقع مفردات كلمة القيم في القرآن:

في باب إخلاص العبادة لله

في قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، وقوله تعالى: {أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

وفي باب الأحكام

في قوله تعالى: {رَسُولٌ مِنَ الله يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [البينة: 2-3].

وفي باب هداية الناس

في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهف: **1-2].**

وفي باب وصف دين الإسلام

في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 161]، وقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

وقوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} [الروم: 43].

ونجد هنا أن كلمة "القيمة" ومفرداتها استعملت بصفة عامة في الإشارة إلى مبادئ الإسلام وأحكامه الهادية، والمرشدة للناس في هذه الحياة.

---

(1) د. سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1992م، (ص22).

ومن هنا نقول: إن نظام القيم في الإسلام هو أكمل ما عرفته البشرية من نظم القيم، لأن مصدره إلهي معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وخير دليل على ذلك أن القيم الرفيعة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة فيما يتعلق بالحرية، والعمل، والعلم، والعدل، والمساواة، والحب، والحق، والصدق، والجمال، وغيرها تفوق أية قيم أخرى من نوعها وردت في أي نظام بشري.

ولقد أدرك المسلمون، بل والمنصفون من غير المسلمين أن ما ينادي به الإسلام من قيم ومبادئ أخلاقية ليس قادرًا فقط على تحقيق خير البشرية، وإنما هو قادر أيضًا على تحقيق الهدف الأسمى للسعادة في كل مجالات الحياة.

وجدير بنا أن نتكلم عن الغاية من الأخلاق الإسلامية وأهميتها كما سيأتي.

الغاية من الأخلاق الإسلامية وأهميتها

إن الغاية من الالتزام بالأخلاق، والفضائل الإسلامية، والابتعاد عن الرذائل، والأخلاق السيئة، لهو اكتساب مرضاة الله عز وجل، فإنه سبحانه يحبُّ فعل الخير، ويكره فعل الشر، ومن رضي عنه الله سبحانه وتعالى ظفر بسعادة الدارين، وعظم أجره، وعلت منزلته. والالتزام بمكارم الأخلاق التي أمر بها الإسلام، أو رغب بفعلها فيه تقوية لإرادة الإنسان وتمرينها على حب الخير، وفعله، والبعد عن الشر، وتركه، ويتحقق للمؤمن سعادة القلب بمقدار ما حقَّقه بأفعاله من مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وباكتساب مرضاة الله تعالى تتحقق النجاة من الشقاوة التي يجلبها الإنسان لنفسه بفعل السيئات فبالالتزام بالخُلق، والحرص عليها تطهر النفوس وتزكو، قال عز وجل: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} [الشمس: 9- 10]، وبالأخلاق يسعد الفرد والمجتمع، وتنتشر الفضيلة، وتختفي الرذيلة، وبالأخلاق يكثر الخير والصلاح والصالحون، ويقلُّ الفساد وأهله، وبالأخلاق تبقى الأمم، وتقوى، وترقى، وجماع ذلك كله حصول مرضاة الله سبحانه وتعالى، والأمن من عذابه في الدار الآخرة، وهذه هي الغاية العظمى من عناية الإسلام بالأخلاق وحرصه عليها.

ولقد أدرك أعداء المسلمين قيمة الأخلاق الإسلامية في تكوين الأمة المترابطة القوية المتينة، فعملوا على إفساد الأخلاق للمسلمين بكل ما أوتوا من مكر ودهاء، وبكل ما أُوتُوا من وسائل مادية ومعنوية، ليبعثروا قوتهم المتماسكة، وليفتتوا وحدتهم الصلبة التي كانت مثل الجبل الراسخ الصلب قوة، ويزيلوا جمالها وبهجتها التي هي مثل الجنة الوارفة الظلال المثمرة خضرة وبهاءً وثمرًا.

إن أعداء المسلمين قد أدركوا، وعرَفوا أن الأخلاق الإسلامية في أفراد المسلمين تمثل معاقد القوة، فجندوا جنودهم لغزو هذه المعاقل، وكسرها بجيوش الفساد والفتنة، وكان غزوهم من عدة جهات، ولقد عرفوا أن النبع الأساسي الذي يزود الإنسان بالأخلاق الإسلامية العظيمة إنما هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والالتزام بشرعه، فصمموا على أن يكسروا مجاري هذا النبع العظيم، ويسدوا عيونه، ويقطعوا شرايينه، وعرفوا أن ذلك يتم بدراسة حياتهم، وإفساد المفاهيم، والأفكار فوجهوا جهودهم لغمس أبناء المسلمين بالانحلال الخُلقي بغية إصابتهم بالرذائل الخُلقية عن طريق العدوى، وسراية الفساد، واستمراء الشهوات المرتبطة برذائل الأخلاق، وقد حققوا بعض ما يريدون، ولكن جنود الله من الدعاة والمصلحين لهم جهد كبير في الدعوة إلى دين الله، ونشر الفضيلة، ودحض الرذيلة، وصد كيد الأعداء مستعينين بالله عز وجل الذي كتب النصر لأوليائه كما قال تعالى: {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} [المجادلة: 21].

وإذا عرَف المسلمون الغاية من الأخلاق الإسلامية، وأهميتها في حياتهم، وتمسكوا بها استطاعوا أن يردُّوا كيد الأعداء في وجوههم، ويحفظوا مجتمعاتهم من الرذيلة، ولما نراه من أهمية الأخلاق، والقيم في التنمية الاقتصادية لزم علينا أن نوضح الأخلاق الحسنة وهذا ما سنعرضه في المبحث التالي.

المبحث الثاني
الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة

المبحث الثاني
الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة

لقد تقدم بيان المقصود بالأخلاق والقيم، وما تضمنه هذان المصطلحان من معانٍ، وتطبيقًا لذلك المعنى على ما ورد في القرآن الكريم والسنة؛ فنجد أن هناك نصوصًا قرآنية كثيرة، وأحاديث نبوية، تضمنت ذكر صفات مهمة، وقواعد، ومبادئ أساسية، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان من الناحية الأخلاقية من حيث علاقته بغيره، كما تبين هذه النصوص ارتباط المنهج الأخلاقي بالمعاملات الاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها، وتشمل أيضًا أنواع الأخلاق، وبيان آثارها العملية، ونحو ذلك، وكل هذا تأصيل لهذا المنهج الأخلاقي المتكامل، وما لا يخفى على أحد من علماء الأمة، وروادها أن تقدُّم الأمة يكون برُقيِّ أخلاقها.

والأخلاق الحسنة: هي كل ما يترجم إلى سلوك جيد أو ردود أفعال حسنة.

وهذا يحتاج لتوضيح ويمكن تفصيل شيء من ذلك على النحو الآتي:

الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق:

وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم آيات جوامع، تضمنت في كل موضع منها بعضًا من المبادئ والصفات والقواعد المكوِّنة للمنهج الأخلاقي في القرآن، من ذلك:

1- آيات جامعة لأخلاق كريمة:

* جاءت في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون: 1-10].

فهذه الآيات تشمل صفات عديدة، تؤسس قواعد ومبادئ تنظم علاقة الإنسان بغيره، لتشكِّل في مجملها "المنهج الأخلاقي في القرآن" إذا جمعت مع مثيلاتها، وقد راعت الجوانب المختلفة من حياة الإنسان؛ فتضمنت في الناحية التعبدية المحضة: إقامة الصلاة، وإتمامها، والمحافظة عليها، مع الخشوع فيها الذي يشمل: التواضع، والخوف، والتذلل، ومع أن الصلاة علاقة بين العبد وربه، لكن أداؤها على الوجه الذي شرعه الله بخشوعها، وأركانها، وشروطها وواجباتها، وسننها، وآدابها، يحقق قيمًا أخلاقية عظمى؛ فهي تمنع صاحبها عن فعل الفواحش وتكفُّه عن المنكرات، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45].

"كما أن أداءها في الجماعة، يحقق إحياء روح الأخوة الإسلامية، والالتزام بوقتها يغرس في النفس الحرص على الوقت والدقة في المواعيد، ونحو ذلك من الصفات الخلقية الحميدة"[1].

وكل ذلك له أثره في الكيان الاجتماعي، والاقتصادي.

---

(1) د. فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، دار المحمدي - جدة/ط1، 1422هـ، (ص39-40).

- وتضمنت الآيات أداء الزكاة، وهي عبادة عملية، لكن لها علاقة بالجانب الاقتصادي والمالي، من جهة الإحسان إلى الفقراء والمساكين، وسد حاجات المعوزين، وبالجانب الأخلاقي لما فيها تزكية النفس من أدناس الأخلاق، ومساوئ الأعمال، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، إضافة إلى التربية على جملة من المكارم: كالإحسان، والبذل، والبر، والإنفاق، والرحمة والمودة، والأخوة، ونبذ الشح، والبخل، والتقتير، ونحوه.

ومما تضمنته الآيات أيضًا في الجانب الاقتصادي لتنظيم علاقات الناس: أداء الأمانات، وحفظ العهود، والوفاء بالوعود، وفي الجانب الشخصي: الإعراض عن اللغو بجميع صوره، والمحافظة على العفاف بحفظ الفروج، ونحوه.

وهكذا ترسم الآيات منهجًا أخلاقيًّا فريدًا، يشمل تنظيم جوانب متعددة من حياة الإنسان وعلاقته بغيره.

2- نوع آخر من هذه الأخلاق الكريمة:

ما جاء في صفات عباد الرحمن في قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: 63-72].

فهذه الآيات تذكر جملة من الصفات، والمبادئ الأخلاقية، التي تنظم علاقة المسلم بغيره، منها وصفهم بالوقار، والسكينة، والتواضع لله ولعباده؛ أخذًا من قوله: {الذين يمشون على الأرض هونًا}، ومنها وصفهم بالحلم، والصبر، ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل ورزانة العقل؛ أخذًا من قوله: {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا}، ومنها: العدل والقصد والتوازن {وكان بين ذلك قوامًا}، ومنها: حفظ النفوس والأعراض مع العفاف: {ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون}، ومنها: اجتناب كل موقع ومجلس مشتمل على قول أو فعل محرم، كالغيبة، والنميمة، والكذب، والجدال بالباطل، والسب، والقذف والاستهزاء، وشرب الخمر، وشهادة الزور، وغير ذلك: {والذين لا يشهدون الزور} وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى لا يقولوه ولا يفعلوه ابتداءً، بل إنهم ينزهون أنفسهم ويكرمونها عن الخوض في اللغو الذي لا إثم فيه أيضًا، لما فيه من سفهٍ ونقص للإنسانية، وضعف في المروءة: {وإذا مروا باللغو مروا كرامًا}.

- إنه منهج أخلاقي عجيب متكامل، تسطره هذه النصوص القرآنية المباركة، لتؤصل تلك المبادئ والقواعد الأصيلة.

3- نوع آخر من هذه الأخلاق الكريمة:

في قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج: 19-34]، ولا حاجة لإعادة التعليقات عليها، فقد اشتملت على مجمل الصفات المذكورة سابقًا.

4- خلُق التحية بالسلام:

* جاء في قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} [النساء: 86].

فهي دلالة على التماس مراقبة الله، ومحاسبته حتى في رد السلام، والأمر بالرد بأحسن من التحية الملقاة، وهذا خلُق يؤدي إلى المحبة كما جاء في أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحابَبْتُم؟ أفْشُوا السلامَ بينكم»[1].

والاقتصاد القوي لا يكون إلا بالسلام، والمحبة، والوئام، فلا يعقل أن يكون هناك اقتصاد قوي والبلاد في نزاع، وشقاق، وبغضاء، وحقد، وكراهية، فأول دعائم بناء اقتصاد قوي أن يكون مبنيًّا على السلام، والسلامة من الأحقاد، والأضغان، فكم لهذا الخلق من تأثير على النفس، من طمأنينة وسكينة، تجعل المجتمع يعمل على بناء اقتصاد قوي فيسود الرخاء.

5- خلُق حسن الكلام:

* جاء في قوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: 53].

فهذا أمر إلهي باختيار الكلمات التي تتناسب مع الحال، والمقال بما فيه الودُّ والإخاء.

وقال تعالى فيما أوحاه لموسى: {وقولوا للناس حسنًا} [البقرة: 83].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويَكرهُ لكم ثلاثًا... ويَكرهُ لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[2].

وهذا الخلُق نجد كم من الصفقات التجارية، والمعاملات الاقتصادية قد تمت بسبب حسن الكلام في حين كثير من المفاوضات الاقتصادية تفشل بسبب سوء التحدث، أو ذكر كلمة لا تليق، ونحن نشاهد عمليًّا الآن الدبلوماسيين الاقتصاديين كيف يكونون سببًا في زيادة الصفقات الاقتصادية لبلادهم، بقدر حسن كلامهم، فهناك كلمة واحدة تدخل القلب تدرُّ على صاحبها مكاسب كثيرة، والعكس بالعكس.

---

(1) مسلم (54).

(2) مسلم (1715).

6- خلُق التعامل مع الآخرين:

* جاء في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: 42-45].

فهذا مثال واضح بالتحدث بأدب رفيع؛ حتى في حالة لو كان المتحدث معه مشركًا، وهذا له أثره في بناء خطوط عريضة من الخُلق القويم في التعامل إلى أقصى حد فكان يكلمه إبراهيم عليه السلام بكل لطف يا أبت.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن المعاملة، والرفق في التعامل: «كان تاجرٌ يُداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز الله عنه» (1).

كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية التعامل مع الزوجة، ويمكن تعميم ذلك مع بقية المسلمين حيث قال: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنةً إن كره منها خلقًا رضي منها غيرَه» (2).

والتعامل مع الآخرين في المعاملات الاقتصادية يلزمه آداب، ولقد رأينا كيف كان ابراهيم عليه السلام يتعامل مع المشرك برفق ولين لمحاولة كسب قلبه، فما أحوجَنا لتعلُّم هذه الأخلاق! لا أن نتعسف، ونعبس في وجهه، فالتعامل الاقتصادي مع الآخرين فنٌّ رفيع وذوق عالٍ، وهذا مشاهد من قبل غير المسلمين للمسلمين، في حين أن هذه هي أخلاقنا نحن وديننا نحن.

7- خلُق مقابلة الإساءة بالإحسان:

* جاء في قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) أمر إلهي بمقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا خلق راقي يبعث في النفوس الحب، والوئام كما جاء في سورة فصلت في قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [المؤمنون: 34-35].

قال الماوردي: "قوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} فيه خمسة أقاويل:

أحدها: بالإغضاء، والصفح عن إساءة المسيء، قاله الحسن.

الثاني: ادفع الفحش بالسلام، قاله عطاء، والضحاك.

الثالث: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه ابن عيسى.

الرابع: معناه امسح السيئة بالحسنة.

الخامس: معناه قَابِل أعداءك بالنصيحة، وأولياءك بالموعظة، وهذا، وإن كان خطابًا له عليه السلام، فالمراد به جميع الأمة" (3).

"{وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالتي هي أَحْسَنُ} [فصلت : 34]، يعني: أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما؛ فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا

---

(1) البخاري (2078)، مسلم (1562).

(2) مسلم (1469)، و«لا يفرك»: لا يبغض.

(3) النكت والعيون (66/4).

اعترضتك حسنتان؛ فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، و{التي هي أحسن} أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل: أن يذمك فتمدحه، أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه {فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34]، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك.

ثم قال: {وَمَا يُلَقَّـاهَآ} [فصلت: 35] أي، وما يُلقَّى هذه الخَصْلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان {إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا} [هود: 11] إلا أهل الصبر {وَمَا يُلَقَّـاهَآ إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35] إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير"[1].

وهذا الخُلُق فيه كسب القلوب كما رأينا، وأحيانًا اقتصاديًّا، لأن كَسْب القلوب هو السبيل لكسب الصفقات الاقتصادية، ونشاهد كثيرًا على صفحات الجرائد من سباب بين دول وهذا يكفي لنذير حروب، ولكن بكل بساطة يحدث بينهم الصفح والتغاضي، وغالبًا ما يتبع ذلك صفقات تجارية ومعاملات اقتصادية، لما حدث في القلوب من تسامح، وألفة بسبب الصفح، هذا في كثير من الدول الغربية، أما بين الدول العربية والإسلامية على النقيض، تحدث النزاعات والفرقة والخصام.

8- خُلُق الاستئذان قبل دخول البيوت:

* جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: 27].

هذا أمر إلهي يبعث في النفس خُلُقًا عاليًا لاحترام خصوصية الآخرين، وعدم التعدي على حرياتهم الخاصة، والتمهل قبل الدخول عليهم مما يبعث الطمأنينة في النفوس.

ولقد علَّمَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «لو أعلمُ أنك تنظر لطعنتُ به في عينك، إنما جُعل الإذن من أجل البصر»[2].

وفى الحديث أن رجلًا اطلع في جحر في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِدْرًى[3] يحك به رأسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.. فذكره.

وهذا الخُلُق فيه من الاحترام وادخال المحبة في قلوب الآخرين، وأتصور أن شخصًا تحترم خصوصيته لن يبادلك إلا الحب والاحترام، وهذا مطلوب في المعاملات التجارية والاقتصادية، فهو يبعث في النفس الطمأنينة والأمن والأمان تُجاه الآخرين، وأيضًا لا يفعل ذلك إلا إنسان أمين على عَوْرات الآخرين، ومما لا شك فيه الأمانة مطلوبة في المعاملات الاقتصادية.

9- خُلُق غض البصر:

* جاء في قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ

---

(1) مدارك التنزيل (236/3).
(2) البخاري (5924)، مسلم (2156).
(3) المدرى: شيء مُدبَّب يشبه المشط.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى الله جميعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 30-31].

فهذه أوامر إلهية في تنفيذها درءٌ لمفاسدَ عظيمة المجتمع في حاجة لتجنبها لحفظ الحرمات والأعراض وتحصين النفوس من غلبة الشهوات، التي تفضي لحدوث العديد من المنكرات والآثام التي فيها هلاك للمجتمع.

وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأخلاق، فقال: «إياكم والجلوسَ على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بدٌّ، إنما هي مجالسُنا نتحدَّث فيها، قال: «فإذا أبيتُم إلا المجالسَ فأعطوا الطريقَ حقَّها»، قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: «غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذَى، وردُّ السلام، وأمرٌ بمعروف، ونهيٌ عن المنكر»[1].

ومن المُسلَّم به أن الذي يحفظ حدود الله حتمًا أنه شخص سيحفظ عهوده مع عباد الله، وهذا الإنسان هو الأمين الذي سيحافظ على التجارة، والأمين الذي نستأجره، ونأمن على أموالنا معه.

10- خلُق التعامل في المجالس:

* جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ الله لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: 11].

وهذا أمر إلهي يعلمنا أخلاق التعامل في المجالس مع الآخرين، وسعة الصدر، ورحابة النفس معهم، وما في ذلك من أثر في نفوس الآخرين من السعادة، والشعور بالاحتواء من قبل الغير والترحيب، ومشاعر الاحترام المتبادل التي تزيد الإخاء والمحبة، وهذا كله له أثره في المعاملات الإنسانية أو الاقتصادية على حدٍّ سواء.

وعلَّمَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس فإن وسِّع له فليجلسْ وإلا فلينظرْ إلى أوسع مكانٍ يراه فليجلسْ فيه» [2].

وعلَّمَنا رسول الله آداب كفارة المجلس؛ أن يقول العبد: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[3].

11- خلُق المسارعة إلى الخيرات:

* جاء في قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ الله جميعًا إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 148].

وهذا فيه الحضُّ على فعل الخيرات مع الآخرين، وليس فقط فعلها، وإنما المسارعة إليها، وأيضًا المسارعة فيها، وهذا الخلُق يضفي على المجتمع كله أنه يصبح مجتمعَ

---

(1) البخاري (2465)، مسلم (2121).

(2) أخرجه لوين (24)، وعنه البغوي في معجم الصحابة (1233)، والطبراني (7197) من طريق لوين، قال الهيثمي (59/8): إسناده حسن.

(3) أخرجه أبو داود (4857)، الترمذي (3433)، النسائي (1344). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

خيرٍ يتنافس في الخير، ويبتعد عن الشر والأذى، وهذا كفيل أن يجعل المجتمع كله في رقيٍ وتَقَدُّم؛ لأن الجميع يسعى للخير والتسابُق فيه، وهذه المزية موجودة في كثير من الدول الغربية؛ إذْ إن عنصر الزمن والمسارعة في تحقيق تقدُّم اقتصادي يقاس لديهم بالثانية، فنجد مثلًا القطار في اليابان، يقاس تأخره عن المحطة بالثانية، وهناك إحصائية أن معدل تأخر القطارات بلغ6 ثوانٍ في إحدى السنوات.

وهذا مؤشر خطير يوضح أن السباق الاقتصادي العالمي يقاس بالثانية، في حين نجد كثيرًا من الشعوب الإسلامية والعربية تتسابق في ركوب الخيل، وألعاب التسلية.

وهذا المعنى نفسُه جاء في قوله تعالى: {يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَالله عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 114- 115].

ولقد ورد هذا المعنى في الدعاء الذي علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه عاجلِه وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدُك ونبيُّك، وأعوذ بك من شرّ ما عاذ به[1] عبدُك ونبيُّك، اللهم إني أسألك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذُ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عملٍ، وأسألُك أن تجعلَ كلَّ قضاءٍ قضيتَه لي خيرًا»[2].

فكان رسول الله يعلمنا كيف نسعى للخير، وندعو أن ننال كل الخير، وهذا بالتأكيد في كل الأصعدة سواء اقتصادية أو علمية أو تكنولوجية.

12- خلُق الإصلاح بين الناس:

في قوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114]، وهذه أوامر إلهية للحض على القيام بالمعروف، والصدقة، والإصلاح بين الناس، وفي ذلك جاء حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبِّئُكم بدرجةٍ أفضلَ من الصلاة والصيامِ والصدقة؟»، قالوا: بلى، قال: «إصلاحُ ذاتِ البَيْن، وفسادُ ذات البينِ هي الحالقة»[3].

وحذَّرَنا النبي صلى الله عليه وسلم من فساد ذات البين، فقال: «إياكم وسُوءَ ذاتِ البين فإنها الحالقة»[4]. قال أبو عيسى الترمذي: "معنى قوله: «وسوء ذات البين» إنما يعني العداوة والبغضاء، وقوله: «الحالقة»، يقول: إنها تحلق الدين"[5].

ولأنه بالإصلاح بين الشعوب والدول يزيد التعاون الاقتصادي بينهم، وتزول الفرقة والعداوة، فنحن في عالم تزداد فيه التكتلات الاقتصادية، ولا مجال للانفراد فيه والعزلة عن العالم، ولا تفوق اقتصادي مأمول بين الدول الإسلامية إلا بالإصلاح فيما بينهم، ونبذ الفرقة بينهم.

---

(1) أي: عاذ منه، فالباء هنا بمعنى (من). ينظر: الأزهية في علم الحروف، للهروي (ص283).
(2) أخرجه أحمد (25063)، ابن ماجه (3846)، البخاري في الأدب المفرد (639)، ابن حبان (869)، الحاكم (1914)، وقال: صحيح الإسناد.
(3) أخرجه أبو داود (4919)، الترمذي (2509)، وقال: حسن صحيح.
(4) أخرجه الترمذي (2508)، وقال: صحيح غريب.
(5) المصدر السابق.

13- خلُق الصدق:

* جاء في قوله تعالى: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17].

وهنا ننظر تلك الصفات، ومنها الصدق أنهم موعودون بقوله تعالى: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ الله وَالله بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 15].

فمن وصف أهل الجنة وصفهم بالصدق، وهنا جاء قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدُق حتى يُكتَب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتَب عند الله كذابًا»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة» [2].

وهذا الخلُق مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدح التاجر الأمين الصدوق المسلم، فأخبر أنه مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة [3]، وهل الاقتصاد مبني إلا على تجارات التجار، وهل هناك مثال أفضل من تجارة المسلمين الأوائل التي كانت سببًا في فتح بعض أوروبا بالتجارة لا بالسيف؟!

ومن المردود الاقتصادي لهذا الخلُق العظيم هو استنزال البركة من الله عز وجل، فعن حَكيم بن حِزَامٍ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال: «البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا، فإن صدَقا وبيَّنا بُورِك لهُما فِي بيعِهما، وإن كذَبا وكتَما مُحِق بركةُ بَيْعِهما»[4].

14- خلُق الوَدَاعة والأمانة في التعامل:

* جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: 29].

حيث نهى الشارع عن أكل المال بالباطل، وأنه لا بد من التراضي، والوَدَاعة في التعامل، والأمانة.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعةَ»، قيل: كيف إضاعتُها؟ قال: «إذا أُسنِدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظر الساعةَ» [5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[6].

---

(1) البخاري (6094)، مسلم (2607).
(2) أخرجه الترمذي (2518)، النسائي (5711)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(3) أخرجه ابن ماجه (2139)، الدارقطني في سننه (2812)، واللفظ له. قال الذهبي في الميزان (407/3): «حديث جيد الإسناد صحيح المعنى، ولا يلزم من المعية أن يكون في درجتهم، ومنه قوله تعالى: {ومن يطع الله والرسول ... } الآية».
(4) البخاري (2079)، مسلم (1532).
(5) البخاري (6496).
(6) أخرجه أبو داود (3535)، الترمذي (1264) وقال: حسن غريب.

وهذه من الأخلاق التي يُبنى عليها أي اقتصاد ناجح. وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية).

15- خلُق المودَّة:

* جاء في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21].

فهنا الشرع الحكيم يؤسس الأسرة المسلمة لتكون على جانب قوي من المودة والألفة والرحمة، بحكمة بالغة بمقتضى الطبيعة البشرية بين الرجل والمرأة كزوج وزوجته، الأمر الذي يكون نواة لبناء مجتمع كامل مبني على التآلف، والمودة، والرحمة، وليكون المجتمع فيه سكينة وطمأنينة تبعث في النفوس الأخلاق الحميدة، والتعاون المثمر لبناء علاقات اجتماعية كلها قائمة على الوُدِّ والإخاء، وأيضًا علاقات اقتصادية توطد بناء دعائم دولة اقتصادية قوية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» [1].

16- خلُق الاستقامة:

* جاء في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6] وليتحقق خلُق الاستقامة على طريق الهداية، وهذا لن يكون إلا بتوفيق من الله، وجاء في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: 14].

فلقد جاء في وصف أصحاب هذا الخلُق أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهم أصحاب الجنة خالدين فيها وبهذا الخلُق يستقيم المجتمع كله.

وعن سعيد بن نِمْرانَ[2]، عن أبي بكر الصديق في قول الله: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا} [فصلت: 30] قال: الاستقامة أن لا يشركوا بالله شيئًا[3]. وهذا يشبه أن يكون مرفوعًا لأن أبا بكر ما كان يفسر القرآن بالرأي[4].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسولَ الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسألُ عنه أحدًا بعدَك - وفي حديث أبي أسامة: غيرَك - قال: «قل: آمنتُ بالله، فاستقم»[5]. وفي رواية: «قل: ربِّيَ اللهُ ثم استقم»[6].

فالاستقامة هي سرُّ النجاح والتفوق في كل شئون الحياة، ومنها الحياة الاقتصادية.

17- خلُق سلامة القلب:

* جاء في قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88-89]، وهذا الوصف لا يعادله شيء، وهو سلامة القلب من الأهواء الفاسدة كالكبر، والعُجب، والنفاق، والرياء، وغيرها من أمراض القلوب، ومما

---

(1) أخرجه أبو داود (5124)، الترمذي (2392)، وقال: حسن صحيح.

(2) سعيد بن نِمْران كوفيٌّ سمع أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وشهد اليرموك. ينظر: ثقات ابن حبان (289/4)، الإصابة لابن حجر (587/4).

(3) أخرجه ابن المبارك في الزهد (326)، عبد الرزاق في تفسيره (84/6)، ابن جرير (114/24).

(4) ينظر: كنز العمال (4585).

(5) مسلم (38).

(6) أخرجه الترمذي (2410)، ابن ماجه (3972)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

لا شك فيه أن سلامة القلب هذه علامة حسن الخلُق مع الله بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، ومع الناس بالتعامل الخيّر، وبالتأكيد أن كل هذه الصفات يحتاجها كلُّ ساعٍ لعمل نهضة اقتصادية في بلده؛ إذْ لا يُتصوَّر قلب مريض به أهواء فاسدة، ويسعى لعمل نهضة اقتصادية حقيقية في بلاده.

وعن شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، وكان بدريًّا قال: قال محمد صلى الله عليه وسلم: «يا شدَّادُ إذا رأيتَ الناس يكنزون الذهب والفضة فاكْنِز هؤلاء الكلماتِ؛ اللهم إني أسألك التثبيتَ في الأمور، وعزيمة الرشد، وأسألك شُكر نعمتك، وحسنَ عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وخلقًا مستقيمًا، وأستغفرك لما تعلَم، وأسألك من خير ما تعلَم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلَم، إنك أنت علَّام الغُيوب»[1].

الشاهد أن سلامة القلب أفضل من اكتناز الذهب والفضة، ويُستنزَل بها كل خير للفرد والمجتمع، وفيها السلامة من أدواء القلب، وشروره، ويؤكد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «ألا وإن في الجسد مُضغةً؛ إذا صلَحت صلَح الجسدُ كلُّه؛ وإذا فسَدت فسَد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب»[2].

وكما ذكرنا أن القلب السليم هو القلب الذي يحمل النوايا الطيبة ويسعى لرفعة بلاده اقتصاديًّا واجتماعيًّا، لا أن يقوم مثلًا بتجارة العملة ليُخرّب اقتصاد بلده، أو يشوّه سمعة بلاده بأخلاقه السيئة، أو يسرق المال العامَّ، أو يُهرّب أموالًا إلى الخارج.

18- خلُق العفو:

* جاء في قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133-134].

وهذا الخلق ينال به العبد العزَّة، والأجر العظيم من الله كما جاء في قوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: 40].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[3].

وبخلُق العفو يسود في المجتمع الإخاء، والتراحم، والمودة، ويصبح مجتمعًا مثاليًّا تعلوه الأخلاق، والمثل، وكل ذلك مطلوب من أجل تحقيق تعاون للسعي وراء نهضة اقتصادية.

19- خلُق الرحمة:

* جاء في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 29].

---

(1) أخرجه الحاكم (1872)، وقال: صحيح على شرط مسلم.
(2) البخاري (52، 2051)، مسلم (1599).
(3) مسلم (2588).

وهذا الخُلق يجلب رحمة الرحمن الرحيم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرٍو: «الراحمون يرحَمُهم الرحمنُ ارحَمُوا مَنْ في الأرض يرحَمْكم مَنْ في السماء، الرحمُ شُجنَةٌ من الرحمنِ فمَن وصلَها وصلَه اللهُ ومَنْ قطعَها قطَعه الله» [1].

20- خلُق التعاون والانتماء:

* جاء في قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

هذا الخُلق يجعل لدينا روح الفريق الواحد، وبه ننجز المهام الشاقة؛ لا أن يكون كل فرد بمفرده فلا يستوي العمل الفردي بالعمل الجماعي مطلقًا في نتائجه المرجوة؛ فالعمل الجماعي بدون أدنى شك هو الأفضل، والأحسن للمجتمع بأسره، والواضح في العالم بأسره الآن أنه يتجه اقتصاديًّا نحو المؤسسية، والتكتلات الاقتصادية، وهذا لا يكون إلا بالتعاون المثمر البناء.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدًا، فعليكم بالجماعة فإن يدَ الله على الجماعة»[2].

وهنا يتضح لنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يد الله على الجماعة» أن في ذلك القوة والغلبة وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُؤمِنِينَ في تَراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمَثَلِ الجسدِ إذا اشتكى عُضوٌ منه، تَداعَى له سائرُ الجسدِ بالسهر والحُمَّى»[3].

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخُلق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية) [4].

21- خلُق الإحسان:

* جاء في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} [البقرة: 83].

ولقد أمر الله الناس بالإحسان في كل شيء، فقال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195] ، وعن شدَّادِ بن أوسٍ قال: ثِنْتانِ حفِظتُهما عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتَب الإحسانَ على كُلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحسِنُوا القِتْلةَ، وإذا ذبحتُم فأحسِنُوا الذِّبْحَ؛ وليُحِدَّ أحدُكم شَفْرتَه فليُرِحْ ذَبِيحتَه»[5].

وقوله تعالى: {إِنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56]. فقد اشتملت هذه الآية على باب عظيم من أبواب البلاغة تحته أنواع كثيرة.

---

(1) أخرجه أبو داود (4941)، الترمذي (1924)، وقال: حسن صحيح.

(2) أخرجه الطبراني (13623، 13624)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (218/5): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات، رجال الصحيح.

(3) البخاري (6011)، مسلم (2586).

(4) ينظر: ص177.

(5) مسلم (1955).

قال الإمام السيوطي: "قال الجوهري: ذُكِّرت - أي الرحمة - على معنى الإحسان"[1].

والمعنى: إحسانُ الله تعالي قريبٌ من المحسنين، ولهذا قال الله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله محسن يحب المحسنين». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان علي كل شَيْء»، أي أمر الله عز وجل بالإحسان في كل شَيْءٍ.

و"الإحسان في اللغة: الإتيان بما هو حسن، والإحسان في الشرع هو الإتيان بالحسنات. والحسنات هي: فعل الواجبات، والمستحبات، وترك المحرمات، والمكروهات، وفعل أو ترك المباحات؛ لأنها مباحات مع التصديق بذلك لله تعالى، والإخلاص له فيه، ومع استحضار رؤية الله تعالى، واطلاعه على ظاهره، وباطنه"[2]؛ لقوله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} [الكهف: 110]. وقوله تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون} [البقرة: 112].

وبهذا الخُلُق بحق نعيش في مجتمع مثالي تعمُّه السعادة والهناء، ويأتي أيضًا معنى إحسان العمل والذي مردوده زيادة الإنتاج، وبزيادة الإنتاج يرتفع الناتج القومي، ويحدث التنمية الاقتصادية المرجوة.

22- خلُق الإيثار:

* جاء في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

والإيثار معناه: أن يُبذل الشيء، وهو مُحتاج إليه، فهو يؤثر على نفسه، يعني: يعطي الشيء الذي هو بحاجة إليه، والأنصار رضوان الله عليهم كانت هذه صفتهم، فأثنى الله جل وعلا على من يؤثر غيره على نفسه؛ لأن الحاجة قائمة، ولكنه يقدم فيها غيره من المسلمين.

قال تعالى: {وَآتَى المال على حُبِّهِ} أي بذَلَه رغم فطرة حب المال عند الإنسان، وبذلك يبرز معنى الإيثار {لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92]، و{وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9]. وأعظم الصدقة - كما قال صلى الله عليه وسلم- «أن تَصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمُل الغنى»[3]، أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

وبهذا الخُلُق العظيم يصبح المجتمع مجتمعًا مثاليًّا؛ كما كان عليه الأنصار في المدينة النبوية، خير البشر، وخير أخلاق الإيمان، وأتصور أن مجتمعًا به خلق الإيثار لن يكون فيه مطلقًا سياسة الاحتكار والتي كثيرًا ما تسبب اضطرابات في السياسات الاقتصادية.

23- خلُق القِرَى (إكرام الضيف) :

---

(1) الإتقان (107/2).
(2) العقائد الإسلامية، لابن باديس (53/1).
(3) البخاري (1419)، مسلم (1032).

* جاء في قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ الله ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: 6]. فهذا بيان واضح لخلق إكرام الضيف ولو مشركًا، وذلك إذا طلب منك أن تستضيفه.

* وجاء في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ الله وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ الله وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 60]. فلقد فرض الله عز وجل إكرام ابن السبيل، وإعطاءه حقَّه من مال الزكاة.

* وجاء في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: 59]. فكانت ضيافة يوسف عليه السلام لهم على أفضل ما يكون؛ حيث وصف نفسه بأنه خير من يستضيف الضيف.

وفيه حديث أبي شُريح العدوي قال: سَمِعتْ أذناي، وأبصَرَتْ عيناي حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومٌ وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ...» الحديث[1].

وهذا الخُلق كفيل بإنشاء المودة في قلوب العباد، وصفة الكرم هذه نقيض خُلق البخل، ولا يتصور أن يوجد إنسان بخيل، ويكون محبوبًا من الناس.

ومن الناحية الاقتصادية جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبحُ العبادُ فيه إلا ملَكان يَنزِلان، فيقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا ويقولُ الآخرُ: اللهمَّ أعطِ مُمسِكًا تَلَفًا»[2].

فهذا الحديث كفيل أن يعرفنا أن الكريم يزداد ماله، أما البخيل يتلف ماله.

24- خلُق العفَّة:

* جاء في قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِالله حَسِيبًا} [النساء: 6].

* وجاء في قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ} [النور: 33].

فالمراد بالعفة الكفُّ عن المحرم، وعما لا يجمل أيضًا، أي: عما يكون قبيحًا في أعراف الناس الصحيحة، بمعنى الكف عما لا يتفق مع الذوق العام؛ مما يكون مستهجنًا في وسط المجتمع المسلم.

قال ابن منظور: عفَّ عن المحارم والأطماع الدنية يعفُّ عفَّة وعفًّا وعفافًا وعفافةً، فهو عفيف، وعفَّ إذا كفَّ، أما الاستعفاف فهو طلب العفَّة والعفاف، ولذلك ورد في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم: «ومن يَستعفِفْ يُعِفَّه الله»[3]، أي: ليطلبوا العفَّة والعفاف من طريقه الذي سنشير إلى بعض معالمه وملامحه.

وقيل: الاستعفاف هو طلب العفاف، وهو الكفُّ عن الحرام والسؤال من الناس[4].

---

(1)البخاري (6019)، مسلم (48).
(2) البخاري (1442)، مسلم (1010).
(3) ينظر: لسان العرب (253/9 مادة: ع ف ف) بتصرف.
(4) ينظر: النهاية، لابن الأثير (264/3).

فمعنى العفة الكفُّ عن المحرم الذي حرمه الله سبحانه وتعالى، والاكتفاء بما حل وإن كان قليلًا؛ لأن القليل الذي أحلَّه الله هو الذي يشبع الغريزة، ويطمئن النفس، ولا يحتاج معه العاقل إذا عرف عواقب الأمور إلى زيادة عن هذا الحد المشروع.

وفي مقابل العفة معنًى آخرُ، هو الخسة والدناءة، فثمَّة رجل عفيف ورجل دنيء، والعفة لا يقتصر في معناها على جنس دون جنس، فليست العفة خاصة بالنساء دون الرجال، بل يقال: امرأة عفيفة ورجل عفيف، وكذا فيما يقابلها، ثم أيضًا مما يتصل بمعنى العفة أن نعرف طبيعة النفس الإنسانية، والنفس هي كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم بعض مناحيها بقوله: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تاب»[1]، فطبيعة النفس البشرية أنها لو تركت لهواها لا تشبع.

فالعفة التي هي اقتصار على القليل الكافي هي أمر فيه نوع من التربية والتهذيب للنفس، أما لو تركت النفس كما تشاء فإنها لا تقتصر على العفة، بل تتجاوزها إلى ما وراءها.

فإذًا العفة تقبض النفس التي في أصل طبيعتها نهمٌ وشغفٌ لا ينتهي مطلقًا، وإن كان النهم في بعض الجوانب يستحسن.

كما ورد أيضًا في حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «منهومان لا يشبعان منهوم في العلم لا يشبع منه ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها»[2].

فطلب العلم أصله صحيح، والنهم فيه محبوب، وطلب الدنيا أصله صحيح، ولكن النهم فيه غير مرغوب؛ لأنه لا ينتهي إلى حد، ولا يزال الأمل بالإنسان حتى يقطعه الأجل.

وهذا الخلُق من الناحية الاقتصادية له علاقة بالإسراف، فالنهم في أمور الدنيا قد يجعل هناك نوع من السرف، وهذا النوع من السرف يؤدي إلى عواقب وخيمة للاقتصاد القومي، وضياع مليارات من الأموال يمكن أن تنفق في أمور أخرى، ويكون لها مردود اقتصادي أفضل.

25- خلُق القصد في المشي والخفض من الصوت:

* جاء في قوله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 19].

وقوله: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي: امش مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلًا وسطًا بين بين.

وقوله: {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه؛ ولهذا قال تعالى: {إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي: غاية مَنْ رفع صوته أنه يُشَبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى[3].

---

(1) البخاري (6439)، مسلم (1048).

(2) أخرجه الحاكم (312)، البيهقي في شعب الإيمان (10279)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(3) تفسير ابن كثير (339/6).

وهذه أخلاق تدل على التحضر والرقي، وخلافها يدل على التأخر والتخلُّف، وكل ذلك له أثره على أخلاقيات المجتمع ككل، وبالتالي على ثقافتها، ولا تقدُّم اقتصادي بدون تحضر ورقي، وأخلاق، لأنه كما ذكرنا من قبل أن الاقتصاد مبني على الأخلاق.

26- خلُق السكينة:

* جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: 4]، وقوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26].

قال ابن جرير بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى السكينة: "وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح؛ من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها، وذلك أن السكينة في كلام العرب (الفعيلة) من قول القائل: سكن فلان إلى كذا وكذا، إذا اطمأن إليه وهدأت عنده نفسه"، وما أحوج الأمة الإسلامية لهذا الخلق[1].

وعن الأغرّ أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شَهِدَا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وهذا الخلُق بخلاف التهور، والاندفاع، والمطلوب عند اتخاذ القرارات هو السكينة لاسيما القرارات الاقتصادية، لا أن تكون قرارات فيها اندفاع وتهور.

27- خلُق القصد والاعتدال في الأمور:

* جاء في قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29]، وفي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

روي عن عكرمة، وقتادة، والسُّدِّي، ومجاهد، والضحاك وقرأ: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29]. يعني: أنه ينهى عن البخل وعن التبذير، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله، وعبَّر عن البخل بقوله: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}[3].

والقصد في الفقر والغنى هو أحد الثلاث المنجيات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[4]، وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل ربَّه عز وجل القصد في الفقر والغنى كما جاء في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه[5].

---

(1) عقيدة أهل السنة، لناصر بن علي (202/1). وينظر: تفسير الطبري (471/4).
(2) مسلم (2700).
(3) تفسير ابن كثير (146/3).
(4) أخرجه البزار (6491)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (654).
(5) أخرجه أحمد (18351)، النسائي (1305)، قال الشوكاني في نيل الأوطار (342/2): رجال إسناده ثقات.

فخلُق الاعتدال هو رأس الأمر، وأصل النجاح، والسداد في كل شيء، ولا يتصور اقتصاد ناجح إلا وأن يكون اقتصاد فيه اعتدال، لا إفراط ولا تفريط، والوسطية منهج شامل في كل جوانب الدين، وأيضًا في الاقتصاد.

28- خلُق شكر النعمة:

* جاء في قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103].

* وجاء في قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: 26].

* وجاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: 3].

* وجاء في قوله تعالى: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: 34].

فالآيات الدالة على نعم الله كثيرة، وهذه النعم تحتاج إلى شكر المنعم، قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13].

فشكر نعم الله يلزمه عمل باللسان والقلب والجوارح. وبالعمل يكون النصرة والتمكين لهذا الدين.

وقال البيهقي: "أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السري يقول: من أدَّى الفرائض واجتنب المحارم، وشكر النعمة عنده فما عليه لأحد سبيل، وقال: الشكر على ثلاثة أوجه: شكر اللسان، وشكر البدن، وشكر القلب؛ فشكر القلب تعلم أن النعم كلها من الله عز وجل، وشكر البدن أن لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا في طاعته أن عافاه الله، وشكر اللسان دوام الحمد عليه"[1].

والواضح من الآية {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13] أن الشكر لا بد أن يترجم إلى عمل، والعمل في الحقل الاقتصادي أحد مجالات العمل الذي به نشكر الله على نعمه، ومن يَعِ هذه الآية يحتسب عمله أنه شكر لله، ولو كان بأي مساهمة في رفعة اقتصاد الأمة الإسلامية.

29- خلُق الصبر:

* جاء في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: 45].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 153].

وقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 155].

---

(1) شعب الإيمان (4566).

وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلَا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} [البقرة: 214].

وآيات كثيرة جاءت في الصبر، والحض عليه، وسبله، وإثبات معية الله بتوفيقه، وسداده للصابرين، والبشرى للصابرين، ونعيم الجنة لهم، كما في قوله تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان: 12-22].

وهل يكون النجاح والفوز في الدنيا والآخرة إلا بالصبر، فكما قال الفاروق عمر رضي الله عنه: "وجَدْنا خيرَ عَيشِنا بالصبر"[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نَفِد ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يُعفَّه الله، ومن يستغن يُغْنه الله ومن يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر»[2].

ومن الناحية الاقتصادية نجد أنه لا مجال للتقدم الاقتصادي إلا بتخطي الصعاب، والصبر على العمل لزيادة الإنتاج، لرفع معدلات التنمية الاقتصادية، وتحقيق التقدم المنشود.

30- خلُق كظم الغيظ:

* جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134].

وقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: 126].

فلقد ندب الله عز وجل إلى كظم الغيظ، والصبر على الآخرين، وتحمل أذاهم، وهذا الخلُق فيه من الفوائد العظيمة في الدنيا بنيل محبة الناس، وفي الآخرة بالفوز بما عند الله من خير، ويكفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب فضل من كظم غيظه عن سهل بن معاذ بن أنس الجهيني، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه

---

(1) أخرجه البخاري تعليقًا (99/8)، ووصله الإمام أحمد في الزهد (612)، وصحح ابن حجر إسناده في فتح الباري (303/11).

(2) البخاري (1469)، مسلم (1053).

وآله وسلم قال: «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أيِّ الحور شاء»[1].

ومن نظر بعين ثاقبة إلى هذا الخُلق يجد أنه تمرين من تمارين الصبر، والصبر بكل أنواعه مطلوب لتحقيق الأمل المنشود في زيادة الإنتاجية ورفع مستوى التنمية الاقتصادية.

31- خُلق العدل والإقساط:

* جاء في قوله تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف: 29].

* وجاء في قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: 8].

وعن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلامى من الناسِ عليه صدقةٌ كُلَّ يومٍ تَطلُعُ فيه الشمسُ يَعدِلُ بين الاثنين صدقةٌ، ويُعِينُ الرجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ عليها أو يرفعُ عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوةٍ يخطُوها إلى الصلاةِ صدقةٌ ويُمِيطُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ»[2].

والقسط يعني العدل، وهذا الخُلق ينبغي أن يكون على مستوى الحكام، والأفراد، والأسر، والجماعات؛ فخُلق العدل أمرنا الله به على كل الأصعدة، ولو تكلمنا عن العدل نجد أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالعدل في كل شيء في القول، وفي الحكم، وفي كتابة الديون، وعند الإصلاح بين الناس، وأمر بالعدل في كل شيء، ووعد القائمين بالعمل بدون عدل بالويل.

فالأمر بالعدل في القول: جاء في قوله تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152].

فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعدل ولو مع ذوي القربى، وهذه وصية من الله، فالعدل به تستقيم الأمور.

والأمر بالعدل في الحكم: جاء في قوله تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58].

والأمر بالعدل في كتابة الديون: جاء في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ} [البقرة: 282].

والأمر بالعدل عند الإصلاح بين الناس: جاء في قوله تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: 9].

والأمر بالعدل في كل شيء: جاء في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].

---

(1) أخرجه أبو داود (4777)، الترمذي (2021)، ابن ماجه (4186)، وقال الترمذي: حسن غريب.

(2) البخاري (2989)، مسلم (1009).

ووَعْدُ القائمين بالعمل بدون عدل بالويل: جاء في قوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين: 1-3].

ومما سبق يتضح مدى أهمية العدل، والذي فُرض في كل الأحوال مع الأولاد، ومع الزوجات عند التعدد، ومع الناس جميعًا، ولن نضرب إلا مثالًا واحدًا وهو: أن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، وهذا بين في اقتصاد دول كثيرة كافرة ولكن فيها العدل، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، وهذا واضح في اقتصاد كثير من الدول العربية والإسلامية.

"وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلق"[1].

32- خُلق التواضع:

* جاء في قوله تعالى: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88].

* وجاء في قوله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37].

* وجاء في قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63].

وعن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه –قال: لا أعلمه إلا رفعه- قال: «يقول الله تبارك وتعالى: من تَواضَعَ لي هكذا -وجعَل يزيدُ باطنَ كفِّه إلى الأرض وأدْنَاها إلى الأرض- رفعتُه هكذا، وجعَل باطنَ كفِّه إلى السماءِ ورفعَها نحوَ السماء»[2].

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يدخلُ الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعلُه حسنةً، قال: «إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبر: بطَرُ الحقّ، وغَمْط الناسِ»[3].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقةٌ من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ،وما تواضَع أحدٌ لله إلا رفعه الله"[4].

والتواضع لله يأتي به الرفعة، فليت هذا الخُلق في قلوب كل المسلمين، ليكون به الرفعة، والناظر بتأمل في هذا الخُلق أن المتواضع يأمُل في أن يكون أفضل بخلاف المتكبر يرى نفسه الأفضل؛ فالمتواضع يزداد أملًا في تحقيق المزيد من التقدم، سواء على المستوى العلمي أو الثقافي أو الاقتصادي بخلاف المتكبر.

33- خُلق الإيفاء بالعهد:

* جاء في قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: 4].

---

(1) ينظر: (ص192).

(2) أخرجه أحمد (11299)، قال ابن كثير في مسند الفاروق (44/3): إسناد جيد.

(3) مسلم (91).

(4) المصدر السابق (2588).

* وجاء في قوله تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 76]، والآيات في الإيفاء بالعهد، والأمر به كثيرة، ويكفي أنها من صفات المتقين، وأنها تستجلب محبة الله.

وحديث أبي هريرة عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «آية المُنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤتُمِن خان»[1].

وفي الوفاء بالعهد مع الأعداء: جاء عن حذيفةَ بنِ اليَمانِ قال: ما منعنِي أن أشهد بدرًا إلا أنِّي خرجتُ أنا وأبي –حُسيلٌ- قال: فأخذنا كفارُ قريشٍ، قالُوا: إنكم تُرِيدُون محمدًا، فقُلنا: ما نُرِيدُه ما نُرِيدُ إلا المدينة. فأخذُوا منَّا عهد الله ومِيثاقه لننصرِفنَّ إلى المدينةِ ولا نقاتلُ معه، فأتينا رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناهُ الخبر، فقال: «انصَرِفا نفي لهم بعَهْدِهم ونستعينُ الله عليهم»[2].

وهذا الخُلُق من الناحية الاقتصادية يزيد الثقة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على زيادة حبال الثقة، وبالتالي زيادة التعاملات الاقتصادية والتجارية.

34- خلُق النظافة:

* جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: 1-4].

* وجاء في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31].

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحبُّ الجمال»[3].

الشاهد أن الله يحب من يتجمل في ثوبه ونعله.

وهنا نجد أن مردودًا اقتصاديًّا كبيرًا يُهدر بسبب عدم الانضباط السلوكي للنظافة في الشوارع، وذلك حيث تقل أفواج السائحين، وتقل تعاقداتهم بسبب استيائهم من المنظر غير الحضاري لعدم نظافة الشوارع، وأيضًا يحدث إهدار في ميزانية الدولة بسبب ذلك للإنفاق على وزارة الصحة بسبب الأمراض الناتجة عن ذلك، ذلك فضلًا عن الصد عن سبيل الله وهداية غير المسلمين لأنهم يقولون: أهكذا سلوكياتهم، ولم يعلم هؤلاء أن نبيَّنا الكريم صلى الله عليه وسلم أمرنا بتطهير ساحات البيوت، فقال: «طَهِّرُوا أفنيتَكم، فإن اليهودَ لا تُطهِّر أفنيتَها»[4].

وصدق من قال: الحمد لله أن عرفت الإسلام قبل أن أتعرف على أخلاق المسلمين، لأننا في فجوه هائلة بين تعاليم ديننا، وما عليه سلوكنا.

---

(1) البخاري (33)، مسلم (59).
(2) مسلم (1787).
(3) مسلم (91).
(4) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4057)، قال الهيثمي في المجمع (286/1): رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخُلق في مبحث مستقل (مبحث أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية) (بعنوان ترسيخ خُلق النظافة وأثره على التنمية الاقتصادية)[1].

35- خُلق البر:

جاءت كلمة البر في القرآن بأكثر من معنًى نجملها في الوجوه الآتية[2]:

1- الطاعة:

ومنه قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

قال القاسمي في تفسيره: "ليس الصلاح والطاعة والفعل المرضي في تزكية النفس -الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر- هو أمر القبلة ، ولكن البِرَّ الذي يجب الاهتمام به هو هذه الخصال التي عدَّها جل شأنه"[3].

ومنه قوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى} [البقرة: 189].

ومنه قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2]. "حيث يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على الطاعة وفعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل"[4].

ومنه أيضًا قوله تعالى: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} [مريم: 14].

قال ابن درستويه: "بَرِرْتُ والدي أبَرُّه، وبَرِرْتُ في حديثي ويميني فهما في معنى صدق المودَّة والطاعة"[5].

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البرُّ حسن الخلُق، والإثمُ ما حاك في صَدْرك وكَرِهتَ أن يطَّلع عليه الناس»[6]. فجعل صلى الله عليه وسلم البر نقيض الإثم.

2- الصلة:

ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا } [البقرة: 224]، يعني: لئلا تصلوا القرابة[7].

---

(1) ينظر: (ص254).
(2) ينظر: الوجوه والنظائر لهارون (ص348)، الوجوه والنظائر للدامغاني (ص162)، وجوه القرآن للحيري (ص71)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص191).
(3) محاسن التأويل، للقاسمي (481/1).
(4) تفسير ابن كثير (12/2).
(5) تصحيح الفصيح، لابن درستويه (ص67).
(6) مسلم (2553).
(7) ينظر: الوجوه والنظائر، للدامغاني (ص162).

ومنه قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: 8]، يعني: أن تصلوهم[1].

3- الجنة:

وجاءت كلمة البر بمعنى الجنة[2]، كما في قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: 92]. وكأن خلُق البِر لما كان سببًا من أسباب الوصول إلى الجنة، سميت به، وهذا يسمونه علماء البلاغة مجازًا مرسلًا.

ومن ثَمَّ نجد أن خلُق البرّ ينحصر في معنيين؛ الطاعة بجميع أنواعها ودرجاتها والصلة بجميع صورها، وهذان المعنيان لهما أثرهما بلا ريب على الناحية الاقتصادية والتنمية والنمو والتقدم الاقتصادي.

36- خلُق الرفق:

ومما ذكر في خلُق الرفق: حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانَه، ولا ينزع من شيء إلا شانَه»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أُعطِي أهلُ بيتٍ الرفقَ إلا نفعهم»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أُعطي حظَّه من الرفق أُعطي حظَّه من خير الدنيا والآخرة، ومن حُرم حظَّه من الرفق حُرِمَ حظَّه من خير الدنيا والآخرة، وصلةُ الرحم وحسنُ الخلُق وحسنُ الجوار يَزِدْنَ في الأعمار، ويُعمِّرن الديار»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يُحرَمِ الرفقَ يُحرَمِ الخيرَ»[6]. وقال: «مهلًا يا عائشة إن الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه»[7]. وقال: «يا عائشةُ، إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه»[8].

ومما تقدم يتضح مدى عظم هذا الخلُق خلُق الرفق ففيه الخير، والنفع في الدنيا والآخرة، ويكفي أنه خلُق يحبه الله سبحانه كما ذُكر سالفًا، وأيضًا هي صفة لله أنه رفيق كما جاء بالحديث، والذي يدقق في معنى هذا الخلُق يجد أنه عكس الشدة والعنف، والشدة والعنف عواقبها غير محمودة، ولو نظرنا إلى الجانب الاقتصادي نجد أن الشديد

---

(1) ينظر: الوجوه والنظائر، لمقاتل البلخي (ص138).
(2) ينظر: وجوه القرآن للحيري (ص71)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (ص191).
(3) مسلم (2594).
(4) أخرجه الطبراني (13261) قال الهيثمي (19/8): رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج السامي، وهو ثقة.
(5) أخرجه أحمد (25298)، والشجري في أماليه (177/2)، واللفظ له. وينظر: علل الدارقطني (227/8).
(6) مسلم (2592).
(7) البخاري (6024، 6395).
(8) البخاري (6927)، مسلم (2165).

العنيف الطبع يبغضه الناس، ولا يألفونه، والألفة كما ذكرنا من قبل أحد دواعي النجاح في العمل، وبالتالي زيادة التنمية الاقتصادية، والتقدم الاقتصادي.

والرفق إذا كان بالإنسان تجاه غيره؛ فمن الأولى أيضًا أن يكون رفيقًا بنفسه؛ فلا يعرضها للمهالك بعصيان الخالق، ولا ننسى جانب الرفق بالحيوان؛ فقد جاء في الحديث: «أن امرأة دخلت النار في هرَّة حبستها ولم تتركها تأكل من خَشاش الأرض فماتت»[1]، و«بغي دخلت الجنة في كلب رفقت به لشدة عطشه سقته، فكان سببًا في دخولها الجنة»[2].

37- خُلُق توقير الكبير والعطف على الصغير:

مما جاء في هذا الخلق ما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[3].

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملَ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط»[4].

قال صاحب عون المعبود: "(إن من إجلال الله) أي: تبجيله وتعظيمه (إكرام ذي الشيبة المسلم) أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه، ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله"[5]. ا هـ.

وهذه الأخلاق في التجارة والعمل والاقتصاد كفيلة بكسب قلوب الآخرين، وبالتالي تحقيق التنمية المنشودة.

38- خُلُق الحياء:

* جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: 53].

وجاء عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استَحْيُوا من الله حقَّ الحياء»، قال: قلنا: يا رسولَ الله إنَّا نستَحْيي والحمدُ لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء أن تحفظ الرأسَ وما وعَى، والبطنَ وما حوَى، ولْتَذْكُرِ الموتَ والبِلَى، ومن أراد الآخرةَ ترَك زينةَ الدنيا، فمن فعَل ذلك فقد استَحْيا من الله حقَّ الحياء»[6].

ولو تأمَّلنا معنى الحديث: أن تحفظ الرأس وما وعَى فالرأس به العينان، واللسان والشفتان، والأذنان؛ فهذه الحواسُّ جميعها لكي تكون موصوفة بالحياء ينبغي أن يتم

---

(1) البخاري (3482)، مسلم (2242).
(2) البخاري (3467)، مسلم (2245).
(3) أخرجه أبو داود (4943)، الترمذي (1920)، وقال: حسن صحيح.
(4) أخرجه أبو داود (4843)، وحسَّن إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (1700).
(5) عون المعبود (132/13).
(6) أخرجه أحمد (3671)، الترمذي (2458)، وحسَّن النووي إسناده في خلاصة الأحكام (3160).

حفظها من الآثام، وينبغي أن تكون هذه الحواسُّ عاملةً في مرضاة الله، بعيدةً عمَّا لا يرضاه، وهذا يشمل البعد عن كل المعاصي والذنوب التي تُقترَف بهذه الحواس، أما حفظ البطن فتعني أن لا تأكل إلا الحلال، ولا تدخل فيها الحرام، أو ما جاء عن طرق حرام، وأيضًا كثرة ذكر الموت والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا.

وخلق الحياء يجمع كل الأخلاق الحسنة، والحياء لا يأتي إلا بخير، وكما جاء في الحديث: «إن الله حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يحبُّ الحياء والسَّتْر فإذا اغتسل أحدكم فليسْتَتر»[1]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما كان الفحش في شيء قطُّ إلا شانه، وما كان الحياء في شيء قطُّ إلا زانه»[2]. والمجتمعات المعاصرة تفتقر لهذا الخلق خاصةً بين النساء، فانظر إلى وصف القرآن لإحدى ابنتي شعيب عليه السلام: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: 25].

فهيهات أن تجد نساء هذا الزمان بهذا الخُلق إلا القليل منهن.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، فأفضلُها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان»[3].

فلن يكتمل إيمان عبد إلا بهذا الخلق؛ الله أسأل أن يمُن على المسلمين بهذا الخُلق والذي به ستستقيم أخلاق أخرى كثيرة مما سبق ذكرها.

39- خلُق الحب في الله والبغض في الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي»[5].

وهذا الخُلق له علاقة بالانتماء الاقتصادي، فليس هناك شخص يحب المسلمين ويريد لهم النماء والتقدم، إلا ويكون انتماؤه للأمة الإسلامية، فمهما سافر أو تعلَّم من الغرب فإنه يعود ليُفيد المسلمين، بخلاف الذي يخالف هذا الخُلق لا يكون عنده انتماء اقتصادي للأمة الإسلامية، وأكبر شاهد على ذلك الطيور المهاجرة، حيث إن 60 بالمائة من علماء الولايات المتحدة الأمريكية من المسلمين والعرب، ونقول: أين حبُّهم في الله للأمة الإسلامية؟! وأين ثمرة علومهم كنتاج للدول الإسلامية؟! وهذا باستثناء القليل من العلماء مثل دكتور زويل وآخرين.

40- خلُق الإتقان:

---

(1) أخرجه أحمد (17999)، أبو داود (4012)، النسائي (406).
(2) أخرجه الترمذي (1974)، ابن ماجه (4185)، وقال الترمذي: حسن غريب.
(3) البخاري (9)، مسلم (35)، واللفظ له.
(4) أخرجه أحمد (21341). قال الهيثمي في المجمع (90/1): فيه رجل لم يسم وللحديث أطراف أخرى منها: «أفضل الأعمال الحب في الله».
(5) مسلم (2566).

وعن شدَّاد بن أوسٍ قال: ثِنْتانِ حَفِظتُهما عن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتَب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتُم فأحسِنُوا القِتْلة وإذا ذبحتُم فأحسِنُوا الذَّبْح وليُحِدَّ أحدُكم شَفْرته فليُرِح ذبِيحتَه»[1].

واقتصاديًّا نَلْحَظ أن معدلات التصدير للخارج من قبل الدول العربية والإسلامية قليل جدًّا بسبب قصور في الاهتمام بهذا الخُلق بجانب عوامل أخرى مثل نقص التجربة التكنولوجية وغير ذلك.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخُلق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية) [2].

41- خلُق التثبُّت:

فقد أرشدنا الله الحكيم سبحانه إلى التحلي بخلق التثبت قبل الحكم على الأشياء، وجاء ذلك في القرآن الكريم في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: 6].

وهذا الخلق من أسس العدل في الحكم على الأشياء، والعدل بدون تثبُّت وتبيُّن لا يُقام في أي مجتمع ولا يتحقق، وهذا الخُلق مطلوب دائمًا عند التعامل في جميع الأمور.

* وجاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 94].

وهذا الخُلق له مردود اقتصادي عندما نعلم أن هناك شائعات تقوم بعض الجهات المعادية للإسلام بنشرها، وعند عدم التثبت من هذه الشائعات، قد تؤثر سلبًا على الاقتصاد فلو جاءت شائعة بأن سعر الدولار سيصل 40ج خلال سنة، تجد أناسًا ينشرون الخبر لعدم تثبتهم للأمر، ويأتي أناسٌ في انتمائهم وهن، يقومون بجمع العملة من السوق بشكل أو بآخر، فتكون الشائعة التي لم يتثبت منها أحد سببًا في زيادة الطلب على العملة الأجنبية، وبالتالي قلة المعروض فتحدث الأزمة الاقتصادية في العملة الأجنبية.

42- خلُق حُسن العهد:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة، ولقد هلَكت قبل أن يتزوَّجني بثلاث سنين، لما كنتُ أسمعُه يذكرُها، ولقد أمرَه ربُّه أن يُبشِّرَها ببيتٍ في الجنة من قصَب، وإن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَذْبحُ الشاة ثم يُهدي في خُلَّتها منها" [3].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "استأذنت هالة بنتُ خويلد، أخت خديجة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرَف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: «اللهم

---

(1) المصدر السابق (1955).
(2) ينظر: (ص170).
(3) البخاري (6004)، مسلم (2435).

هالةُ». قالت: فغِرتُ، فقلت: ما تذكُر من عجوزٍ من عجائزِ قريش، حمراءِ الشِّدْقين، هلَكت في الدهر، قد أبدلَك الله خيرًا منها" [1].

43- خلُق الحرص على الآخرين:

* جاء في قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128].

فالحرص على الآخرين صفة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وهو لنا قُدوة في أن يَحرِصَ كلٌّ منَّا على أخيه، ألم يقل لنا: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»[2].

والمدقِّق في هذا الخلُق يجدُ أن له مردودًا اقتصاديًّا كبيرًا، لأنه بخلاف الأنانية، فانظر مثلًا إلى ارتفاع سعر الدولار في الآونة الأخيرة في مصر، تجد أنك بمنأى عن هذا الخلُق، لأن أصحاب رءوس الأموال والتجارات كان همهم الأكبر هو تحقيق الزيادة في تجارتهم باقتناء الدولار والمحافظة على أكبر قدر منه، ولم يفكر إلا القليل منهم في أن هذا قد يسبب هزة اقتصادية قوية للاقتصاد القومي، ويؤثر على ارتفاع الأسعار، ومن هنا نجد مدى ضرورة وأهمية ترسيخ هذه الأخلاق في النفوس.

فما أروع هذه الأخلاق! وما أعظم التحلِّي بها! وما أحوجنا جميعًا إلى ترسيخها في نفوس أولادنا، وشبابنا، وفتياتنا، والأمل موجود في ذلك، والصبر معقود لنيل هذه الأمنية لنعيش في مجتمع رأس ماله الأخلاق، ويكون كيانه ووجدانه اتباع آيات محكمات واتباع هدي من أنزل عليه آخر الرسالات عليه أفضل الصلوات والتسليمات.

وبهذا العرض نكون قد أشرنا إلى حُزمة من الأخلاق الكريمة التي لو تمسك بها المجتمع المسلم لأصبح مجتمعًا أكثر تحضرًا ورقيًّا، وسعادةً ونعيمًا، ثم بعد ذلك ننتقل إلى الحديث عن مجموعة من الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك في المبحث التالي، إن شاء الله تعالى.

---

(1) البخاري (3821)، مسلم (2437).
(2) البخاري (13)، مسلم (45).

المبحث الثالث
الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة

المبحث الثالث
الأخلاق الذميمة التي حذَّرنا منها القرآن والسنة

بعد أن تكلمنا عن مفهوم الأخلاق والقيم، ثم قدَّمنا عرضًا تفصيليًّا للأخلاق الحسنة في القرآن والسنة يجدر بنا أن نشير إلى الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها الله في كتابه، وحذرنا منها رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة؛ لأن بدون معرفة الخبيث من الطيب، يكون من الصعب توقِّي الأخلاق الذميمة، ولأن منهج البحث يتناول ترسيخ القيم الأخلاقية؛ فلا بد من تناول الأخلاق الحسن منها ونقيضه، ولقد جاءت الآيات القرآنية معبرة تعبيرًا واضحًا عن هذه الأخلاق بما فيه الكفاية للحذر منها، ولكن هذه الآيات القرآنية تحتاج لبيان وتفصيل، وهذا ما سنتناوله بفضل الله ومنَّته؛ إذ إنه من خلال اطلاعي المتواضع وجدت من يتعرض للحديث عن الأخلاق، فإنما يسلط الضوء على الأخلاق الحميدة فقط، ولا يتعرض للذميم منها؛ وهذا يُذكِّرنا بقول "حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر، وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته؛ لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه، كما قال الشاعر:

عَرَفتُ الشرَّ لا للشرْ.... رِ لَكِنْ لتَوَقِّيهِ
ومَنْ لا يَعرِفِ الشرْ ... رَ مِنَ الناسِ يَقَعْ فِيهِ (1)

وينبغي فهم هذين البيتين فهمًا صحيحًا، وهو أن معرفة هذه الأخلاق الذميمة أمرٌ واجب على كل مسلم حتى يتجنبها، وإلا فمن السهولة أن يقع في مخالفة لأوامر الله.

وهذه الأخلاق الذميمة سنتناولها من خلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، النبعين الصافيين اللذين ليس فيهما أي كدر، ولست مع من يقول هذه الأبيات:

عَرَفتُ الشرَّ لا للشرْ.... رِ لَكِنْ لتَوَقِّيهِ
ومَنْ لا يَعرِفِ الشرْ ... رَ مِنَ الناسِ يَقَعْ فِيهِ

ثم يأتي ليتعلم علومًا تخالف المنهج، وتخالف الشرع؛ كمن يأخذ الشيطان من عقله وفكره نصيبًا، وتراوده نفسه أن يتعلم السحر مثلًا ويتدرب عليه، فالعلم المقصود تعلمه في كلامي هو العلم النابع من الوحيين القرآن والسنة.

وهذا واضح بيِّن ويفسره أيضا: "أن أهل النجاة هم العالمون بالصلاح من الفساد عند اختلاف الناس؛ فمن لم يعرف الحق وقع في الباطل؛ ومن عرف الباطل اجتنبه، ومن الأدعية المعروفة اللهم أرنا الحق حقًّا، وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وألهمنا اجتنابه؛ فمن لزم الحق لم يضرَّه قلة العمل، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع"(2).

والظاهر للجميع أن المجتمعات الإسلامية قد وقعت في كثير من الخلل في حياتها الاجتماعية والاقتصادية عندما غفلت عن هذا الجانب، ولم تعطِه العناية الكافية لتعلمه لأبنائنا وبناتنا في مراحل حياتهم التعليمية بالشكل المناسب.

والأخلاق الذميمة: هو كل خُلُق ينافي أو يضاد الأخلاق الحسنة.

---

(1) التبصير في الدين، للطاهر الإسفراييني (ص15).

(2) مختصر الأحكام، للطوسي (ص36).

وسنتناول شيئًا من هذه الأخلاق التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى، أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

الجزاء على مساوئ الأخلاق:

* جاء في قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 123]، أي: " أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كلُّ من ادعى شيئًا حصل له بمجرد دعواه"[1].

فليس الأمر بالتمني، وإنما بالعمل، والتكليف مناط الجزاء، والإساءة يجازى عليها العبد لا مفر من ذلك سواء أساء في تصرفاته، وأخلاقه، أو أساء بمخالفة أمر تعبدي مع ربه سبحانه وتعالى، ولتجنب العمل السوء يلزمنا العلم بما في هذه الآيات الكريمة من صفات حذرنا منها رب البرية سبحانه.

ويقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ الله مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [يونس: 27].

فأصحاب الخُلق السيئ من جملة الذين كسبوا السيئات، وهنا جاء الوعيد الشديد بأنهم أصحاب النار، وسوف نسرد الآن بعض الأخلاق الذميمة التي تستوجب النار:

1- نوع من الأخلاق الذميمة:

ما جاء سرده في سورة الأخلاق (سورة الحجرات) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 11-12].

فهذه الآيات جمعت حُزمة من الأخلاق الذميمة الواجب على المسلم والمسلمة تجنبها، وهي: السخرية - اللمز - التنابز بالألقاب - سوء الظن- التجسس - الغيبة.

2- خلق الفضول:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا الله عَنْهَا وَالله غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة: 101].

هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا {عَنْ أَشْيَاءَ} مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم، وشق عليهم سماعها، كما جاء في الحديث: «إن أعظم المسلمين جرمًا، من سأل عن شيء لم يحرَّم، فحُرِّم من أجل مسألته»[2].

---

(1) تفسير ابن كثير (417/2).

(2) البخاري (7289)، مسلم (2358).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يُبلغني أحد عن أحد شيئًا، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[1].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أنه ليس عنده فضول ليسمع ما يقوله الآخرون، ولا يحب أن يبلغه أحد عما يفعله أو يقوله أصحابه رضوان الله عليهم.

وعن أنس بن مالك قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم خُطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»، قال: فغطَّى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين. فقال رجل: من أبي؟ قال: "فلان"، فنزلت هذه الآية: {لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.. }[2].

ومن المعروف أن هناك فضولًا مذمومًا كما سبق، ولكن هناك فضول محمود مثل الفضول في طلب العلم {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114]، والفضول في كل ما فيه أخذ بأسباب النجاة من النار، والوصول إلى الجنة، وكما جاء في الحديث: «منهومان لا يشبع طالبهما طالب علم وطالب الدنيا»[3].

فالأول فضول في طلب العلم محمود، والآخر فضول في طلب الدنيا مذموم خاصة إذا كان بدون علم لأن عواقب النهم على الدنيا بدون علم؛ يجعله يقترف الخطايا، والمعاصي، والذنوب، وتكون لعنة على صاحبه؛ أما إذا كان نهم في الدنيا بعلم، ومن أجل تحصيل مرضاة الله فلا بأس؛ كما جاء أنه نعم المال الصالح للعبد الصالح، والمال الصالح هو الحلال الطيب، والعبد الصالح هو الذي أصلحه الله بالعلم، والتقوى، ونفسه صالحة، وليست خبيثة تسعي في الدنيا لمرضاة الله.

وهنا المردود الاقتصادي واضح عندما تزداد الرغبة في الدنيا، والنهم عليها يحدث الإسراف وبالإسراف نبعد عن تحقيق الاقتصاد المأمول، وسبق ذكر أن الوسطية في الاقتصاد مطلوبة بلا إسراف أو تقتير.

3- خلق الاختيال والعُجب:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا الله وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36].

وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ الله يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 49].

وقوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18].

وقوله تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 23].

---

(1) أخرجه أحمد (3759)، أبو داود (4860)، الترمذي (3896)، وقال: غريب.

(2) البخاري (1044)، مسلم (901).

(3) أخرجه الطبراني (10388)، وضعف إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (3004).

فالآيات السابقة توضح أن الله لا يحب هذه الصفات، كما تأمرنا بعدم تزكية النفس سواء أنفسنا أو غيرنا، بل نقول: نحسبه على خير، ولا نزكي على الله أحدًا؛ لأن قول الله تعالى واضح صريح: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32].

والخيلاء كلها مذمومة إلا في موضعين؛ في الجهاد والصدقة، كما جاء في حديث جابر بن عتيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن من الخيلاء ما يبغضُ الله، ومنها ما يحبُّ الله، فأما الخيلاء التي يحبُّ الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي»[1].

قال الخطابي: "معنى الاختيال في الصدقة أن يهزه أريحية السخاء فيعطيها طيبة نفسه بها من غير منٍّ ولا تصريد[2]. واختيال الحرب أن يتقدم فيها بنشاط نفس وقوة جنان ولا يكبع[3] ولا يجبُن"[4].

4- خلق التكبر:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34].

فالتكبر ميراث إبليس، وكل من يتكبر على أوامر الله، ويُعرض عنها فهو من جند إبليس وأتباعه.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جميعًا} [النساء: 172].

فعزُّ الإنسان كلُّه في عبوديته لربه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، أما التكبر عن عبادة الله فيورث النار، والعياذ بالله، كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

وقال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: 83].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [السجدة: 15].

فالخضوع والذلُّ بين يدي الله هو دليل الإيمان بآيات الله سبحانه وجاء في ذلك قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 72].

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[5].

واتضح لنا أن خُلُق التواضع الذي هو نقيض الكبر كيف يؤدي للرفعة، وتم تحليل ذلك حيث إن المتكبر يرى نفسه لا أحد فوقه، بخلاف المتواضع يسعى بكد واجتهاد،

---

(1) أخرجه أبو داود (2659)، النسائي (2558). قال ابن حجر في الإصابة (127/2) في ترجمة جابر بن عتيك: «إسناده صحيح».

(2) التصريد: صرَّد له العطاء أي قلَّله. ينظر: شمس العلوم، للحميري (6/ 3732).

(3) الكبع: المنع. المصدر السابق (5747/9).

(4) معالم السنن (2/ 276).

(5) مسلم (91).

ولا يرى لنفسه شأنًا مهما وصل إلى أعلى الدرجات، وهذا مطلوب في العمل الاقتصادي؛ إذ يصل به الإنسان إلى أعلى معدلات التنمية الاقتصادية.

5- خلق الغرور:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185].

فالذي يتمتع بالدنيا، ويُعرض عن الآخرة؛ إنما هو قد انغمس في دار الغرور، وهو أيضًا يتصف بالغرور لأنه غُر بهذه الدنيا الزائفة فهو مغرور بالفاني عن الباقي.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: 120].

فالأماني الزائفة بالانشغال عن الدار الآخرة، والانغماس في الدنيا الفانية بدون اعتدال هذا من تسلط الشيطان على بني البشر، فكل تسويف للخير من الشيطان، وكل ابتعاد للإنسان عن الحق فبسبب غوايته.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: 130].

فلقد أقام الله الحجة على خلقه، وحذرهم من التجافي عن الدار الباقية، والركون للدنيا الفانية، ولكن ما ينفع المغرور يوم القيامة شيء، وليس له إلا الندم والحسرة على ما ضيَّع وفرَّط.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف: 51].

فالواجب علينا أن نأخذ الكتاب بقوة، ولا ننشغل، ونغتر بالفاني عن الباقي.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله الْغَرُورُ} [فاطر: 5].

فلقد تكرر التحذير من قبل المولى سبحانه مرارًا بعدم الغرور بهذه الدنيا، وحذرنا منها، ومن الشيطان الذي هو سبب الغواية بما فيها.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: 6].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]، وما أكثر الآيات التي قالها المولى سبحانه لتبين كم أن الدنيا حقيرة، ولا ينبغي أن نغتر بها.

وهناك من يغترُّ بعمله، ولو علم أن توفيقه لهذا العمل ما هو إلا محضُ منَّةٍ من الله سبحانه ما اغتر بعمله، أو كتاب ألفه، أو إنجاز حققه، وكل هذا يجب على العبد أن يُرجع فيه الفضل لله المنان.

ومن القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي والتي تحكم السلوك الاقتصادي، وتؤثر في أخلاقيات التعامل الاقتصادي من هذه القيم أن الدنيا وسيلة، وليست غاية وذلك يجعل الإنسان لا يغتر بهذه الدنيا.

6- خلق المخاصمة والمنازعة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 152].

"وإنما عنَى بهذا الرماة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع، ثم قال: "احمُوا ظُهُورَنا، فإن رأيتُمُونا نقتل فلا تنصُرونا وإن رأيتُمونا قد غَنِمنَا فلا تَشرَكُونا. فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحُوا عسكر المشركين أكبَّت الرُّماة جميعًا ودخلوا في العسكر ينهَبون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَهُم هكذا -وشبك بين يديه- فلما أخل الرماة تلك الخلَّة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا، وقُتل من المسلمين أناس"[1].

الشاهد أن التنازع والمخالفة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمخاصمة كانت سببًا في الهزيمة، والفشل للمسلمين، وهذا الخلُق الذميم نجده كثيرًا، وتُروِّجه قنوات فضائية هدامة تريد معاداة الإسلام، ويدعمها أعداء الدين من اليهود والصليبيين فكثيرًا ما نجد منازعات بين الآراء يقولون الرأي، والرأي الآخر، أو ما شابه، وأحيانًا يكون أحد أصحاب الحوار منافقًا لا يعي بالدين شيئًا، وفي ذلك نذكر قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لزياد بن حدير: "يهدم الإسلام زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين"[2].

بل على العكس من التنازع، والمخاصمة نجد هذا الأصل العظيم في الدين الذي وضعه سيد المرسلين في إصلاح ذات البين.

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة»[3].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59].

ولقد أرشدنا الشارع الحكيم إلى الحل في حالة وجود تنازع، ولم يترك الأمر للأهواء، أو للعقول وهذا تبينه الآية السالفة الذكر؛ إذ إن التحاكم في المنازعات يكون بالرجوع إلى ما قاله الله ورسوله من أدله بينة واضحة.

---

(1) تفسير ابن كثير (133/2).
(2) سنن الدارمي (220)، صححه ابن كثير في مسند الفاروق (78/3).
(3) أخرجه أبو داود (4919)، الترمذي (2509)، وقال: حسن صحيح.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46].

ولقد بين لنا الله سبحانه وتعالى أن التنازع سبب الفشل، وذهاب القوة، والواجب علينا طاعة الله ورسوله، والاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله لحل أي تنازع، والمصابرة على ذلك، وكل ذلك له مردوده الاقتصادي فلا تنمية اقتصادية ولا تقدم اقتصادي في وجود تنازع وخصومات.

7- خلق مخالفة الفعل للقول:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: 44].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2-3].

وعن عبد الله بن سلام، قال: «قعَدْنا نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلمُ أيَّ الأعمال أحبَّ إلى الله لعَمِلناه، فأنزل الله تعالى {سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم (1) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} [الصف: 1-2]، قال عبد الله بن سلَام: فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

وهذا الخلُق واضح في عدم وجود القُدوة على كثير من المستويات؛ فنجد على مستوى الأسرة الأب يقول أقوالًا؛ وأفعاله تخالف أقواله، وفي ذلك مردود سيئ على تربية أطفاله، وزوجته فأين القدوة؟

وعلى مستوى المدرسة نجد المدرس يعلم الطلاب أمورًا فيها النموذج المثالي من الأخلاق

والقيم، والمثل، وعلى النقيض نجد تصرفاته تخالف ذلك فتجده سبَّابًا، أو لعَّانًا، أو فاحشًا، أو بذيئًا، أو شاربًا للدخان، أو نموذجًا أخلاقيًّا سيئًا في تعامله مع طلابه.

وعلى مستوى بعض الدعاة، والوعاظ والعلماء نجدهم يحدثون الناس عن الزهد، والإعراض عن دار الغرور، والدنيا الفانية، وتجده في مسكنه، وحياته الخاصة على درجة من الغنى الفاحش، والترف، والانغماس في الشهوات، والملذات فأين القدوة؟! وأين مطابقة القول للفعل؟!

وهذه هي الطامة الكبرى، وأعجبني قول أحد الوعاظ إذ يقول: "فعل رجل أمام ألف رجل؛ خير من كلام ألف رجل لرجل".

وهذه حقيقة مؤسفة في واقعنا المعاصر، وهو عدم وجود القدوة فما أكثر الكلمات الرنانة، ولكن الأفعال قليلة، والذي فيه اتباع للهدي النبوي الصافي أقل، وأقل القليل، وهذا الخلُق يحتاج إلى عناية فائقة لأن أثره في التربية عظيم، وتأثيره في إصلاح الجوانب الاقتصادية والاجتماعية أعظم، فنحن بكل أسف بافتقادنا لهذا الخلُق أصبحنا أمة أقوال لا أفعال.

---

(1) أخرجه الترمذي (3309)، الحاكم (2899)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية) [1].

8- خلق الجهر بالقول السيئ:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: 148].

حيث أباح الله عز وجل القول السيئ في حالة الظلم فقط، والمقصود هو قول: إن فلانًا ظلمني في كذا، وكذا لا أن نتطاول بالسب، والشتم، والاعتداء كما يحدث كثيرًا في المظالم بين العباد.

ونَلْحَظ أن الله سبحانه وتعالى قد ندب إلى العفو حتى في ذلك، وقال سبحانه: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: 149].

وهنا نجد أن البغي، والاعتداء يزيد بين الناس، والخلطاء في المعاملات بينهم إلا القليل، وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} [ص: 24].

"فسر آية الجهر بالسوء بعضهم قائلًا: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: {لا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ} يقول: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: {إِلا مَنْ ظُلِمَ} وإن صبر فهو خير له.

وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه، واستخرج حقي منه، وفي رواية عنه قال: قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه من غير أن يعتدي عليه.

عن مجاهد في قوله: {لا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ} قال: ضاف رجل رجلًا فلم يؤدِّ إليه حقَّ ضيافته، فلما خرج أخبر الناس، فقال: "ضفت فلانًا فلم يؤدِّ إليَّ حق ضيافتي". فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، حين لم يؤد الآخر إليه حق ضيافته.

وقال محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: {لا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ} قال: قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته، فيخرج فيقول: "أساء ضيافتي، ولم يحسن". وفي رواية هو الضيف المحول رحلُه، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول"[2].

وتم توضيح كيف أن القول الحسن مدعاة للألفة بين الناس، ونحن نجد، ونشاهد عمليًّا الآن الدبلوماسيين الاقتصاديين كيف يكونون سببًا في زيادة الصفقات الاقتصادية لبلادهم، بقدر حسن كلامهم، فهناك كلمة واحدة تدخل القلب تدر على صاحبها مكاسب كثيرة، والعكس بالعكس.

9- خلق اتباع الشهوات:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالله عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ} [آل عمران: 14].

---

(1) ينظر: (ص149).

(2) تفسير ابن كثير (442/2، 443).

والذي يُزين؛ إما الشيطان، أو النفس، والهوى، ولا نجد شهوة من هذه الشهوات إلا ولها أثر إيجابي في نفس العبد، أو أثر سلبي، فعندما تكون النية -والتي هي محلها القلب- نابعة من حب بذل كل ذلك في سبيل الله، وإرضائه كانت هجرة إلى الله ورسوله، أما إذا كانت هذه الشهوات مبنية على الطمع في الدنيا والتنعم بدون أن تكون النية لله ورسوله، فهذه الشهوات نقمة عليه، وغالبًا تجده لاهيًا بها عن ذكر الله، وفعل الطاعات، والتسابق للدار الباقية.

ولا بد أن تكون النية لرب البريات، وبذلك تكون العادات عبادات، والأمور التي هي لعامة الناس من الملهيات تكون لك أنت من المنجيات، والصالحات، وأساس الأمر في استعمال العقل هو العلم النافع الخالي من الأهواء المفسدات، والفلسفات الفارغات، واتباع الوحي المصفَّى من الشائبات، والأحاديث الصحيحة الواردة عمَّن أنزل عليه آخر الرسالات عليه أفضل الصلوات والتسليمات.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

والظاهر أن الحكمة من هذا الحديث التنبيه على الإخلاص، وتصحيح النية من كل طالب علم ومعلم، أو متعلم، وكذلك تصحيح النية قبل الإقدام على الأفعال في الدنيا بأسرها، وهذا باب يطول شرحه، وما ذُكر ففيه الكفاية.

ونلاحظ الأثر الاقتصادي الكبير في اتباع كثير من دول الخليج للشهوات مما يؤثر سلبًا على اقتصاديات الأمة الإسلامية بأسرها، وهذا مشاهد في الغلو والسرف في الكماليات، والذي به تزداد اقتصاديات دول غربية، في حين أن توجيه هذه الأموال لبناء اقتصاد إسلامي قوي كان أولى وأجدى.

10- خلق الكذب:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللـه مَرَضًـا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: 10]**.**

وجاء في وصف المنافقين، وذلك في قوله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 24]. وقوله تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل: 105].

وجاء في وصف المشركين والذين لا يؤمنون بآيات الله، وذلك في قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: 75-77]. وقوله تعالى: {أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3].

---

(1) البخاري (1، 54)، مسلم (1907).

وعاقبة هؤلاء بيَّنها النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قوله: «وإياكم والكذبَ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزالُ الرجل يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا»[1].

ولا يجوز الكذب إلا في الحرب، أو الإصلاح بين الخصوم، أو كذب الزوج على زوجته لملاطفتها، والعكس.

والمردود الاقتصادي لهذا الخلُق الذميم هو محق البركة، فعن حَكيم بن حِزَامٍ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال: «البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا، فإن صدَقا وبيَّنا بُورِك لهُما فِي بيعِهِما، وإن كذَبا وكتَما مُحِق بركةُ بَيْعِهما»[2].

ومن مردوده الاقتصادي أيضًا فقدان الثقة بين المتعاملين من المسلمين، وضياع فرص استثمارية ضخمة، وبالتالي التدهور الاقتصادي، وانخفاض معدلات التنمية الاقتصادية.

11- خلق سوء الظن:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} [آل عمران: 154].

وسوء الظن بالله من صفات أهل الريبة، وعدم اليقين بموعود الله كما قال في الآية الأخرى: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا } [الفتح: 12].

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنَّها الفاصلة، وأن الإسلام قد باد وأهلُه، هذا شأن أهل الريب، والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة.

وكذلك جاء التحذير من اتباع وطاعة أتباع الهوى والظن؛ لأن مصير ذلك الضلال، قال تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: 116].

ومن وصف الآية أنهم كُثر، وكذلك جاء في وصفهم قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف: 103] وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة، وحسبان باطل.

وجاء الكلام لأهل الشرك المتبعين للظن قوله تعالى: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [يونس: 35-36].

ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانًا، وإنما هو ظن منهم، أي: توهم وتخيل، وذلك لا يغني عنهم شيئًا.

وهناك سوء الظن بالناس، وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: 12].

---

(1) البخاري (6094)، مسلم (2607) واللفظ له.
(2) البخاري (2079)، مسلم (1532).

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[1].

والمقصود بالإثم هنا هو ما يتكلم به الإنسان عندما يقع الظن في قلبه؛ أما إذا لم يتكلم فليس بإثم.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم: 27-28].

ومن هذه الآيات نستخرج قاعدة: أن الظن يُمحى باليقين والحق، فلا مجال لسوء الظن طالما ثبت الحق واليقين.

وسوء الظن بالآخرين يؤثر اقتصاديًّا في محو روابط الإخاء، والمحبة، والتي هي كما سبق ذكره، أحد الوسائل لإيجاد روح التعاون، وروح الفريق الواحد بين الأفراد، والتي هي دعامة أساسية لروح فريق العمل الواحد، والذي كلما كان مترابطًا، كلما أدى تعاونه على نتائج اقتصادية مرجوة أفضل.

12- خلق التجسس:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات: 12].

وقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36].

وهذه الآية فاصلة في أن الإنسان مُحاسب على ما يتجسس به من سمع أو بصر في كل الأمور التي ليس لنا صلة بها، أو علم فيها، "وقيل: يُسأل السمع، والبصر، والفؤاد عما فعله المرء. وقوله: {كُلُّ أُولَئِكَ} أي: كل هذه الجوارح، والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع "أولئك" أربابها"[2].

وأتى شَكَل بن حُميد النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبيَّ الله علِّمني تعويذًا أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي، وشرِّ بصري، وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ مَنيِّي»، قال: فحفظتها، قال سعد المني ماؤه[3].

وقال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء. والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم. رواه ابن أبي حاتم[4].

وهذا الخلُق الذميم له أيضًا مردود اقتصادي في كونه يسبب الكراهية وعدم الثقة بين أفراد الفريق الواحد للعمل، وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(1) البخاري (5143، 5144)، ومسلم (2563).
(2) معالم التنزيل (93/5).
(3) أخرجه أحمد (15580)، أبو داود (1551)، الترمذي (53492)، النسائي (5444)، وقال الترمذي: حسن غريب.
(4) تفسير ابن كثير (379/7).

قوله: «لا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[1]. يعني أن غياب هذه الأخلاق السيئة يحقِّق الأخوة بين أبناء المجتمع.

ولكن بالطبع للتجسس حالات يباح فيها، كما في الحروب، فحينئذ يكون مشروعًا للانتصار على الأعداء وحماية بيضة الإسلام.

13- خلق كثرة المدح في غير موضعه:

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» [2].

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا يثني على رجل، فقال: «ويحك، قطعت عنق صاحبك»، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسبه كذا، ولا يزكي على الله أحدًا»[3].

والذي تعلمناه مما سبق أن إذا وجدنا خيرًا في أحد نقول: نحسبه على خير، ولا نزكي على الله أحدًا، والله حسيبه لما جاء في النهي عن التزكية لأنفسنا، أو غيرنا كما قال سبحانه: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32].

وعن الأصمعي قال: "كان أبو بكر - يعني الصديق- إذا مُدِحَ قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[4].

وجاء ذم المدح للسلع في غير موضعها

«لا تلقَّوا الرُّكبان، ولا يبعْ بعضُكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبع حاضرٌ لبادٍ...» الحديث [5]. وقال صلى الله عليه وسلم: «من احْتكَر فهو خاطئٌ»[6].

"التناجش": هو مدح الرجل السلع ليروجها أو يزيد في ثمنها، ولا يريد شراءها.

"لا تلقَّوا الرُّكبان": من الملاقاة بأن يخرج الرجل لملاقاة القادمين من القرى، والصحراء ليشتري منهم سلعهم، وهم لا يعرفون الأثمان.

"الاحتكار": هو جمع الطعام، ونحوه مما يؤكل، واحتباسه انتظار وقت الغلاء به.

وهنا المثال الاقتصادي واضح أن المدح للسلع في غير موضعه (التناجش) غير وارد وهو نوع من الغش في البيع، والشراء، وهذا كثير ما نجده وله أثره في فقدان الثقة في هؤلاء التجار، ولو كان التعامل مع غير المسلمين لكان أيضًا سببًا في صد غير المسلمين عن الإسلام وإعطاء صورة سيئة عن المسلمين، بالإضافة إلى الخسارة الاقتصادية العائدة على المسلمين.

14- خلق الغِيبَة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 12].

---

(1) البخاري (5143، 5144)، ومسلم (2563).
(2) مسلم (3002).
(3) البخاري (2662)، مسلم (3000).
(4) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (221/3).
(5) البخاري (2150)، مسلم (1515).
(6) مسلم (1605).

ولقد عرَّف النبي صلى الله عليه وسلم الغِيبة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه»[1].

وجاء التحذير من الغيبة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»، وذلك لما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "حسبك من صفية كذا وكذا" تعني قصيرة قال.. فذكره[2].

وهذا الخلق الذميم متفشٍّ في الأمة في مجالس نسائها ورجالها -إلا من رحم الله- وذلك لغياب العلم، وعدم مراقبة الله في الأقوال، والأفعال، وعدم التفقه في الدين، وغياب تعبُّد الناس باسم الله الرقيب، الذي لو أيقنه الناس لأمسكوا ألسنتهم عن أعراض إخوانهم وأخواتهم، والخطورة في هذا الخلق الذميم أن المستمع للغيبة مشترك في الإثم معه إلا إذا رد غيبة المغتاب.

وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة» [3].

والمردود الاقتصادي فضلًا عن أنها تضيع الوقت والذي يعتبره الاقتصاديون أحد دعائم الإنتاج نجد أيضًا أن مجالس الغيبة هذه تنزع روح الألفة والمحبة بين فريق العمل الواحد وهذا يضاد مقصود الاقتصاد الناجح الذي يُبنى على روح الجماعة، والتعاون فيما بينها، ولو دققت النظر في أوقات الكثير من المسلمين تجدها ضائعة بين اللهو، والغيبة، في حين أن معدلات النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة تقاس بالثانية، والفمتوثانية.

15- خلق النميمة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} [المائدة: 41].

وهنا المثال واضح أن هذه الصفة من صفات اليهود قيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، ويُنْهُونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك، من أعدائك {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} أي: يتأولونه على غير تأويله

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: 47].

"أي: لأنهم جبناء مخذولون، {وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير"[4].

---

(1) مسلم (2589).
(2) أخرجه أبو داود (4875)، الترمذي (2502، 2503)، وقال: حسن صحيح.
(3) أخرجه أحمد (27583)، الترمذي (1931)، وقال: هذا حديث حسن.
(4) تفسير ابن كثير (160/4).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتَّات» وفى لفظ عند مسلم: «نمَّام» [1].

وهو كالسابق في مردوده الاقتصادي ليس إلا مضيعة للوقت، وزيادة للأحقاد بين فريق العمل الواحد.

16- خلق البهتان:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} [النساء: 156].

"قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "يعني أنهم رموها بالزنا". وكذا قال السدي، وجُوَيْبِر، ومحمد بن إسحاق وغير واحد. وهو ظاهر من الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية"[2].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 4].

ونجد أيضًا أن قاذف المحصنات إذا لم يأتِ بأربعة شهود يعد من البهتان، وكل من قال على أحد ما لم يفعله من سوء يعد من البهتان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه»[3]، وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: 112].

وهذا نوع من الظلم والذي لا محالة لا تجد مجتمعًا يخلو منه، وهذا يسبب غضب الله سبحانه، ويمحق البركة، والتي هي إحدى مرادفات التنمية الاقتصادية.

17- خلق إشاعة الأخبار الكاذبة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا} [الأحزاب: 60-61].

{وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} يعني: الذين يقولون: "جاء الأعداء" و"جاءت الحروب"، وهو كذب وافتراء، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق {لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي: لنسلطنَّك عليهم. وقال قتادة، رحمه الله: لنحرّشَنَّك بهم. وقال السدي: لنعلمنك بهم. {ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا} أي: في المدينة {إلا قَلِيلا * مَلْعُونِينَ} حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين، {أَيْنَمَا ثُقِفُوا} أي: وجدوا، {أُخِذُوا} لذلتهم وقلتهم، {وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا}[4].

وهذه صفة المنافقين، ولا ينبغي نقل الأخبار الكاذبة، والتشبه بهم، والتصرف الصواب عند سماع الأخبار هو التثبت من خلال أهل العلم والدراية بالأمور كما جاء في قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ

---

(1) البخاري (6056)، مسلم (105).
(2) تفسير ابن كثير (448/2).
(3) مسلم (2589).
(4) تفسير ابن كثير (483/6).

وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 83].

وتم ذكر أن الإشاعات قد تكون سببًا للنكبات الاقتصادية، وتم ذكر مثال ارتفاع سعر الدولار، والأمثلة الاقتصادية كثيرة، فلو تم إشاعة خبر ارتفاع أسعار الأرز بعد شهر، لتسبب ذلك في انكباب الناس على الأسواق، وشرائه بكميات كبيرة، ولو تم ذلك مع سلعة إستراتيجية كالدقيق في مصر لسبَّب ذلك كارثة اقتصادية، وذلك كله مرجعه إشاعة الأخبار الكاذبة.

18- خلق لغو القول:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 1-3]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صمت نجا»[1].

وجاء أن معاذ بن جبل، قال: يا نبيَّ الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده وذروة سنامه رأس الأمر الإسلام من أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ألا أخبرك بملاك ذلك كله كف عليك هذا، وأشار إلى لسانه قال يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[2].

وأعجبني قول القائل عن اللسان: إن لم ينشغل بقول الحق، انشغل باللغو والباطل، فما أجمل أن تكون ألسنتنا رطبة بذكر الله، وهل لنا من حق ننشغل به أفضل من كلام الله سبحانه، وما أمرنا به في آياته.

وفي كل هذا إضاعة للوقت الذي هو أحد عوامل الإنتاج وبالتالي التنمية الاقتصادية، وما أكثر تضييع الوقت في ما لا يفيد من لغو، بل وأحيانًا يضر، والوقت - كما يقول القائل- من ذهب، فشتان بين أمة مسلمة يكثر فيها اللغو ويضيع فيها الوقت لعدم إدراكهم لهذا الخلق، ودول أخرى تقيس معدلات تنميتها كم تزداد بعد كل ثانية.

19- خلق اللهو واللعب:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 32].

وقوله تعالى: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف: 52].

وقوله تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64].

---

(1) أخرجه الترمذي (2501)، الطبراني (13/رقم: 114)، وجوَّد الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (2526) سند الطبراني.

(2) أخرجه الترمذي (2616)، ابن ماجه (3973)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فكثير من أبناء الأمة لم يقدر مسئولية الأمانة التي حملها الإنسان، والتي عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وهي أمانة العمل بكل آية من كتاب الله فيما أمر من أوامر، واجتناب ما نهى من نواهٍ، فنسأل الله لنا وللمسلمين السلامة، والحمد لله أن من أسمائه سبحانه الغفور الرحيم التواب لأننا بنو البشر أهل خطيئة، ونحتاج لرحمة رب العباد سبحانه.

ولقد جاء في الحديث أنه لا لهو إلا في ثلاث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارمُوا، واركبوا، وأن تَرْمُوا أحبُّ إليَّ مِنْ أن تركبوا، كلُّ شيء يلهو به الرجلُ باطلٌ؛ إلا رَمْيَ الرجلِ بقوسِهِ، أو تأديبَه فرسَه، أو ملاعبتَه امرأتَه، فإنهن من الحقِّ، ومن ترَك الرمْيَ بعدَما عَلِمَه فقد كفر الذي علمَه»[1].

ونفس المعيار الاقتصادي كسابقه كما تم ذكره (عنصر الوقت وأهميته).

20- خلق السخرية:

هذا الخلق من صفات أهل الكفر والنفاق، ولقد بيَّن القرآن في أكثر من آية، كما في قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: 212].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جميعًا} [النساء: 140].

وهذا النوع من السخرية التي يقوم بها الكفار والمنافقون إنما هي سخرية من آيات الله، ونحن مأمورون بعدم مجالستهم إذا خاضوا في ذلك، وإلا أصبحنا مثلهم.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا الله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 57]. وهذا أمر من الله بعدم موالاة أعداء الله من أهل الكتاب، والمشركين لأنهم يسخرون من ديننا.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [الحجرات: 11].

حيث جاء النهي عن السخرية سواء بين الرجال أو النساء بعضهن البعض.

وهذا الخُلق بتركه يتجه الجنس البشري نحو الرقي والتحضر، فلا تجد من ينتهج هذا الخُلق الذميم إلا وتجده ضعيف البنية النفسية مهزوز الشخصية، وهذا الإنسان لا تجده ممثلًا للعنصر البشري القوي الذي هو أحد عناصر الإنتاج، والعمل على تنمية اقتصادية قوية، فالعنصر البشري أهم عناصر التنمية يلزم أن يكون متصفًا بصفات تدل على أنه منضبط نفسيًّا قوي الشخصية، ليكون سائرًا قدمًا نحو السعي تجاه العمل ضمن فريق عمل يحقق التقدم الاقتصادي.

21- خلق التنابز بالألقاب:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: 11].

---

(1) أخرجه أحمد (17338)، أبو داود (2513)، الترمذي (1637)، ابن ماجه (2811)، النسائي (3578)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الكبائر شتم الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»[1].

والمردود الاقتصادي يكون سيئًا جدًّا مع هذا الخُلق لكونه يصنع الخلافات، ويُبعد عن روح التعاون المأمول للسعي في اتجاه تحقيق نمو اقتصادي.

22- خلق الافتراء على الله ورسوله:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الصف: 7].

ومعناها أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله، ويجعل له أندادًا وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ الله يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا} [النساء: 50].

وهذا يعني أن تزكية النفس، أو الغير نوع من أنواع الافتراء على الله بالكذب.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: 21].

أي: "لا أظلم ممن تَقَوَّل على الله، فادعى أن الله أرسله، ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله، وحججه، وبراهينه، ودلالاته، {إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} أي: لا يفلح هذا، ولا هذا، لا المفتري، ولا المكذب"[2].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [العنكبوت: 68].

أي: "لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال: إن الله أوحى إليه [شيء][3]، ولم يوح إليه شيء. ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفتر، والثاني مكذب؛ ولهذا قال: {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}"[4].

23- خلق الغضب:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: 36]، فالغضب غالبًا يكون نزغة من نزغات الشيطان، وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: 37].

فالصفح بعد الغضب من صفات المؤمنين. وهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا تغضب»[5].

---

(1) البخاري (5973)، مسلم (90) واللفظ له.
(2) تفسير ابن كثير (245/3).
(3) كذا في المطبوع، والصواب: «شيئًا».
(4) تفسير ابن كثير (295/6، 296).
(5) البخاري (6116).

فللغضب آثار سيئة كثيرة، فقد يسبب الخصام، أو النزاعات، أو الطلاق بين الزوجين، أو قطيعة الأرحام، أو عقوق الوالدين، أو صدور ألفاظ بذيئة، أو سخرية، أو همز، أو لمز، أو غيبة، أو أخلاق أخرى ذميمة. ولذلك قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنَّما الشديدُ الذي يملِكُ نفْسَه عندَ الغضب»[1].

والقرآن وصف الغضب، بأنه كالإنسان يتكلم، ويسكت، وذلك في قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ} [الأعراف: 154].

وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلافي الغضب أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا غَضِبْتَ فاسكُت»[3]، وذلك حتى لا يأتي أثر الغضب بأخلاقيات أو سلوكيات لا تُحمد عقباها.

ومن الناحية الاقتصادية نجد أن كل الخلافات، والفرقة بين أفراد الأمة وعدم توحدها منشؤه الغضب ولا تجد دولة عربية أو إسلامية في كثير من الأحيان إلا ورئيسها لكلمة قيلت أو تصرف حدث إلا واشتعل غضبًا فقام بمقاطعة دولة كانت شقيقة له، وهذا معاين كثيرًا بين الدول العربية والإسلامية.

24- خلق الأسى على ما فات:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد: 22-23].

والواجب على المسلم الرضا بالقضاء، والأقدار جميعها، وعدم التسخط على أقدار الله. وهذا له مردوده الاقتصادي في وجود دافع للتقدم ولو كان من الصفر وأعجبتني التجربة الاقتصادية اليابانية في سعيها قدمًا بعد تدميرها بالقنبلة النووية، ولكن لا أسى على ما فات، ولكن سارت بنهج منظم حتى وصلت إلى ما وصلت إليه.

25- خلق الجُبن:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ الله عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء: 72-73].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: 15-16].

ولقد جاءت الآيات السابقة في التحذير من خلُق الجُبن في مواجهة الأعداء، وعكسه الجرأة والشجاعة، وهذا يمكن التدرب عليه، وتمرسه بحيث لا يكون هناك خوف جبلي بطبيعة الإنسان.

---

(1) البخاري (6114)، مسلم (2609).

(2) البخاري (3282)، مسلم (2610).

(3) أخرجه ابن شاهين في فوائده (1)، وحسن الشيخ الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (364/3).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجبن دبر الصلاة، فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَن أُرَدَّ إِلَى أَرذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتنَةِ الدُّنيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ القَبرِ»[1].

وعكسه الإقدام وعدم الفرار، قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد وصف صيام داود عليه السلام: «ولا يفرُّ إذا لاقَى»[2]، إشارة إلى شجاعته عليه السلام.

ومما لا شك فيه أن السعي لتحقيق نهضة اقتصادية يحتاج لإقدام وعدم فرار، وسعي وجرأة محسوبة العواقب، لا جبن وتَراخٍ.

26- خلق البخل والشح:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} [النساء: 37].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 128].

وهذا الخلُق يجعل الإنسان مقصرًا في حقوق الله من الزكاة وغيرها، وفي حقوق نفسه وحقوق العباد. ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الثلاثة الذين يبغضهم الله تعالى البخيل المنَّان[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلَك من كان قبلَكم، حملَهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم»[4].

ولقد تحدثنا عنه في خلُق الكرم وإكرام الضيف كيف أن المعطي والكريم يأخذ من عطاء الله أما البخيل يتلف ماله وهذا مثال اقتصادي هام يوضح أن الصدقات، والزكاة مجلبة لعطايا من الرحمن، بخلاف البخل.

27- خلق المن والأذى في الصدقات:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 264].

وهذا توضيح من الله سبحانه وتعالى أن المن بالقول، أو الفعل يبطل أجور الصدقات.

28- خلق الطمع:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88].

---

(1) البخاري (2822).
(2) البخاري (1977)، مسلم (1159).
(3) أخرجه أحمد (21570)، الحاكم (2446)، وقال: صحيح على شرط مسلم.
(4) مسلم (2578).

وهذا أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وللأمة من بعده بعدم الطمع بما في أيدي الآخرين، أو الطمع في متعة الدنيا التي هي عند أناس آخرين.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي النشء على عدم مدِّ العين واليد إلى ما هو أمام الآخرين، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «سَمِّ الله، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[1]، وهذا كبت للنفس وتنشئتها على عدم الطمع فيما يد الآخرين.

ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم أن الطمع يمحو البركة من المال، فقال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يا حَكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فمن أخذه بسَخاوَة نفسٍ بُورِكَ له فيه، ومَن أخَذه بإشْرَاف نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يَشبَعُ، واليَدُ العُليا خيرٌ من اليَد السفلى»[2].

قال العلماء: إشراف النفس تطلُّعها إليه وتعرضها له وطمعُها فيه[3].

ولا شك أن المردود الاقتصادي هنا واضح حيث يقنع الإنسان بما لديه من مال، وهذا كفيل أن يُشعِرَه بالرضا، وهذا الرضا يورثه الطمأنينة، والطمأنينة مطلوبة في السعي قدمًا لتحقيق عنصر بشري نفسه مطمئنة راضية، غير حاسدة أو حاقدة على الآخرين، تسير في نطاق فريق عمل جماعي منظم متحاب متآخٍ، يسعى لتحقيق تنمية اقتصادية.

29- خلق الإسراف:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31].

وسبق ذكر أن الاعتدال في الإنفاق مطلوب، وأن الله سبحانه وتعالى يبغض الإسراف.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل في مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية لخطورته على الأمة الإسلامية[4].

30- خلق إطاعة المسرفين:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: 151-152].

يعني: رؤساءهم وكبراءهم، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر، ومخالفة الحق.

ومن المعلوم أن الطاعة تكون في المعروف والحق لا في الإثم والباطل.

31- خلق البطر:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [الأنفال: 47].

هذا نهي للمسلمين عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم {بَطَرًا} أي: دفعا للحق، {وَرِئَاءَ النَّاسِ} وهو: المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل -لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا -فقال: لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، وننحر الجُزُر،

---

(1) البخاري (5377)، مسلم (2022).
(2) البخاري (2750)، مسلم (1035).
(3) شرح النووي على مسلم (127/7).
(4) ينظر: (ص129).

ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدًا، فانعكس ذلك عليه أجمع[1].

والبطر كما ذكرنا هو رد الحق، والتكبر عليه، وقد سبق الكلام في ذلك في التواضع والكبر.

32- خلق البغي:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33].

والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق، والبغي هو التعدي على الناس، وهذا حرمه الله.

وكثيرًا ما نجد في الحقل الاقتصادي هذا الخلُق الذميم من أجل إسقاط سمعة منتج، أو إسقاط سمعة شركة، من أجل مكاسب دنيوية حقيرة، ولكن تجد معها انتزاع للبركة والتي هي أحد مرادفات التنمية الاقتصادية كما سيتم توضيحه في معاني كلمة التنمية في القرآن الكريم.

33- خلق الفساد:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَالله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64].

وهذا الوصف لليهود أنهم مفسدون في الأرض، وكل من على شاكلتهم فهو مثلهم.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} [الفجر: 10-12].

والمفسد عاقبته العذاب من الله في الدنيا والآخرة.

وسيتم التفصيل في التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية[2].

34- خلق الخيانة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105]. فنهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية عن الدفاع عن الخائن.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: 27].

فهذا نهي عن خلُق الخيانة لله، أو لرسوله، أو للأمانة.

وهذا نقيض خلُق الأمانة، وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية)، (التعامل بالغش وضياع خلُق الأمانة).

35- خلق نقض العهد:

---

(1) تفسير ابن كثير (72/4).

(2) ينظر: (ص135).

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} [الأنفال: 55-56].

ونقض العهد صفة من صفات الكفار والمنافقين.

وهذا الخلُق من الناحية الاقتصادية يزيل الثقة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على قطع حبال المودة، وبالتالي انعدام التعاملات الاقتصادية والتجارية.

36- خلق الغش:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين: 1-3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منَّا، ومن غشنا فليس منَّا»[1]، وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبرة طعام فأدخل يدَه فيها، فنالت أصابعُه بللًا، فقال: «ما هذا يا صاحبَ الطعام؟!» قال: أصابته السماءُ يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشَّ فليس منِّي»[2]. و«ليس منَّا»، أي: ليس مثلنا.

وهذا نقيض خلُق الأمانة، وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية) (التعامل بالغش وضياع خلُق الأمانة)[3].

37- خلق المكر:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [الأنعام: 123].

وقوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30].

وقوله تعالى: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ الله مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم: 46].

وقوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى الله بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل: 26].

فالمكر كخلُق ذميم موجود عند الكفار، وهذا المقصود به المكر بنية السوء، وعدم اتباع الحق.

وهذا الخلُق من الناحية الاقتصادية يزيل الثقة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على قطع حبال المودة، وبالتالي انعدام التعاملات الاقتصادية والتجارية.

38- خلق الرياء:

---

(1) مسلم (101).
(2) المصدر السابق (102).
(3) ينظر: (ص126).

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالله وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا} [النساء: 38].

وقوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَالله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [الأنفال: 47].

وقوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: 6-7].

وهذا الخُلُق مدعاة لإحباط العمل، وضياع الجهد بدون أجر من الله.

وليس هناك للعبد في عمله أفضل من الإخلاص لأنه يحالفه التوفيق من الرب سبحانه حتى في السعي لتحقيق التقدم الاقتصادي يلزم أن يكون الغرض الأساسي هو السعي لمرضاة الله لا لنيل شكر الناس أو تصفيقهم، أما إذا جاء ثناء الناس بعد ذلك بدون قصد من الإنسان فلا بأس، بل تلك عاجل بُشرى المؤمن[1].

39- خلق الغلّ:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].

وهذا الخُلُق ينافي سلامة القلب، وخاصة عند التعامل مع عباد الله المؤمنين، أما مع أعداء الله فذلك مطلوب عند قتالهم.

وهذا الخُلُق أيضًا من الناحية الاقتصادية يزيل الثقة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على قطع حبال المودة، وبالتالي انعدام التعاملات الاقتصادية والتجارية.

40- خلق الحسد:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [النساء: 54].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: 1-5].

وصاحب هذا الخُلُق هو متبع للشيطان في هديه، وهذا ينافي سلامة القلب.

وهذا الخُلُق أيضًا من الناحية الاقتصادية يزيل المحبة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على قطع حبال المودة، وبالتالي انعدام التعاملات الاقتصادية والتجارية.

41- خلق منع الخير:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ} [ق: 24-25].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج: 19-22].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم: 10-12].

---

(1) مسلم (2642).

وهذا خلُق الكافرين، وتاركي الصلاة، ومن على شاكلتهم.

ولقد قدم المسلمون القدماء أروع الأمثلة في تجاراتهم مع الغرب بتقديم الخير لهم فأثر ذلك في قلوبهم، وكان سببًا في إسلام الكثير منهم، وكانت معاملاتهم فيها تأليف لقلوب غير المسلمين، وهذا له الأثر الكبير من جميع النواحي؛ اقتصاديًّا، ودعويًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا.

42- خلق البغض:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [المسد: 3].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

وهذا الخُلق محمود مع أعداء الله كما سبق ذكره عند الحب في الله، والبغض في الله، وتوضح الآيات أنه مع البغض لا بد أن يكون هناك عدل في المعاملات، والشهادة بين الناس.

وهنا مسألة مهمة وهى المداراة في التعامل معهم فلا حب -قلبيًّا- لغير المسلمين، ولكن نبدي لهم الاهتمام والعدل معهم، ومحاولة أن نكسب وُدَّهم هم بدون أي حب قلبي لهم، فلا ولاء إلا للمؤمنين ولا حب إلا لأولياء الله.

أما إذا أظهرنا البغض فهذا الخُلق من الناحية الاقتصادية يزيل الثقة بين أطراف التعاقد، ويحمل المتعاملين في الصفقات التجارية على قطع حبال المودة، وبالتالي انعدام التعاملات الاقتصادية والتجارية.

43- خلق الغفلة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: 136].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء: 97].

فالغفلة عن آيات الله تستوجب عقابه، وكل ما نذكر من آيات الله ولها مدلولات اقتصادية مهمة تفيد الإسلام والمسلمين يلزم أن لا نغفل عنها، وإلا سنكون ممن يقع تحت طائلة العذاب.

44- خلق قسوة القلب:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {.. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: 74].

وقوله تعالى: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 43].

وقوله تعالى: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } [الحديد: 16].

فمن نتائج قسوة القلب عدم التضرع لله، وعكس القسوة اللين، وذلك دواؤه كثرة الذكر،

والمسح على رأس اليتيم، وإطعام المسكين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»، قاله لمن شكا له قسوة قلبه[1].

وهذا الخُلق عكس خُلق سلامة القلب وكما ذكرنا أن القلب السليم هو القلب الذي يحمل النوايا الطيبة ويسعى لرفعة بلاده اقتصاديًّا واجتماعيًّا، لا أن يقوم مثلًا بتجارة العملة ليخرب اقتصاد بلده، أو يشوه سمعة بلاده بأخلاقه السيئة، أو يسرق المال العامَّ، أو يهرب أموالًا للخارج.

45- خلق الفجور:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: 14].

وقوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15].

وارتكاب الفاحشة، والفجور عقابه الحد في الدنيا، أو أمره إلى الله في الآخرة.

وكل هذه الأخلاق الذميمة ومنها الفجور مدعاة لسخط الله وغضبه، وهذا ينافي مرادفات التنمية الاقتصادية في القرآن ومنها البركة، وفي قناعتنا أن كل الدول التي تتسم بخُلق الفجور وإن تقدمت فهذا بشكل مؤقت وإلا فأين عاد وثمود؟! فالبقاء للأصلح، والصلاح والخير كله لمن يأخذ بكتاب الله وهدي نبيه، فلن يوجد اقتصاد قوي دائم لدولة قائمة على الفجور، والاقتصاد الإسلامي بدعائمه القوية هو الذي سيبقى إن شاء الله.

46- خلق الفسق:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [البقرة: 59].

وقوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: 24-25].

وقوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ إِنَّ الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المنافقون: 6].

فالكفر بآيات الله نوع من الفسق؛ كما أن عدم طاعة نبي الله موسى في أمر الجهاد وصَفهم بالفسق، ووصف الله سبحانه المنافقين بأنهم أيضًا فاسقون، وهناك الفسق بسبب الذنوب؛ فيقال: فاسق أي مذنب.

والفسق والفجور قرينان وكما ذكرنا في الفجور، فإنه في قناعتنا أن كل الدول التي تتسم بخُلق الفسق وإن تقدمت فهذا بشكل مؤقت وإلا فأين عاد وثمود؟! فالبقاء للأصلح، والصلاح والخير كله لمن يأخذ بكتاب الله وهدي نبيه، فلن يوجد اقتصاد قوي دائم لدولة قائمة على الفسق، والاقتصاد الإسلامي بدعائمه القوية هو الذي سيبقى إن شاء الله.

47- خلق الكفران:

---

(1) أخرجه أحمد (9006). قال الهيثمي (160/8): رجاله رجال الصحيح.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود: 9-11].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [النحل: 54].

فخلُق الكفران هو خلُق من لا يرضى بالقضاء والقدر، وهو الذي يعبد الله على حرف، وليس عنده يقين وإيمان من القلب بالله.

وهناك نوع آخر من الكفران يسمى كفران العشير، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُرِيْتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ يَكْفُرْنَ»، قيل: أَيَكْفُرْنَ باللهِ؟ قال: «يَكْفُرْنَ العشيرَ ويكفرن الإحسانَ إنْ أحسنتَ إلى إحداهن الدهرَ ثم رأتْ منك شيئًا، قالتْ: ما رأيتُ منكَ خيرًا قطُّ»[1].

ومن غريب الحديث: «يَكفُرنَ»: يَجْحَدْنَ.

والفسق والكفر قرينان، وكما ذكرنا في الفسق، فإنه في قناعتنا أن كل الدول التي تتسم بخلُق الكفر وإن تقدمت فهذا بشكل مؤقت وإلا فأين عاد وثمود؟! فالبقاء للأصلح، والصلاح والخير كله لمن يأخذ بكتاب الله وهدي نبيه، فلن يوجد اقتصاد قوي دائم لدولة قائمة على الكفر، والاقتصاد الإسلامي بدعائمه القوية هو الذي سيبقى إن شاء الله.

48- خلق البغاء:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ الله مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 33].

والبغاء حال الإكراه معفي عنه؛ أما غير ذلك فمرتكب كبيرة، وآثم.

49- خلق التعامل بالربا:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَالله لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: 275-276].

وهذا الخُلق سببه الطمع في الدنيا، وفساد القلب، وسنتناوله بشيء من التفصيل فيما بعد.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخُلق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية)-(التعامل بالربا خُلق ذميم وواقع أليم) [2].

50- خلق السرقة:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ الله وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38].

---

(1) البخاري (1052)، مسلم (907).

(2) ينظر: (ص120).

وما أكثر صور انتشار هذا الخلُق الذميم على جميع المستويات، وذلك لغياب تطبيق الحد فيه فكم من الأموال العامة سرقت، وتم تهريبها للخارج؟ ولا أمل في تطهير النفوس من هذا الخلُق الذميم إلا بتطبيق شرع الله، وترسيخ خلُق الأمانة في النفوس.

وهذا نقيض خلُق الأمانة ومرادف خلُق الغش، وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية) [1].

51- خلق التسوُّل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سأل الناس أموالهم تكثرًا؛ فإنما يسأل الناس جمر جهنم، فليستقلَّ منه، أو ليستكثر»[2].

وهذا الحديث يُحرِّم سؤال الناس أموالهم بغير حاجة، وبادعاء الفقر، وبهدف كثرة المال، ومن يفعل ذلك فكأنما يسأل الناس جمرًا، وهذا لأنه يعتبر محتال، ومخادع، وبتصرفه هذا يمنع عن المحتاجين الحقيقيين حقهم في أموال الصدقات.

وروي أن عمر رضي الله عنه سمع صوت سائل، فقال: عشُّوا السائل، ثم تحوَّل إلى دار إبل الصدقة، فسمع صوته، فقال: ألم آمركم أن تعشُّوا السائل؟ قالوا: قد فعلنا، قال: ائتوني به، فأتوه به، فإذا جراب مملوء خبزًا، فأخذ عمر الجراب فنثره لإبل الصدقة، وقال: لست بسائل، إنما أنت تاجر تجمع لأهلك"[3].

وهذا يبين لنا فقه الفاروق رضي الله عنه في التعامل مع مثل هذه الحالات من التسول، وفي ذلك التصرف حماية للفقير، وردع للمتسول.

وسيتم التحليل الاقتصادي لهذا الخلُق في مبحث مستقل (مبحث أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية)- (خلُق التسول وتدهور عامل من عوامل الإنتاج وهو العمل) [4].

وبعد هذا العرض التفصيلي نكون قد أشرنا إلى حُزمة من الأخلاق الذميمة التي يكفي بعضها لهدم أي مجتمع من المجتمعات، وتدمير مُقدراته، وتشريد أبنائه.

ومما لا شك فيه أن العلم بهذه الأخلاق، ومعرفة أن المتصف بها مذموم عند الله ورسوله، يجعل الفرد والمجتمع المسلم على حذر منها، ومن ابتلي بها يسعى للتخلص منها، وحينئذ يتحول المجتمع إلى مجتمع كريم الأخلاق حميد الخصال، يعي المسئولية تُجاه خالقه وبارئه، ثم يقدر مسئولية التعامل مع مجتمعه.

وبعد أن تكلمنا عن الأخلاق والقيم، وعرضنا عرضًا تفصيليًّا للأخلاق الحسنة والأخلاق الذميمة، آن الشروعُ في التعرف على العلاقة بين القيم الأخلاقية والتنمية الاقتصادية، وهذا ما سنوضحه في الفصل التالي بعون الله وتوفيقه.

---

(1) ينظر: (ص126).
(2) مسلم (1041).
(3) ينظر: ثقات ابن حبان (437/5).
(4) ينظر: (ص145).

الفصل الثاني
التنمية الاقتصادية والقيم الأخلاقية

وفيه ثلاثة مباحث:

1- مفهوم التنمية والاقتصاد في القرآن الكريم.

2- ركائز التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم.

3- القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية.

الفصل الثاني
التنمية الاقتصادية والقيم الأخلاقية

إن التنمية الاقتصادية والقيم الأخلاقية بينهما ارتباط وثيق لا ينفك في أيِّ طور من أطوار المجتمعات، بل يكاد أن يكونا وجهين لعملة واحدة، وذلك واضح في دلالات آيات القرآن الكريم، فالأخلاق ودعائمها أساس للتنمية الاقتصادية، ولقد جاء معنى "التنمية" و"الاقتصاد" في القرآن بألفاظ متعددة، وهذا ما سنتعرف عليه في المبحث الأول من هذا الفصل إن شاء الله، ثم نعرض في الفصل الذي يليه لمسألة مهمة، ألا وهي: "أسباب التنمية الاقتصادية وركائزها من خلال آيات القرآن الكريم"، ثم نختم هذا الفصل بالمبحث الثالث الذي سنبين فيه أن القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية، مع ضرب الأمثلة على ذلك، والله المستعان لا ربَّ سواه.

المبحث الأول
مفهوم التنمية والاقتصاد في القرآن الكريم

أولًا- مفهوم التنمية في القرآن الكريم:

بداية يتبادر لدينا سؤال: هل ذُكرت كلمة "التنمية" في القرآن الكريم؟

والإجابة أنه في الحقيقة "لم يستخدم القرآن الكريم مصطلح النمو أو التنمية، ولكن هنالك العديد من المصطلحات التي تدل على النمو، والتنمية، والتي منها: الإعمار، الابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض، إصلاح وإحياء الأرض وعدم فسادها، والحياة الطيبة، والتمكين"(1)، وهذا ما سنوضحه، ونستفيض شرحًا له فيما سيأتي:

1- الإعمار:

"يعتبر مصطلح "العمارة" و"التعمير" من أصدق المصطلحات تعبيرًا عن التنمية الاقتصادية في الإسلام"(2).

و"يرى كُتاب الاقتصاد الإسلامي أن الإعمار هو الاسم الأقرب دلالة على المنهج التنموي الإسلامي، وأن التنمية هي وسيلة هذا الإعمار، أي بها يتحقق، والإنسان هو الذي عليه تقوم هذه التنمية، وإليه تعود ثمرتها"(3).

وهذا الاستنتاج بأن الإعمار أحد مدلولات التنمية في الاقتصاد الإسلامي توضحه معاني آيات الذكر الحكيم، ولقد جاء معناه في قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود: 61].

قال السعدي: "{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ} أي: خلقكم فيها {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته"(4).

وقال الطبري: "{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [هود: 61]، يقول: هو ابتدأ خلقكم من الأرض، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه، {واستعمركم فيها}، يقول: وجعلكم عُمَّارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم، من قولهم: "أعْمر فلانٌ فلانًا دارَه"، و"هي له عُمْرَى"، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"(5).

قال البغوي: "{مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ} ابتدأ خلقَكُم، {مِنَ الأَرْضِ} وذلك أنهم من آدم عليه السلام وآدم خُلق من الأرض، {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} أي: جعلكم عُمَّارها وسُكَّانَها، وقال الضحاك: أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم

---

(1) حسن محمد ماشا: رؤية الإسلام لحل المشكلة الاقتصادية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة القرآن، والعلوم الإسلامية الخرطوم السودان، العدد الأول 2008م، (ص15).

(2) مرجع سابق، حسن محمد ماشا، (ص15).

(3) مرجع سابق، د /رمضان صديق، (ص198).

(4) تفسير السعدي (ص384).

(5) تفسير الطبري (369/15).

يعيش ثلاث مائة سنة إلى ألف سنة. وكذلك قوم عاد، قال مجاهد: أعمركم من العُمرى، أي: جعلها لكم ما عشتم. وقال قتادة: أسكنكم فيها" [1].

فشملت معاني الإعمار الاستخلاف في الأرض للبناء، والزرع، والغرس، والنفع، والانتفاع بنعم الله، وهذا جزء من شكر الله على هذه النعم، باستخدامها في النفع للإسلام والمسلمين وجميع خلقه أجمعين.

2- الابتغاء من فضل الله:

* جاء معناه في قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: 10].

قال السعدي: "{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ} لطلب المكاسب، والتجارات، ولما كان الاشتغال في التجارة مَظِنَّة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: {وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا} أي في حال قيامكم، وقعودكم، وعلى جنوبكم، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح"[2].

وقال الطبري: "وقوله: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ} ذُكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في تأويل ذلك ما حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا علي بن المعافى بن يعقوب الموصلي، قال: ثنا أبو عامر الصائغ من الموصل، عن أَبي خلف، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ} قال: «ليس لطلبِ دنيا، ولكن عيادة مريضٍ، وحضور جنازةٍ، وزيارة أخٍ في الله».

وقد يحتمل قوله: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ} أن يكون معنيًّا به: والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم، وآخرتكم"[3].

وقال البغوي: "قوله عز وجل {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} أي: إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ} يعني: الرزق، وهذا أمر إباحة، كقوله: {وإذا حللتم فاصطادوا} [المائدة: 2]، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصلِّ إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا، ولكن لعيَادةِ مريضٍ وحضور جنازةٍ، وزيارة أخٍ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: {وابتغوا من فضل الله} هو طلب العلم"[4].

فشملت معاني الابتغاء من فضل الله العمل في التجارات الرابحة الحلال، وطلب العلم النافع.

* وجاء في قوله تعالى: { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ} [المزمل: 20].

قال السعدي: "{يَضْرِبُونَ فِي الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ} أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا عن الناس أي: فالمسافر

---

(1) معالم التنزيل (185/4).
(2) تفسير السعدي (ص863).
(3) تفسير الطبري (385/23).
(4) معالم التنزيل (123/8).

حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية"[1].

وقال الطبري: "{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرْضِ} في سفر {يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله} في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضًا عن قيام الليل"[2].

وقال البغوي: "{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله} يعني: المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله"[3].

فجاء المعنى السفر للتجارة لاكتساب الرزق، والابتغاء من فضل الله، ولو كان بمشقة السفر والبعد عن الأوطان.

3- السعي في الأرض:

* جاء معناه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 168].

قال السعدي: "هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، حالة كونها {حَلالا} أي: محللًا لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلًا بمعاملة محرمة أو على وجه محرم، أو معينًا على محرم.

{طَيِّبًا} أي: ليس بخبيث، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلًا وانتفاعًا، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال"[4].

* وجاء في قوله تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: 273].

وقال الألوسي: "{ضَرْبًا في الارض} أي مشيًا فيها وذهابًا للتكسب والتجارة"[5].

وروى الطبري عن ابن زيد قوله: "{لا يستطيعون ضربًا في الأرض}، كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فَضْل الله"[6].

* وجاء في قوله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران: 137].

قال الألوسي: "{فَسِيرُواْ في الارض} أي: بأقدامكم أو بأفهامكم {فانظروا} أي: تأملوا"[7].

---

(1) تفسير السعدي (ص894).
(2) تفسير الطبري (699/23).
(3) معالم التنزيل (258/8).
(4) تفسير السعدي (ص80).
(5) روح المعاني (45/2).
(6) تفسير الطبري (593/5).
(7) روح المعاني (279/2).

وهذا السعي في الأرض لتنمية فكر الاعتبار بأفعال السابقين، وتدبر ذلك بقلوبنا، وعقولنا لنسير على النهج القويم، وعلى صراط الله المستقيم، وهذا يصبُّ في مضمون العمل الجاد، والسعي لكل ما يحبه الله ويرضاه.

* وجاء في قوله تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: 100].

قال الماوردي: "في المراغم خمسة تأويلات:

أحدها: أنه المتحوَّل من أرض إلى أرض، وهذا قول ابن عباس والضحاك. ومنه قول نابغة بني جعدة:

كطَوْدٍ يُلاذ بأركانه... عزيز المراغم والمطلب

والثاني: مطلب المعيشة، وهو قول السدي، ومنه قول الشاعر:

إلى بلدٍ غير داني المحل... بَعيد المُراغم والمطلب

والثالث: أن المراغم المهاجر، وهو قول ابن زيد.

والرابع: يعني بالمراغم مندوحة عما يكره.

والخامس: أن يجد ما يرغمهم به، لأن كل من شخص عن قومه رغبة عنهم فقد أرغمهم، وهذا قول بعض البصريين.

وأصل ذلك الرغم وهو الذل. والرّغام: التراب لأنه ذليل، والرُّغام بضم الراء ما يسيل من الأنف.

وفي قوله تعالى: {وَسَعَةً} ثلاث تأويلات:

أحدها: سعة في الرزق وهو قول ابن عباس.

والثاني: يعني من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى، وهو قول قتادة.

والثالث: سعة في إظهار الدين"[1].

وهذا من باب السعي في الأرض، وتحقيق مصالح الدين والدنيا، والتي تصبُّ كلها في المصلحة الأساسية، وهي مصلحة الأمة الإسلامية، وتنمية مصالحها، وتحسين أوضاع الفرد المسلم فيها، وسعة الرزق له، وتقوية ركائز اقتصاده على المستوى الشخصي، والذي يصب بالتبعية في صالح المجموعة، والتي تمثل المجتمع المسلم.

* وجاء في قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].

قال الطبري: "عن ابن عباس قوله: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا}، قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهدٌ وميثاق، فنقضوا العهدَ، وأفسدوا في الأرض، فخيَّرَ الله رسوله: إن شاء أن يقتل، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ"[2].

وهذا تشريع من الله لتحذير الناس أجمعين من أن السعي في الأرض لا يكون بالإفساد، وإنما يكون السعي في الأرض فقط بالإصلاح، والنماء، والتنمية، والنمو، والعمل بما فيه خير للبشرية كلها.

---

(1) النكت والعيون (522/1).

(2) تفسير الطبري (243/10).

* وجاء في قوله تعالى: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَالله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64].

قال البيضاوي: "{وَيَسْعَوْنَ فِي الأرْضِ فَسَادًا} أي: للفساد، وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن وهتك المحارم. {والله لاَ يُحِبُّ المفسدين} فلا يجازيهم إلا شرًّا"[1].

وهذا بيان من الله سبحانه بأن الأصل في السعي في الأرض للإصلاح لا للإفساد، وتنتفي محبة الله لكل من يكون سببًا في إفساد الأرض، ونستنتج من ذلك أن محبة الله تكون لكل مسلم يسعى في الأرض بالإصلاح، ولقد جاءت الآيات كثيرة في القرآن للنهي عن الفساد في الأرض.

* وجاء في قوله تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: 42].

قال السمرقندي: "قال تعالى: {إِنَّمَا السبيل} يعني: الإثم والحرج {عَلَى الذين يَظْلِمُونَ الناس} يعني: يبدأون بالظلم {وَيَبْغُونَ في الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: ويظلمون في الأرض، ويعملون المعاصي {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: وجيع"[2].

وهذا بيان من الله سبحانه بأن الأصل في السعي في الأرض للإصلاح لا للإفساد، ومن يسعى بالفساد في الأرض له العقوبة ليس في الدنيا فقط؛ بل وفي الآخرة بالعذاب الأليم الموجع.

4- إصلاح وإحياء الأرض، وعدم إفسادها:

* جاء في قوله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: 28].

قال النسفي: "{أم} منقطعة، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد: أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتَّقى وفجر، ومن سوَّى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا"[3].

حيث ذكر الله سبحانه وتعالى التمايز بين المصلح والمفسد، وبين المؤمن العامل للصالحات بكل أنواعها -بما فيه إعمار الأرض وإصلاحها، وبما فيه نشر كلمة الحق والتوحيد، والإنماء والسعي في الأرض بالخير والفلاح والتنمية، بما فيها من مردود على البشرية- والمفسد في الأرض الساعي بالشر والكفر، العامل على تخريب الأرض، وإفساد معطيات العمل على التنمية؛ ولقَّب الفريق الأول بـ {المتقين}، وأما الفريق الآخر فلقَّبه بـ {الفجَّار}.

5- الحياة الطيبة:

* جاء معناه في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

قال البغوي: "قال الحسن: هي القناعة، وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة.

---

(1) أنوار التنزيل (135/2).
(2) بحر العلوم (247/3).
(3) مدارك التنزيل (153/3).

قال أبو بكر الوراق: هي حلاوة الطاعة، وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة"[1].

وقال الزمخشري: "{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} {مَنْ} متناول في نفسه للذكر والأنثى، فما معنى تبْيِينِه بهما؟ قلت: هو مبهمٌ صالح على الإطلاق للنوعين، إلا أنه إذا ذُكر كان الظاهر تناوله للذكور، فقيل: {مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى} على التبيين، ليعمَّ الموعد النوعين جميعًا، {حياة طَيِّبَةً} يعني في الدنيا وهو الظاهر؛ لقوله: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} وعده الله ثواب الدنيا والآخرة، كقوله: {فاتاهم الله ثَوَابَ الدنيا وَحُسْنَ ثَوَابِ الأخرة} [آل عمران: 148]، وذلك أنَّ المؤمن مع العمل الصالح موسرًا كان أو معسرًا يعيش عيشًا طيبًا إن كان موسرًا، فلا مقال فيه. وإن كان معسرًا، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله. وأمَّا الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسرًا فلا إشكال في أمره، وإن كان موسرًا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "الحياة الطيبة الرزق الحلال". وعن الحسن: القناعة. وعن قتادة: يعني في الجنة. وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه"[2].

وقال الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97]، يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن: يقول: وهو مصدِّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}.

واختلَف أهل التأويل في الذي عنَى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيَوْها، فقال بعضهم: عنَى أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال"، ثم روى بإسناده من قال ذلك، ثم قال: "وقال آخرون: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} بأن نرزقه القناعة"[3].

ونجد أن المعاني جاءت في الآيات متباينة بين حظوظ الدنيا ونعيم الآخرة، والمفهوم من هذه الآيات أن الحياة الطيبة هي موروث العمل الصالح الساعي للنمو والتنمية، وشَرْطُه الإيمان والإخلاص، سواء كان القائم بالعمل ذكرًا أو أنثى، والتنمية ناتجة عن العمل، والحياة الطيبة نتيجة التنمية.

6- التمكين:

* جاء معناه في قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: 10].

قال الشيخ سيد طنطاوي: "{مكنَّاكم}: من التمكين بمعنى التمليك، أو معناه: جعلنا لكم فيها مكانًا وقرارًا وأقدرناكم على التصرف فيها ومعايش: جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وما تكون به الحياة.

والمعنى: ولقد جعلنا لكم -يا بنى آدم- مكانًا وقرارًا في الأرض، وأقدرناكم على التصرُّف فيها، وأنشأنا لكم أنواعًا شتى من المطاعم والمشارب التي تتعيشون بها عيشة

---

(1) معالم التنزيل (42/5).
(2) الكشاف (633/2).
(3) تفسير الطبري (289/17، 290).

راضية، ولكن كثيرًا منكم لم يقابلوا هذه النعم بالشكر، بل قابلوها بالجحود والكفران. وفضلًا عن ذلك فنحن الذين خلقنا أباكم آدم من طين غير مصور، ثم صورناه بعد ذلك"[1].

وقال الطبري في تأويل {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: 10]: "ولقد وطَّأنا لكم أيها الناس في الأرض، وجعلناها لكم قرارًا تستقرُّون فيها، ومهادًا تمتهدونها، وفراشًا تفترشونها {وجعلنا لكم فيها معايش}، تعيشون بها أيام حياتكم، من مطاعم ومشارب، نعمة مني عليكم، وإحسانًا مني إليكم {قليلا ما تشكرون}، يقول: وأنتم قليلٌ شكرُكم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري، واتخاذكم إلهًا سواي"[2].

وهنا معنى التمكين في الأرض يبين أن التنمية أسَّسَها الله سبحانه خالُقها خالق كل شيء؛ فموارد التنمية جميعها من الخالق سبحانه، وهو سبحانه عز وجل الذي منَّ على عباده بأن عرفهم كيف ينمون أنفسهم مما خلقه الله لهم من موارد، وعوامل إنتاج كالأراضي، وما فيها من غابات، ومراعٍ، ومياه أنهار، وبحار، وثروات في باطن الأرض، وكنوز في أعماق البحار، والأنهار.

* وجاء في قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف: 26].

قال البغوي: "{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال"[3].

وكل هذه المعطيات الربانية هي معطيات التنمية: الإنسان، والعمل بما لديه من قوة، والوقت، والمال، وهذه عناصر أساسية للتنمية وهبها الله لبني البشر، وهناك من يعمل بها، ويستغلها ويعبد الله بها كما أمر، وهناك من يستخدمها فيما يسخط الله، ويغضبه سبحانه.

وقال السعدي: "{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} أي: مكناهم في الأرض يتناولون طيباتها ويتمتعون بشهواتها وعمرناهم عمرًا يتذكر فيه من تذكر، ويتعظ فيه المهتدي، أي: ولقد مكنَّا عادًا كما مكنَّاكم يا هؤلاء المخاطبون، أي: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم، وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئًا، بل غيركم أعظم منكم تمكينا فلم تغن عنهم أموالهم، ولا أولادهم، ولا جنودهم من الله شيئًا.

{وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً} أي: لا قصور في أسماعهم، ولا أبصارهم، ولا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم، وعدم تمكن من العلم به، ولا خلل في عقولهم، ولكن التوفيق بيد الله. {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا قليل، ولا كثير، وذلك بسبب أنهم {يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله} الدالة على

(1) التفسير الوسيط (1588/1).
(2) تفسير الطبري (315/12، 316).
(3) معالم التنزيل (264/7).

توحيده، وإفراده بالعبادة، {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه ويستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه"[1].

وهنا جاء التمكين واضحًا بمعناه الشامل عن النمو، والذي هو نتاج التنمية، والتي هي مفرداتها التجارات، والصنائع، والسعي، ولكن مكمن الخطورة في هذه الآيات أنه اختبار لبني البشر بما لديهم من نعم هل يتم استخدامها طبقًا للناموس الإلهي في العمل بآيات الله؟ ومنها الآيات الذي تم ذكرها عن الأخلاق، والقيم الأخلاقية سواءٌ كانت حسنة فنتبعها، أو قيم بذيئة فنجتنبها.

ولقد جاء مثالان في التمكين بمفهوم التنمية، والنمو، والرخاء:

1- مع نبي الله يوسف عليه السلام، وجاء ذلك في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 56].

قال السعدي: "قال تعالى: {وَكَذَلِكَ} أي: بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة، {مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ} أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وليست مقصورة على نعمة الدنيا"[2].

وهنا كان التمكين، والإعمار، والتنمية، والحياة الطيبة كل هذه المرادفات مجتمعة؛ إذْ أصبح يوسف عليه السلام ممكنًا على خزائن الأرض، ومواردها، وعاملًا على تنميتها بصورة مثالية مصدرها الوحي الإلهي، وعلم يوسف نبي الله، وحكمته، وأمانته، وحفظه لعهد الله، ولأمانات الرعية.

2- ومع العبد الصالح ذي القرنين، وجاء في قوله تعالى: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف: 84-85].

قال السعدي: "{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ} أي: ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. {وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا} أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرًا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عُدما أو أحدهما لم يحصل"[3].

وهنا توضح الآيات أن أسباب التمكين قد يعطيها الله للعباد، أو لا، وأن اتباع الأسباب هي التي تُبلغ إلى التمكين المطلوب، ولو جعلنا المعنى في صورة التنمية في الأرض، وزرع الخير والنماء، والنمو نقول: إن مدلول الآية هو أنه لا بد من الأخذ بالأسباب كاملة التي يمنحنا إياها الرب سبحانه، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وبه تكون التنمية، وبه يكون التمكين في الأرض.

7- البركة:

---

(1) تفسير السعدي (ص782).
(2) المرجع السابق (ص400).
(3) تفسير السعدي (ص485).

* وجاء في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96].

حيث إن بالإيمان والتقوى يستنزل العبدُ البركة من الله سبحانه وتعالى، وهذا موعود من الله بأن بركات من السماء والأرض ستُفتح على أهل القرى عندما يؤمنون، ويتقون ربهم، فالبركة والنماء والنمو والتنمية سيُحصَّلْنَ بموعود الله بهذين الشرطين؛ الإيمان والتقوى.

8- الاستخلاف:

ويَلْحَظ آخرون أن "مصطلح الاستخلاف هو الأقرب للدلالة على التنمية"[1].

* ولقد جاء في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

قال السعدي: "فإنه وعد من قام بالإيمان، والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدًّا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل"[2].

وفي هذه الآيات جاء الربط بين الاستخلاف في الأرض، والتمكين بعد الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان شرط لقبول العمل، والعمل الجاد شرط لتحقيق التنمية، فالتنمية ناتجة عن العمل، ولكن ليس أي عمل، لا بد وأن يكون عملًا مبنيًّا على أسس واعية متبعًا لأسباب خلقها الله لنا، كما جاء في الآيات السالفة الذكر عن التمكين بشروط إمعان التوكل على الله، والاستعانة به، ومن هذه الأسباب القيم الخلقية التي سبق الإشارة إليها؛ سواء اتباعًا لها إن كانت حسنة، أو امتناعًا عنها إن كانت غير حسنة.

* وجاء في قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {ثم جعلناكم} أيها الناس {خلائف} من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا، تخلفونهم {في الأرض}، وتكونون فيها بعدهم {لننظر كيف تعملون}، يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، تحتذون مثالهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلَهم"[3].

---

(1) د. نصر عارف، مفهوم التنمية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، (ص1، 2).
(2) تفسير السعدي (ص573).
(3) تفسير الطبري (38/15).

وهنا تتضح حكمة الآيات في أن الاستخلاف والسعي من خلاله إلى إعمار الأرض، وتنميتها ما هو إلا اختبار من الله عز وجل هل سننجح فيه أم لا؟ وبالتأكيد هذا مدلوله، وسبيله الأخذ بالأسباب، والتي منها كما ذكرنا القيم الخلقية التي سبق الإشارة إليها، سواء اتباعًا لها إن كانت حسنة، أو امتناعًا عنها إن كانت غير حسنة.

ثم سننتقل الآن إلى التعرف على مرادفات كلمة الاقتصاد في القرآن كما سيأتي.

ثانيًا- مفهوم الاقتصاد في القرآن:

جاءت مفردات من مادة (ق ص د) في القرآن بمعانٍ متعددة، وكلها تصب في إطار قيم رفيعة وأخلاقيات عالية، وهذه الملحوظة تتبين لنا في آيات القرآن، وهذا الاستنتاج ظهر لنا من تدبر آيات الذكر الحكيم بفضل الله ومِنَّتِه؛ إذْ جاء الاشتقاق اللغوي لكلمة الاقتصاد في القرآن بعدة أشكال، وسنتناولها بشيء من التوضيح، والعجيب أن الاقتصاد الإسلامي مبني على القيم الأخلاقية، وذلك ليس معنًى فقط، ولكن لغةً أيضًا كما سنرى، فجاء في القرآن عدة كلمات: (مقتصدة - اقصد - مقتصد - قاصدًا - قَصْدُ).

فهذه المفردات كلها مُشتقَّة لُغويًّا من مادة (ق ص د) التي اشتقت منها أيضًا كلمة "الاقتصاد"، وهذا توفيق فريد لمن أنشأ هذا العلم، واختار اسمه، فابن خلدون كان موفقًا في تسمية هذا العلم بعلم الاقتصاد، وتوفيق من الله أن لفت انتباهي لهذه الملحوظة، وإليك تفصيل الكلام عن هذه المفردات:

1- كلمة {مقتصدة}:

* جاءت في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: 66].

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بقوله: {منهم أمة}، منهم جماعة {مقتصدة}، يقول: مقتصدة في القول في عيسى ابن مريم، قائلةٌ فيه الحقَّ أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا غاليةٌ قائلةٌ: إنه ابن الله، تعالى الله عما قالوا من ذلك، ولا مقصرة قائلةٌ: هو لغير رِشْدَة {وكثير منهم}، يعني: من بني إسرائيل من أهل الكتابِ اليهودِ والنصارى {ساء ما يعملون} يقول: كثير منهم سيِّئٌ عملهم، وذلك أنهم يكفرون بالله، فتكذب النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتزعُم أن المسيحَ ابن الله وتكذِّب اليهود بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما. فقال الله تعالى فيهم ذامًّا لهم: {ساء ما يعملون}، في ذلك من فعلهم"[1].

وهذا الوصف لأهل الكتاب بأن منهم أمة مقتصدة أي أن فيهم خلق البر أي الإيمان بالله وحده وفيهم التصديق بكلام الله، وعدم مخالفته، وليس فيهم الكذب، والكفر بآيات الله، وكل هذه المعاني أخلاق منها الخلق الحسن في عبوديتهم لله الواحد، وهذا حسن خُلُق مع الله، وفيه قولهم الحق، وهذا خُلُق الصدق الذي تكلمنا عنه من قبل.

2- كلمة {مقتصد}:

* جاءت في قوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان: 32].

---

(1) المصدر السابق (465/10).

قال البغوي: "{فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} أي: عدل موفٍ في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: ثبت على إيمانه"[1].

وهذا يصف خلق الإيفاء بالعهد مع الله، وسبق ذكره، وهذا عكس أخلاق المنافق من عدم الوفاء بالعهد، وعدم الثبات على أمر الدين، وفيه أيضًا خلق البِر في آية {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب} [البقرة: 177]، وسبق ذكرها في الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة.

* وجاءت في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر: 32].

قال السعدي: "{وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم"[2].

وقال الطبري: "حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..} إلى آخر الآية قال: جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل، كقوله: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} فهم على هذا المثال.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح قال: ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ..} الآية، قال: الاثنان في الجنة وواحد في النار، وهي بمنزلة التي في الواقعة {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}"[3].

وقال: "{وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} قال: هم أصحاب الميمنة"[4].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كلمة "مقتصد" تدل على جمال الأفعال، وحسن الأخلاق مع الله ومع الناس، والتي كانت سببًا في دخول الجنة، رزقنا الله وإياكم من فضله ومِنَّته.

3- كلمة {اقصد}:

* جاءت في قوله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 19].

قال البغوي: "{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي: ليكن مشيك قصدًا لا تخيلًا ولا إسراعًا. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: {يمشون على الأرض هونا}[الفرقان: -63]"[5].

وهذا من وصف خلق التواضع، وجميل الأخلاق، ومحاسن الصفات.

وقال السعدي: "{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي: امش متواضعًا مستكينًا، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت"[6].

---

(1) معالم التنزيل (293/6).
(2) تفسير السعدي (ص689).
(3) تفسير الطبري (467/20).
(4) المصدر السابق (468/20).
(5) معالم التنزيل (289/6).
(6) تفسير السعدي (ص648).

وقال الطبري: "يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه، ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه" [1].

ومما سبق يتضح أن الكلمة "اقصد" تنم كلها عن أخلاق حسنة في المشي بدون تكبر، أو خيلاء وبكل تواضع، وهدوء.

4- كلمة {قاصدًا}:

* جاءت في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِالله لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَالله يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: 42].

قال البغوي: "{وَسَفَرًا قَاصِدًا} أي قريبًا هينًا"[2].

ونَلْحَظ أن هذا الوصف في معنى قاصدًا (هينا – سهلًا) هذا وصف المؤمن أنه هين لين سهل قريب من الناس، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار كل قريب هين لين سهل»[3].

وموصوف الكلمة ومعناها نجده أنه خُلُق كله.

5- كلمة {قَصْدُ}:

* جاءت في قوله تعالى: {وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)} [النحل: 9-10].

قال البغوي: "قوله تعالى: {وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ} يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم.

{وَمِنْهَا جَائِرٌ} يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل: دين الإسلام، والجائر منها: اليهودية، والنصرانية، وسائر ملل الكفر.

وقال عبد الله بن المبارك، وسهل بن عبد الله: {قصد السبيل} السنة، {ومنها جائر} الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل} [الأنعام: 153]"[4].

قال السعدي: "{وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ} أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله.

وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو: كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم"[5].

---

(1) تفسير الطبري (146/20).
(2) معالم التنزيل (54/4).
(3) أخرجه الترمذي (2488)، ابن حبان (470)، وقال الترمذي: حسن غريب.
(4) معالم التنزيل (11/5).
(5) تفسير السعدي (ص436).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس بيانُ طريق الحقّ لكم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها، والسبيل: هي الطريق، والقصد من الطريق: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، كما قال الراجز:

فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الطَّرِيقِ القاصِدِ

وقوله: {وَمِنْهَا جَائِرٌ} [النحل: 9] يعني تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوجٌّ"[1].

ومما سبق يتضح لنا أن كلمة "قَصْدُ" فيها معاني الاستقامة التي لا اعوجاج فيها، وهذا هو برهان الأخلاق الحسنة، وكذلك الاستقامة تعتبر خلقًا حسنًا، ومنهجًا صحيحًا، وهذا ما يضيف إلى ما سبق ذكره من أن المفردات اللغوية لمادة (ق ص د) التي اشتق منها "الاقتصاد" معانيها جميعها في القرآن تشمل الأخلاق الحسنة.

ومما سبق يتضح لنا أن المفردات اللغوية لمادة (ق ص د) التي اشتق منها كلمة "اقتصاد"؛ جاءت جميعها في القرآن بصفات أخلاقية في معانيها، وكلها صفات حسنة، وهذا يؤكد أن الاقتصاد الإسلامي كله قيم وأخلاق، وهذا ليس في الأسس والقواعد التي يُبنى عليها فقط، ولكن أيضًا في المفردات المشتقة من جذره اللغوي الواردة في القرآن، والله أعلم.

---

(1) تفسير الطبري (174/17، 175).

المبحث الثاني
ركائز التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم

إن التنمية الاقتصادية ركيزتها الأساسية العمل على زيادة الإنتاج، فبزيادة الإنتاج يكون الإعمار، وبالتالي زيادة مستوى المعيشة للأفراد، فـ "التنمية الاقتصادية سياسة اقتصادية طويلة الأجل لتحقيق النمو الاقتصادي، والتركيز على إنتاجية العمل، والسيطرة على موارد الثروات الاقتصادية"[1].

كما أن التنمية كمفهوم للاستخلاف يقول فيها آخرون: "إن الاستخلاف في المصنع الإلهي يدفع الإنسان إلى العمل لينتج حاجته من مأكل، وكساء، وبناء؛ ليشبع رغباته، ويستكفي حاجاته، وهو في إنتاج الحاجة، وإشباعها، وسد حاجته منها لا يكون إنتاجًا فرديًّا، فإنه فوق ذلك يعمل على إنتاج أكبر قدر من الحاجة، وهو ما تحتاج إليه الجماعة الإسلامية"[2].

ويقول آخرون في التنمية كمفهوم للحياة الطيبة: "أما التنمية الاقتصادية فتعني الزيادة في مستويات المعيشة، وتحسين في الحاجة لاحترام الذات، والتحرر من الظلم"[3].

ويذكر آخرون عن التنمية كمفهوم للإعمار: "مفهوم أشمل يتضمن الزيادة في الدخل، والتغيرات الهيكلية في البناء الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، والثقافي لعملية التقدم الاقتصادي للدول النامية"[4].

وكل هذه المعاني السابقة تشير إلى أن التنمية الاقتصادية ركيزتها الأساسية الإنتاج بكل ما يشمله من عوامل للإنتاج، والتي حددها علماء الاقتصاد، والتي احتوت عليها المفاهيم السابقة. وتتمثل "عوامل الإنتاج في: العمل، رأس المال، الأرض. هذه العوامل الثلاثة هي التي يعترف بها الإسلام بحيث يبني عليها الإنتاج"[5].

وتُعرَّف "التنمية الاقتصادية" بأنها: العملية التي يحدث من خلالها **زيادة** مستمرة في متوسط الدخل الحقيقي، **وتحسُّن** في توزيع الدخل لصالح الطبقة الفقيرة، **وتغيُّر** في هيكل الإنتاج بما يضمن تواصل التنمية بقوة الدفع الذاتية.

ووفقًا لهذا التعريف، فإن التنمية الاقتصادية تعتبر عملية تغيير مستمرة تتضمن حدوث زيادة في متوسط الدخل الحقيقي، على أن تتوزع هذه الزيادة في الدخل بين جميع أفراد المجتمع خاصة الطبقة الفقيرة، وذلك لضمان زيادة العدالة في توزيع الدخل، كما تتضمن تغيرًا في هيكل الإنتاج، بحيث تزداد النسبة التي يحتلها قطاع الصناعة التحويليّة مصحوبة بتنمية تكنولوجية لازمة لتواصل التنمية من خلال قوَّة دفع ذاتية.

---

(1) د/يسري محمد أبو العلا ، علم الاقتصاد، دار النهضة العربية، (ص680).
(2) د/أمين مصطفى عبد الله، أصول الاقتصاد الإسلامي ونظرية التوازن الاقتصادي في الإسلام، دار الكتب، 1404هـ - 1984م، الطبعة الأولى، (ص108).
(3) مرجع سابق، د/رمضان صديق، (ص20).
(4) د/عبد الباسط وفا، التنمية الاقتصادية، دار النهضة العربية 2009م، (ص14).
(5) د/رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، كتاب جامعي، كلية التجارة، جامعة الأزهر، (ص227، 228).

ومما سبق يتضح لنا، أن التنمية الاقتصادية في الاقتصاد الإسلامي تعتمد على ركائز، منها عوامل الإنتاج الثلاثة: الأرض، العمل، رأس المال، ولقد جاءت الإشارة لها في كتاب الله، وسنتناولها بشيء من التفصيل لنتعرف على مدى أهميتها، ونستنتج معًا حكمة الله سبحانه وتعالى في هذه المعاني، ومدلولاتها الاقتصادية، وأثر تفاعل هذه العوامل مع عامل العنصر البشري، وذلك على النحو الآتي:

أولًا- الأرض:

1- إفساد الأرض وإصلاحها:

أمر الله سبحانه عباده أجمعين بعدم الإفساد في الأرض بكل صوره، وهذا معناه أنه يأمرهم بإصلاحها، ونمائها بما فيه خير، ولكن هل معنى الإصلاح أو الإفساد في الأرض هل يؤخذ من وجهة نظر العباد، أم لا بد أن يُستوحى من قِبْل الرب سبحانه؟

المشاهد في القرآن الكريم أن كثيرًا من عباد الله يتعاملون مع هذا العامل الأساسي للتنمية من منطلق تفكير عقلي مجرد عن الوحي المنزل، ويفسدون، ولا يعلمون أنهم سبب الفساد، وذلك بسبب عدم العلم بالوحي المنزَّل وأحكامه، فمنهم من يغتصب أرضًا، ومنهم من يجعلها أرض بور لطمع مادي، فيفسد الرقعة الزراعية، ومنهم من يستخدم هذه النعمة بدلًا من أن يقدم الشكر لله عليها يكفر بنعمة الله عليه (المقصود كفر النعمة لا الكفر بالله) ويستخدمها، وهو يمشي عليها في معصيته سبحانه، وهذا سبب لغضب الله، وعدم تحقيق الهدف الذي خلق الإنسان من أجله.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: 11].

2- الأرض نعمة من الله تستحقُّ الشكر لا الكفر:

لقد أنعم الله علينا بالنعم، ولكن هناك من يكفر بالله، ويعبد غيره، ويتخذ لله ندًّا، وهذا كثير حولنا، وإن نجحوا في تحقيق تنمية، فهذا أمر مؤقت لن يدوم فلننظر لقوم عادٍ التي لم يخلق مثلها في البلاد، وقوم فرعون ذي الأوتاد.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22].

3- الإفساد في الأرض عاقبته الخسران:

تكلمنا عن بعض صور الإفساد في الأرض في الآيتين السابقتين، وهذا الفساد عاقبته الخسران في الدنيا والآخرة، فمن تمتع بروح الإصلاح، وأصلح فقد نجا من هذا الخسران، وجاء في ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [البقرة: 27].

4- الإنسان مُستخلف في هذه الأرض:

جعل الله سبحانه وتعالى بني آدم عليهم مسئولية عظيمة ألا وهي الاستخلاف في الأرض، وهذا محلُّ اختبار، فهناك من سينجح فيه، وهناك من سيرسب، وكما سبق ذكره أن التنمية والاستخلاف مرتبطان في المعنى؛ فالإنسان مستخلف لعمارة هذه الأرض بالخير، والحياة الطيبة. وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة: 30].

5- خلافة الأرض تتطوَّر مع الزمن:

"وجعل الله الخلافة تتطور مع الزمن، تتجدد مع أحداث البشرية، وتكرر الحضارات"[1]. وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام: 165].

6- تسخير الله سبحانه لهذا الكون:

"وكان الله سبحانه وتعالى كريمًا مع الإنسان في كل ما خلق، فسخر للإنسان كل ما في الكون المصنع الإلهي"[2].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ الله بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج: 65].

وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: 20].

7- ملكية الأرض:

"وهذه صورة الملكية – ملكية الأرض فهي ملكية عامة لجميع البشر، وقسم الأرض أممًا بين الناس، ويرثها سكانها، وجعل لهم فيها معايش، وسبلًا لاستمرار الحياة زيادة في عمارة الأرض"[3].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: 168].

وقوله تعالى: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن: 10].

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105].

8- الأرض عامل إنتاج مؤقت للتنمية:

فالأرض التي أنعم الله علينا بها ليرى سبحانه كيف نعمل بها، وكيف نوفي حق هذه النعمة ما هي إلا عطاء مؤقت من الله، وستنتهي فترة الاختبار إلى حين لينظر كيف عملنا فيها.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة: 36].

9- الأرض كعامل إنتاج يحتاج للماء:

فالله سبحانه يرشدنا بكل التفاصيل لما تحتاجه الأرض من معطيات ليكون النماء، وهنا يذكر سبحانه ماء المطر، وفائدته للنبات، وأذكر عندما كنت بأحد أحياء الرياض بالمملكة العربية السعودية أخبروني أن بأحد الأسواق الكبرى هناك نوعين من البصل أحدهما سُقي بماء المطر وقيمته 30ريال، والآخر سُقي بالمياه الممزوجة بالكيماويات المستحدثة ليكون أسرع في النمو، وسعره 5 ريالات، فسبحان من أهدى البشر لما فيه خير لهم، ولكن خُلق الطمع الذي جعل الفساد في الأرض، والحرث.

---

(1) مرجع سابق، د/أمين مصطفى عبد الله، (ص114).
(2) المرجع السابق (ص115).
(3) المرجع السابق (ص115).

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [البقرة: 164].

10- الأرض محلٌّ لسعي الإنسان:

"وجعل الله السعي في الحياة والعمل للحصول على الرزق، وهو أمر معلق بإرادة الله مع سعي وعمل الإنسان، ليحصل على الحاجات المادية اللازمة لحياته"[1].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك: 15].

"ولكن هذا الرزق موزع بقدر لحكمة إلهية هي في علم الله"[2].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ الله الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى: 27].

11- الأرض من مخرجاتها الطيب والخبيث:

يأمرنا الله سبحانه أن نأكل الحلال الطيب من الأرض، ولا نأخذ الخبيث، وحكمة الله في ذلك أن موروث الأكل الطيب العمل الصالح، والفلاح في الدنيا والآخرة؛ بعكس الخبيث وهو كل ما فيه محرمات كالسرقة، أو الغش أو.. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [البقرة: 168].

12- الإنسان مُلزم بالأخذ على يد المفسد في الأرض:

أمرنا الله بالأخذ على يد المفسد في الأرض الذي يعطل مسيرة الإعمار فيها، ويخالف أوامر الله في كيفية الاستفادة منها، وهذا بالطبع بواقع فقه النهي عن المنكر؛ فولي الأمر مسئول عن دفع المفسد بالقوة، والدعاة بالكلمة، والوعظ.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 251].

13- الإنفاق من طيبات الأرض:

وهذا يشمل زكاة الزروع، ويجب أن تكون من أفضل المحصول، ويشمل الصدقات التي يجب أن تدفع عن زكاة الركاز مما هو خارج من الأرض من كنوزها.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [البقرة: 267].

14- عقوبة المفسدين في الأرض في الدنيا:

فرض الله سبحانه وتعالى حد الحرابة على من يفسد في الأرض، وجعله أسوء عقوبة، وذلك حفاظًا على أن تكون الحياة في الأرض بدون فساد، أو تخريب، وهذا الأمر بغيابه عن التطبيق في كثير من البلاد ظهر الفساد في البر والبحر، ونسمع عن أعاجيب منها من يضع الميتة في مياه النيل، وهناك من يضع سموم قاتلة لقتل السمك وصيده، وكل ذلك الفساد لن ينتهي إلا باتباع ما أمر الخالق لهذه الأرض العالم بما يصلحها.

---

(1) المرجع السابق (ص115).

(2) المرجع سابق (ص116).

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].

15- إرشاد الله لنا وتحذيرنا من أشد أهل الأرض إفسادًا فيها:

وكان ذلك من الله علمًا يقينيًّا لا شك فيه، ولكن نحن المسلمون لا نتوخى الحيطة والحذر من هذا الفساد، فلو تمت مراجعة التاريخ لوجدنا أن أشد الناس إفسادًا في الأرض هم اليهود بنشر كل ما يدمر اقتصاد الدول الإسلامية، سواء في مواردها، أو ثرواتها البشرية، ولو بقتل علمائها، أو بالربا الذي يسبب غضب الله وحربه لنا، وبالفعل مكر اليهود بالاقتصاد العالمي -ليس فقط الاقتصاد في الدول الإسلامية- مشهود عيان للجميع، وإلا فما سبب الحروب العالمية التي سبقت وما سبب اضطهاد النازية الألمانية لهم، حذرنا الله منهم ولكن لا فائدة لمن اتخذ هذا القرآن مهجورًا.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَالله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64].

16- التمكين والتنمية في الأرض يفنيان بسبب الذنوب:

أعلمنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن أممًا وصلت لأعلى درجات التمكين في الأرض، وكانت التنمية الاقتصادية فيها على أعلى درجة، ولكن فنيت هذه المجهودات جميعها بسبب الذنوب والآثام، فالناتج التنموي لاقتصاديات الدول لو كان محفوفًا بالعصيان لله كانت نتيجته الفناء.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} [الأنعام: 6].

وجاء التنبيه لنا لنتعظ في قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: 11].

17- نهاية الانتفاع بالأرض:

"وفي نهاية المطاف للحياة ترجع الأرض إلى مستخلفها؛ لله سبحانه وتعالى، مالكها وخالقها وصاحبها"[1].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم: 40].

18- الشكر واجب على التمكين والتنمية في الأرض:

لتكون التنمية لا بد من استخدام الموارد المتاحة، وكذلك عوامل الإنتاج، ومنها الأرض، وهذا أساس النجاح، وإذا حدثت التنمية المرجوة ينبغي علينا أن نشكر الله على ذلك، وشكر الله معناه:

أ- السير في اتباع أوامره.

ب- العمل.

---

(1) المرجع السابق (ص119).

قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13]. فشكر نعم الله يلزمه عمل باللسان والقلب والجوارح. قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: 7]. فالعبرة في هذه الحياة بمن يحسن في عمله. وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: 10].

ومن هنا ننتقل إلى العنصر الثاني لتحقيق التنمية الاقتصادية وزيادة الإنتاج: ألا وهو العمل.

ثانيًا- العمل:

1-"ربط الله العمل بالعبادة"[1]:

فالعمل من العبادة، ولا ينفصل عنها، وجاء في الحديث: «ما أكل أحد طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود عليه السلام، كان يأكلُ من عمل يده»[2].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [البقرة: 277].

وقال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ الله} [الجمعة: 10].

فمن ترك العمل بالكلية؛ فقد ترك أحد أسباب المغفرة له، وهكذا يكون المجتمع كله مجتمعًا عاملًا ساعيًا لمغفرة الله سبحانه وتعالى.

2- الإنسان مكلف بالعمل للإصلاح وأن لا يظلم بعمله:

كلفنا الله في هذه الحياة بالكد والاجتهاد، والعمل في كل نواحي الحياة بما فيه رفعة للإسلام والمسلمين، وحذرنا سبحانه من اتباع سبيل الظالمين؛ لأنهم موعودون بعدم الفلاح في الدنيا والآخرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأول للعمل؛ فقال: «ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنتُ أرعاها على قراريطَ لأهل مكة»[3]، وكان صلى الله عليه وسلم يحفِرُ الخندق وينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه[4]، وجاء في ذلك قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: 135].

فالعمل هو أساس التنمية والنمو، بشرط أن لا يكون العمل فيه ظلم لأحد، وأن يكون للإصلاح.

3- عمل الإنسان محاطٌ بالمراقبة الإلهية:

إن عمل الإنسان وسعيه سيراه الله سبحانه، وسنردُّ لله سبحانه ليخبرنا بما عملنا من خير أو شر، والأمر بالعمل شيء لازم، وهناك تحذير من الله سبحانه بأنه لا بد أن يكون القائم بالعمل متفهمًا لمراقبة الله له.

---

(1) المرجع السابق (ص144).
(2) البخاري (3417).
(3) البخاري (2262).
(4) البخاري (2837)، مسلم (1803).

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: 105].

فالآن كاميرات المراقبة في أماكن العمل كثرت لعدم اليقين بهذه الآية، ولعدم توافر أخلاق الإيمان باسم الله الرقيب.

4- الأجر للعاملين مضمون من قِبَل الله سبحانه:

وعد الله سبحانه وتعالى -ومن أصدق من الله قيلًا- أنه لن يضيع أجر من يعمل، سواءٌ كان ذكرًا أو أنثى، وهذا يعطي للإنسان ثقة في أن العمل الذي يُقام به من أجل التنمية، أو الإصلاح في الأرض لن يضيع حق صاحبه لا في الدنيا بالمثوبة، ولا في الآخرة بالجنة.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ} [آل عمران: 195].

وهذا العمل الذي له موعود الأجر من شروطه أن يكون محفوفًا باتباع هديه صلى الله عليه وسلم، والسعي في مرضاة الله.

5- الإسلام دين تضامن ونضال وعمل وجهاد:

"في الإسلام تعاضد، وتضامن، وتساند، وعمل، ونضال، وجد، وكفاح، ليقوم كل إنسان

بالتزاماته، ويوفى على ذلك أجره العادل، وقد (جمع) الدين بين المجاهد بسيفه في رقاب الكافرين (في سبيل الله)، وبين الضاربين في الأرض يعملون مبتغين من فضل الله"[1].

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله}[المزمل: 20].

فلقد جمع العمل في الجهاد في سبيل الله، وهذه شعيرة عظيمة أجرها كبير، وبين السعي في الأرض لعمارتها، والتنمية الاقتصادية لها.

6- ضرورة اجتناب العمل الذي من صنع الشيطان:

إن الأعمال في الدنيا منها الحرام، ومنها الحلال، والحرام من صنع الشيطان، ويلزم على الإنسان أن يجتنب أي عمل من صنع الشيطان، وإلا كان عاملًا بالفساد.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90].

وهذا يحتاج من الإنسان أن يعرف ويتعلم الحلال من الحرام، وإلا فلا فائدة، فحتمًا سيقع في عمل الشيطان إن لم يَعِ جيدًا ما حذرنا الله ورسوله من الوقوع فيه من آثام.

7- مسئولية أمانة العمل وإتقانه:

تصاحب أمانة العمل مسئولية إتقانه، وتجديد الإنتاج، وإتباع الأساليب المتطورة، واستمرارها، والوقوف على وسائل البحث، وطرق التجديد والابتكار، وجاء في ذلك قوله تعالى: { وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ} [البقرة: 195] أي: المتقنين أعمالهم المخلصين فيها[2]، وجاء في حديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى

---

(1) مرجع سابق، د/أمين مصطفى عبد الله، (ص148) بتصرف.

(2) ينظر: التفسير الواضح (1/ 561).

الله عليه وسلم قال: «إن الله كتَب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتُم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْح»[1]. فهذا الحديث والآية السابقة يبيّنان لنا أن الإحسان والإتقان في العمل أصلٌ أصيل في هذه الشريعة الغراء.

8- العمل الفاسد لا نفع فيه:

مهما كانت الأعمال مبهرة، وفيها رونق، وإضافة للبشرية وللتنمية الاقتصادية، فإن عاقبتها الاضمحلال إن كانت مبنية على أساس خاطئ أو فاسد.

وجاء في ذلك قوله تعالى: { إِنَّ الله لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: 81].

وهذا واضح، وإلا فأين الحضارات السابقة الفرعونية وعاد وثمود، جميعهم هلكوا، ولم يبقَ لهم أثر؛ لأن العمارة في الأرض كانت على أساس بناء فاسد، وعدم اهتداء بأوامر الله.

9- العمل الصالح ثمرته الحياة الطيبة:

أي سعي للتنمية الاقتصادية بما فيه الإصلاح، وعمارة الأرض موعود من قبل الله سبحانه

وتعالى بأمرين:

1- الحياة الطيبة.

2- الجزاء من الله بأحسن مما كان عليه عمله في الدنيا.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

والحياة الطيبة تكون للعامل، سواءٌ كان ذكرًا أو أنثى، وهذا العمل الصالح بالعمارة في الأرض والسعي للتمكين أجره من الله سبحانه؛ فكيف يكون شكل الأجر ووصفه من قبل الرب العظيم؟! حتمًا سيكون بشكل لا يدركه عقل.

10- أعمال المفسدين عاقبتها الفناء:

الأعمال في الدنيا بالسعي لإفساد الأرض، وذهاب خيراتها، وبركتها لا يدركه صاحب العمل إلا عند الموت فيشهد ملائكة العذاب عند قبض روحه، وهنا يرى كل ما قدمه من عمل، وكل ما يراه حسنًا يراه هباءً منثورًا.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 22-23].

ويشمل المعنى أيضًا أن العمل قد يكون صالحًا، ولكن أراد صاحبه به حظوظ الدنيا فسيُجعل هباءً منثورًا أيضًا، وكذلك لو كان من كافر لا يؤمن بالله العظيم فعاقبة عمله الفناء، وإن أخذ مقابل في الدنيا من أجور؛ أما عند الله سبحانه فأعماله لا تزن شيئًا.

11- الله سبحانه غني عن أعمال العباد:

الإعمار في الأرض، والإصلاح فيها هو عائد بالنفع على صاحب العمل؛ لأن الله سبحانه غني عن البشر أجمعين، ولا يزيد ذلك في ملكه شيئًا، ولا ينقص من ملكه شيئًا؛ فهو سبحانه الغني، ونحن الفقراء إليه. وجاء في ذلك قوله تعالى: { وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم: 44].

---

(1) مسلم (1955).

والإنسان هو الذي يحتاج لأن يعمل، ويعمر الأرض، وينتج في كل ميادين الإنتاج لينال الأجر من الله.

والهدف من العمل هو تنمية الموارد المتاحة في المصنع الرباني، وتثميرها ليحصل الإنسان على إنتاج يسد به حاجاته، وكلما زاد عدد السكان زاد الإنتاج، وزاد الاستهلاك، وزادت مسئولية الاقتصاد بالوفاء بمسيرة التطور، وذلك بالجهد المبذول، والعناية الموجهة للتنمية الإنتاجية، سواء كان ذلك في الزراعة أو الصناعة أو عمليات التجارة، هذا يمثل النشاط البشري في المصنع الإلهي.

وخلاصة القول؛ فالبطالة غير مقررة في الإسلام، ودوافع العمل من أجل التنمية الاقتصادية ورفع معدلات الإنتاج، من الأمور التي يحثنا عليها الدين الإسلامي، وآيات الله البينات تحث على العمل الذي فيه خير ونماء للبشرية على كل المستويات.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)} [الزمر: 73-74].

ومن هنا يتضح أن سعي الإنسان كله في الدنيا، وعمله الساعي للخير، والتنمية، والرخاء نهايته الجنة، والخلود فيه، ولقد مدح الله في آخر الآية أجور العاملين فما أعظم الجزاء من الله! وما أفضل السعي فيما يرضيه من أعمال!

ثالثًا- رأس المال:

1- المال مال الله ونحن مستخلفون فيه:

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وجُعل الإنسان مُستخلفًا فيما خلقه سبحانه؛ فهناك من يؤدي عبودية الله سبحانه وتعالى فيما يرزقه الله بفضله، ومن هذا الرزق المال، ومن يؤدي هذه العبودية في مال الله له أجر عظيم.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {آَمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

وعندما يتدبر الإنسان هذا المعنى يسهل عليه أداء الحقوق المالية التي فرضها الله عليه من زكاة وصدقات، وهنا يتحقق شرط الإيمان للعبد (أي التصديق) بهذه الآية.

2- الالتزام بالمحافظة على المال:

جاء التشريع الإسلامي لحفظ الضروريات الخمسة، ومنها المال، ومن أحكام الدين في ذلك المحافظة عليه من تبديد السفهاء، والإنفاق عليهم منه.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [النساء: 5].

وهذا تشرع يبين أهمية المال، وأن الحفاظ عليه واجب على الفرد والمجتمع والدولة، كلهم جميعًا.

وقد وُضع حدٌّ من الحدود لحفظ المال من السرقة، وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ الله وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38].

وهذا الحد من الحدود التي بها يكون المجتمع المسلم في أمن من الكثير من جرائم السرقة ونهب المال العام المتفشي في بلادنا الله أسأل أن يرشدنا لاتباع نهجه.

3- الإنسان بفطرته جُبِلَ على حب المال:

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: 20].

الإيمان بالله سبحانه ليس العبرة فيه فقط التوجه لأداء الصلاة، ولكن من الأمور الأساسية أن يبذل الإنسان ما يحبه من متاع الدنيا مما رزقه الله، ويؤدي حقوق الله، وحقوق العباد، سواءٌ كانت من مال نقدي أو عيني.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [البقرة: 177].

وحقوق العباد كثيرة في المال لا مجال لحصرها، وإنما الواجب على كل مسلم أن يتعلم ما افترضه الله عليه من هذه الحقوق.

4- كثرة المال أساس للحكم في وجهة نظر بعض الناس:

جُبِلَ الكثير من الناس على فطرة أن ملوك الأرض هم الأكثر مالًا، وبذلك يكون لهم السلطة والحكم على غيرهم من العباد، وهذا المنطق موجود في عقول اليهود، وما تديره من رأسمالية في العالم الغربي، وخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية حيث ينبغي علينا أن نعي كيف يفكر أعداء الإسلام في فرض سيطرتهم، وحكمهم لبلادنا إنما كل ذلك مداره في تفكيرهم؛ هو العمل على زيادة رءوس أموالهم لتزيد سطوتهم على العالم، وهذا هو الفكر الصهيوني الذي يخطط لحكم العالم الآن {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ } [البقرة: 247] .

ولكن هيهات هيهات {قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 26].

ولكن هذا المؤشر البشري الذي تحسبه عقول البشر لا بد أن يكون في الحسبان، وكذلك أمثلة الصحابة الكرام الذين كانوا أكثر ثراء، وبذلًا في سبيل الله، وفي سبيل إعمار الأرض مثل عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما؛ فالسعي لعمارة الأرض بالخير وإصلاحها يحتاج إلى أن نسعى لزيادة رءوس الأموال بكل الطرق المشروعة لما فيه الخير للأمة الإسلامية.

5- المال زينة الحياة الدنيا:

أخبرنا الله سبحانه عن حقيقة هذا المال حتى لا تتعلق به قلوبنا، وحتى لا يكون سببًا في هلاكنا، ويعلمنا سبحانه بحكمته أن هذا المال يُستخدم في الخير والإصلاح والتجارة مع الله، وهذا منهج قويم لعلاج أمراض القلوب التي جُبلت على النهم في حب المال، وضيعت حظها من الآخرة.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: 46].

ولو شاهدنا أسباب الغش في جمع المال، والأخلاق الذميمة من سرقة، أو ربا، أو طمع، أو غير ذلك من حلف كاذب، أو خداع، أو مكر فهو لعدم ترسيخ هذا المعنى في قلوب المسلمين.

وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام: «يا حَكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فمن أخذه بسَخاوَة نفسٍ بُورِكَ له فيه، ومَن أخَذه بإشرَاف نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يَشبَعُ، واليَدُ العُليا خيرٌ من اليَد السفلى»[1].

6- إنفاق المال والتجارة فيه له خطٌّ نهاية:

أرشدنا الله سبحانه بأن الإنفاق للمال في طرقه من حقوق لله، وحقوق للعباد، وإعمار في الأرض بالخير، وتنمية للموارد هذا لأجل مسمًّى ينتهي، إما بموت العبد، أو قيام الساعة، فهنا لا بيع ولا شراء، ولا تجارة، وإنما حساب، ولا عمل.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 254].

وتؤكد الآية أيضًا أن المال مال الله، والرزق من عنده سبحانه، فلا مجال لشُح مطاع، أو هوى مُتبع بخلاف شرعه سبحانه، وهذا تحذير لمانعي الزكاة، والتي بها لن يكون هناك فقير في بلاد المسلمين، ولكن هذا الفهم يحتاج لترسيخ في قلوب العباد.

7- إنفاق المال شرط أن يكون من مال طيب:

فالله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وجاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم} [المؤمنون: 51]، وقال: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} [البقرة: 172]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[2].

وهذه قاعدة في عنصري المال والعمل معًا؛ فالمال الطيب يثمر عملًا نافعًا مفيدًا، والمال الخبيث يثمر عملًا طالحًا خبيثًا.

وهذه قاعدة هامة تشرح سبب فساد الأعمال، وفساد القلوب، وفساد الأخلاق بسبب فساد الأموال لأن أصلها من الربا، أو من عمل محرم، وهذا علم يحتاج لترسيخ في قلوب العباد، لأنه سبق ذكر أن البناء الفاسد لا يثمر ثمرة نافعة، وذكرنا أين حضارات عاد، وثمود وغيرهم، كلها فنيت قال تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ} [الرعد: 17].

فالبقاء في هذه الأرض لن يكون إلا للأصلح مالًا، وعملًا، وعبوديةً لله سبحانه، وهذا ذكره سبحانه قال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 40-41].

---

(1) البخاري (2750)، مسلم (1035). وإشراف النفس تطلُّعها إليه وتعرضها له وطمعُها فيه. ينظر: شرح النووي على مسلم (127/7)

(2) مسلم (1015).

وجاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد صلاة الفجر: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملًا متقبلًا»[1].

وهنا نَلْحَظ التدرج في الدعاء أن العلم النافع يُبنى عليه السعي للرزق الطيب، والرزق الطيب ينبني عليه العمل الصالح، كما سبق ذكره في الآيات، وبنفس الترتيب نوضح أن ترسيخ العلوم الأخلاقية يَنبني عليه معرفة كيف يكون الرزق طيبًا، وبالتالي سيكون العمل متقبلًا، والعمل المتقبل من الله حتمًا هو العمل الصالح الذي فيه خير، ونماء، أو تنمية، أو سعي في الأرض وبالتالي تمكين.

8- الوسطية في إنفاق المال:

نجد أن القرآن الكريم وضح لنا السبيل للوسطية في الإنفاق فلا مجال للتبذير، والإسراف، ولا مجال للشح، والتقتير، وإنما منهج معتدل.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

وهذه قاعدة أساسية في تخطيط الإنتاج، والسعي في تحقيق التنمية الاقتصادية.

وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29].

والأمر يحتاج ترسيخًا لهذا الخلق المعتدل في الإنفاق على كل المستويات؛ على مستوى الفرد والأسرة، والدولة، والأمة، وكثيرًا ما نجد تصرفات في دول كدول الخليج تخالف هذا المنهج، وبفهم هذا المنهج المعتدل سيكون توفير قدر من رءوس الأموال الطائلة التي تساعد في عمليات التنمية الاقتصادية، وازدهار الاقتصاد الإسلامي، فالبحث العلمي في أشد الحاجة لهذا الفائض من الأموال لنلحق بركب الأمم المتقدمة.

فـ"التنمية الاقتصادية تحتاج إلى المال -أو رءوس الأموال- حتى يمكن استخدامه في الاستثمار، وزيادة الإنتاج، فيرتفع متوسط دخل الفرد، ويكون منه ادخارًا؛ بعد ترشيد الاستهلاك الشرعي في حدود الضروريات، والمطلوبات الشرعية، وفائض الدخل أو المدخرات تدور دورتها في الاستثمار، وفي المشروعات الإنتاجية فيزداد الإنتاج، ويقوى الفرد من الدخل ثم بدوره من الادخار، والاستثمار. وهكذا يتسع الإنتاج، وتتسع دائرة الاستثمارات، والمشروعات الإنتاجية، وهي صورة إنتاجية لما يجري في الدول المتقدمة"[2].

وعندما نتكلم عن تنمية اقتصادية على أسس إسلامية؛ نعني أنها تكون من مال طيب، وهذا كفيل أن يجعل هناك بركة، ونماء، وتنمية على أفضل ما يكون.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96].

والتكذيب هنا عكسه الإيمان (التصديق) بموعود الله عز وجل.

---

(1) المعجم الصغير (735)، قال الهيثمي في المجمع (16976): رجاله ثقات.

(2) مرجع سابق، د/أمين مصطفى عبد الله، (ص225).

وهنا "النمو الذي يعني زيادة الكميات فإنه يدخل في معنى البركة"[1].

ومما سبق يتضح لنا أن ركائز التنمية الاقتصادية جاءت في القرآن الكريم بشكل يفصل لنا كيف نصل لأن نكون أفضل المجتمعات رقيًّا، وتحضرًا، ونموًّا، وتنميةً، وحياةً طيبةً؟ ولكن هذا كله يحتاج -كما سبق ذكره مسبقًا- لترسيخ القيم الأخلاقية في مجتمعاتنا؛ لأن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ولن يعود البنيان إلا بالخلق القويم الذي به ترتقي الحضارة الإسلامية، وتعود إلى سابق عهدها.

ولذلك سنبين في المبحث القادم إن شاء الله كيف أن القيم الأخلاقية ركن أساس في التنمية الاقتصادية؟

(1) مرجع سابق، د/رمضان صديق، (ص199).

المبحث الثالث
القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية

في هذا المبحث لا يسعنا أن نذكر كل الأمثلة العملية في اقتصادنا المعاصر، ومدي احتياجه للقيم الأخلاقية؛ لأن هذا يحتاج إلى أبواب طويلة، والمقام لا يتسع، ولكن سنأخذ محاور أساسية من المعاملات الاقتصادية؛ لنوضح مدى خطورة عدم الامتثال للقيم الأخلاقية فيها، والآثار السلبية الناتجة عن ذلك، وسنوضح النتيجة المترتبة على وضع هذه القيم الأخلاقية في الحسبان عند القيام بالتنمية الاقتصادية؟

وتتمثل هذه المحاور في الموضوعات الآتية:

أولًا: التعامل بالربا خلُق ذميم وواقع أليم.
ثانيًا: التعامل بالغش وضياع خلُق الأمانة.
ثالثًا: خلُق الإسراف وضياع موارد الأمة الإسلامية.
رابعًا: خلُق الإفساد في الأرض وإهدار طاقات الشعوب.
خامسًا: ضياع خلُق الإتقان وغياب الأمة الإسلامية عن المنافسة العالمية.
سادسًا: غياب خلُق التعاون وتشتت أفراد المجتمع الواحد وضياع قُوَّتِه.
سابعًا: تفشي خلُق التسوُّل وتدهور عامل من عوامل الإنتاج وهو العمل.
ثامنًا: انتشار خلُق مخالفة القول للفعل وغياب القدوة.
تاسعًا: انتشار المظالم بين العباد لغياب خلُق العدل من أسباب التخلف الاقتصادي.

أولًا- التعامل بالربا خلُق ذميم وواقع أليم:

1- تعريف الربا:

ينبغي علينا أولًا أن نتعرف على مفهوم الربا في اللغة، وفي الاصطلاح.

أ - الربا في اللغة:

من ربا الشيء يربو ربوًا ورباءً: زاد ونما, وأربيته: نمَّيته, والرابية كل ما ارتفع من الأرض فالربا: النماء والزيادة والعلو[1].

ب- أما الربا في الاصطلاح:

فقد اختلف العلماء في تعريفه تبعًا لاختلافهم في مفهوم الربا, فهو عند الحنفية: "الفضل الخالي عن العوض المشروط في البيع"[2]. وعند المالكية: "كل بيع فاسد، وقيل: ما فيه زيادة على أمر الله في ثمن أو أجل وفيهما كربا الجاهلية في الديون"[3]، وعند الشافعية: "عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما"[4]. وعرَّفه الحنابلة بأنه: "الزيادة في أشياء مخصوصة"[5].

2- حكم الربا:

الربا حرام بالكتاب, والسنة, والإجماع; أما الكتاب, فقول الله سبحانه وتعالى: {وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: 275].

وأما السنة, فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرُّ بالبرُّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلًا بمثل سواءً بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد»[6].

وثبت أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه لعن آكل الربا, وموكله, وشاهديه, وكاتبه, وقال: هم سواء»[7]. وأجمعت الأمة على أن الربا محرَّم[8].

3- أنواع الربا:

من الربا ما هو بيع, ومنه ما ليس ببيع، وهو ربا أهل الجاهلية، وهو القرض المشروط فيه الأجل، وزيادة مال على المستقرض[9]. والربا في البيع هو الذي يكون في الأعيان الربوية، وقد اختلف الفقهاء في عدد أنواعه: فذهب الحنفية, والمالكية, والحنابلة إلى أنه نوعان:

الأول: ربا الفضل, وعرفه الحنفية بأنه: "زيادة عين مال شرطت في عقد البيع على المعيار الشرعي".

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (483/2), لسان العرب (304/14، 306 مادة: رب و).
(2) ينظر: المبسوط (109/12), تبيين الحقائق (85/4).
(3) ينظر: شرح زروق على الرسالة (719/2).
(4) أسنى المطالب، لزكريا الأنصاري (21/2).
(5) المغني لابن قدامة (51/6)، كشاف القناع للبهوتي (251/3).
(6) مسلم (1587).
(7) المصدر السابق (1598).
(8) المغني لابن قدامة (51/6-52), وينظر: الإجماع لابن المنذر (ص133).
(9) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (189/2), بدائع الصنائع (395/7), أسنى المطالب (21/2).

والثاني: ربا النسيئة, وهو: "فضل الحلول على الأجل, وفضل العين على الدين في المكيلين أو الموزونين عند اختلاف الجنس, أو في غير المكيلين أو الموزونين عند اتحاد الجنس"[1].

وذهب الشافعية إلى أن ربا البيع ثلاثة أنواع:

الأول: ربا الفضل, وهو: "البيع بزيادة أحد العوضين في متحد الجنس".

والثاني: ربا اليد, وهو: "تأخير قبض العوضين أو أحدهما مطلقًا, من غير ذكر أجل".

والثالث: ربا النَّسَاء, وهو: "ذكر الأجل في العقد ولو قصيرًا"[2].

ولما كانت البنوك في بلاد المسلمين كلها منشآت قائمة على الإقراض للغير، وعقدُها التأسيسي والقانوني كمنشأةٍ غيرُ قائم على التجارة والبيع والشراء، وإنما عقدها التأسيسي والقانوني قائم على الإقراض للغير = وجب علينا أن نُفصل قليلًا الكلام عن القروض الربوية، والتي أساس أموالها إيداعات المودعين من المسلمين.

4- تعريف ربا القرض:

أ- القرض في اللغة:

قال ابن فارس: "القاف والراء والضاد أصل صحيح، وهو يدل على القطع، يقال: قرضت الشيء بالمقراض. والقرض: ما تعطيه الإنسان من مالك لتقضاه، والقراض في التجارة، هو من هذا"[3].

ب- القرض في الاصطلاح:

"تمليك الشيء على أن يرد بدله", وسمي بذلك لأن المقرض يقطع للمقترض قطعة من ماله, ويسميه أهل الحجاز سلفًا[4].

أما ربا القرض فهو: "كل قرضٍ مشروط فيه جرُّ نفع"[5].

- حكم ربا القرض:

قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة أو هدية, فأسلف على ذلك, أن أخذ الزيادة على ذلك ربا"[6].

---

(1) بدائع الصنائع, (183/5), وينظر: الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي (28/3), والمغني لابن قدامة (52/6), وكشاف القناع للبهوتي (251/3).

(2) ينظر: المجموع (69/10), مغني المحتاج (21/2).

(3) ينظر: مقاييس اللغة (72/5).

(4) أسنى المطالب, (141/2), وتعريفات أخرى متقاربة, ينظر: الدر المختار مع حاشية ابن عابدين (161/5), شرح الخرشي (229/5), حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (222/3), الإنصاف (123/5).

(5) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (189/2), بدائع الصنائع (395/7), أسنى المطالب (21/2).

(6) الإجماع, ابن المنذر (ص136), وينظر: المبسوط (35/14), وبدائع الصنائع (395/7), ورد المحتار على الدر المختار (166/5), والمنتقى شرح الموطأ (98/5), شرح مختصر خليل للخرشي (94/5), حاشية الدسوقي (224/3), المجموع (495/10), أسنى المطالب (141/2), المغني (436/6), الإنصاف (131/5), شرح منتهى الإرادات (102/2).

وروي عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم, أنهم نهوا عن قرض جرَّ منفعة, ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه فيمن أقرض رجلًا خمس مائة درهم، واشترط عليه ظهر فرسه, قال: "ما أصاب من ظهر فرسه فهو ربا"[1].

ولا يجوز قبول المنفعة من غير شرط قبل الوفاء, إلَّا أن يكافئه, أو يحسبه من دينه, إلا أن يكون شيئًا جرت العادة به بينهما قبل القرض. قال ابن قدامة, رحمه الله: "ولو استضاف غريمه, ولم تكن العادة جرت بينهما بذلك, حسب له ما أكله"[2].

ويُستدل لذلك بما روي عن أبي بردة رضي الله عنه قال: "أتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فقال: ألا تجيءُ فأُطعِمَك سويقًا وتمرًا، وتدخل في بيت"، ثم قال: "إنك بأرض الربا بها فاشٍ، إذا كان لك على رجلٍ حقٌّ، فأهدى إليك حِمْل تِبْن، أو حملَ شعير، أو حمْل قَتٍّ، فلا تأخذْه فإنه ربًا"[3].

وروي عن بعض الصحابة أنه كان يكره أن يأكل الرجل من بيت الرجل، وله عليه دين إلا أن يحسبه من دينه[4].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما, أنه قال: "إذا أقرضت قرضًا فلا تُهدِينَّ هدية كراعًا[5]، ولا ركوب دابة"[6].

فإن أقرضه مطلقًا من غير شرط, فقضاه خيرًا منه في القدر, أو الصفة جاز[7]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف بكرًا[8], فردَّ خيرًا منه, وقال: «إن خيار الناس أحسنهم قضاء»[9].

وبما سبق ذكره يتضح أن المؤسسات المصرفية التي تتعامل في الإقراض للغير هي مؤسسات ربوية، وتتعدد صور الإقراض لشراء سيارة، أو منزل، أو قرض للزواج، أو قرض لمشروع، وغير ذلك، وكل هذه القروض تعود بالنفع على البنك بالفائدة، ومن أين مصادر هذه الأموال التي يقرضها البنك إنما هي من أموال المودعين الذين يتعاونون على هذا الإثم ويُقرضون هم بالتبعية البنك مقابل فائدة أقل، ويكون الفارق بين الفائدة الربوية التي يُحصلها البنك من طالب القرض، والفائدة الربوية التي يدفعها للمودعين هي أرباح البنك الأساسية التي يدور عليها عمل هذا البنك.

وكما ذكرنا أنه من المحظورات التعامل بالربا، وفيه يقول الحق تبارك وتعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة: 275].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (20680).
(2) المغني ابن قدامة (438/6).
(3) البخاري (3814).
(4) مصنف ابن أبي شيبة (20677).
(5) الكراع: مستدق الساق العاري من اللحم وهو أقل شيء قيمة في الشاة.
(6) مصنف ابن أبي شيبة (20670).
(7) ينظر: المبسوط (35/14), رد المحتار على الدر المختار (166/5), أسنى المطالب (141/2), المغني (438/6).
(8) بكرًا: دابة من الإبل.
(9) مسلم (1600).

وبالجملة فالوقوع في المآثم، والمحرمات سبب جالب لسيطرة الشيطان على الإنسان، واقرءوا إن شئتم قوله تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}[الشعراء: 221- 222].

وكيف لمن تُسيطر عليه الشياطين أن يكون طائعًا لرب العالمين، وسالكًا صراطه المستقيم وعاملًا بهدي سيد الأولين والآخرين؟!

"ولقد قضى المسلمون قرونًا طويلة لم يروا أنفسهم فيها محتاجين إلى التعامل بالربا، ولم تكن ثروتهم يومئذ قاصرة عن ثروة بقية الأمم في العالم، أزمان كانت سيادة العالم بيدهم، أو أزمان كانوا مستقلين بإدارة شئونهم، فلما صارت سيادة العالم بيد أمم غير إسلامية، وارتبط المسلمون بغيرهم في التجارة والمعاملة، وانتظمت سوق الثروة العالمية على قواعد القوانين التي لا تتحاشى المراباة في المعاملات، ولا تعرف أساليب مواساة المسلمين، دهش المسلمون وهم اليوم يتساءلون، وتحريم الربا في الآية صريح، وليس لما حرمه الله مبيح.

ولا مخلص من هذا إلا أن تجعل الدول الإسلامية قوانين مالية تبنى على أصول الشريعة في المصارف، والبيوع، وعقود المعاملات المركبة من رءُوس الأموال، وعمل العمال. وحوالات الديون، ومقاصتها، وبيعها. وهذا يقضي بإعمال أنظار علماء الشريعة، والتدارس بينهم في مجمع يحوي طائفة من كل فرقة كما أمر الله تعالى"[1].

ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن في التعامل بالربا فيه الذل، والهوان لهذه الأمة وهذا هو واقعنا الآن؛ فقال صلى الله عيه وسلم: «إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البقر وَرَضِيتُمْ بالزرعِ وتركتم الجهادَ سلط اللهُ عليكم ذُلًّا لا يَنْزِعُه حتى ترجعوا إلى دينِكم»[2].

وللحديث أطراف أخرى منها: «إن أنتم اتبعتم أذناب البقر».

ومن غريب الحديث: «تبايعتم بالعينة»: وهو أن يبيع سلعة بثمن معلوم لأحد لأجل ثم يشتريها منه عاجلًا بثمن أقل ليبقى الكثير في ذمته «وأخذتم أذناب البقر»: كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرث «سلط الله»: أرسل بقهره وقوته «ذلا»: ضعفًا واستهانة «لا ينزعه»: لا يزيله ويكشفه عنكم.

والتبايع بالعينة هو من جنس التحايل على الشرع، وهذا مشهود، وكثير في واقعنا اليوم فالبنوك يطلقون عليها بنوك إسلامية، وهي تتعامل بالربا، وليس هذا بالبعيد عن أفعال اليهود إذ قال فيهم رب العزة سبحانه: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)} [الأعراف: 163].

"هذا السياق هو بسط لقوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 65] يقول الله تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: {وَاسْأَلْهُمْ} أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم، واعتدائهم، واحتيالهم في المخالفة، وحذر هؤلاء

---

(1) تفسير ابن عاشور (219/3).

(2) أخرجه أحمد (4825)، أبو داود (3462). وإسناد أبو داود فيه مقال، وإسناد أحمد صححه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (269/5)، وابن حجر في بلوغ المرام (844).

من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم؛ لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم. وهذه القرية هي "أيلة"، وهي على شاطئ بحر القُلْزُم.

قال محمد بن إسحاق: عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} قال: هي قرية يقال لها "أيلة" بين مدين والطور. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقال عبد الله بن كثير القارئ: سمعنا أنها أيلة. وقيل: هي مدين، وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن زيد: هي قرية يقال لها "مقنا" بين مدين وعَيدُوني.

وقوله: {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} أي: يعتدون فيه، ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك. {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا} قال الضحاك، عن ابن عباس: أي ظاهرة على الماء.

وقال العوفي، عن ابن عباس: {شُرَّعًا} من كل مكان.

قال ابن جرير: وقوله: {وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ} أي: نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده {كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ} نختبرهم {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} يقول: بفسقهم عن طاعة الله، وخروجهم عنها.

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»[1].

ومن صور التحايل التي نتشبه فيها باليهود في مسألة البنوك الإسلامية التي تزعم أنها لا تتعامل بالربا، وتسمي نفسها إسلامية على سبيل التحايل على الحرام، وأخبرنا من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قائلًا: «قاتل الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا أثمانها»[2]"[3].

وهنا أُشير لما ألمح إليه العلامة ابن القيم رحمه الله في مسألة تحريم الشحوم على اليهود ومقارنته بمسألة الربا، إذ يقول: "وإنما فعلوا ذلك ليزول عنها اسم الشحم, ويحدث لها اسم آخر وهو الودك, وذلك لا يفيد الحل, فإن التحريم تابع للحقيقة وهي لم تتبدل بتبدل الاسم. وهذا الربا تحريمه تابع لمعناه وحقيقته فلا يزول بتبدل الاسم بصورة البيع كما لم يزل تحريم الشحم بتبديل الاسم بصورة الجمل والإذابة وهذا واضح بحمد الله. وأيضا: فإن اليهود لم ينتفعوا بعين الشحم, إنما انتفعوا بثمنه, فيلزم من وقف مع صور العقود والألفاظ, دون مقاصدها وحقائقها أن يحرم ذلك, لأن الله تعالى لم ينص على تحريم الثمن وإنما حرم عليهم نفس الشحم ولما لعنهم على استحلالهم الثمن, وإن لم ينص على تحريمه دل على أن الواجب النظر إلى المقصود وإن اختلفت الوسائل إليه, وأن ذلك يوجب أن لا يقصد الانتفاع بالعين ولا ببدلها"[4].

---

(1) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (ص47). قال ابن كثير في تفسيره (493/3): إسناده جيد.
(2) البخاري (2224)، مسلم (1583).
(3) تفسير ابن كثير (493/3).
(4) تهذيب السنن، لابن القيم (146/2).

وبجملة ما سبق نجد أن هناك ضرورة ملحة لإيجاد بدائل لهذا النظام الربوي العفن الذي يستجلب غضب الرب سبحانه.

حيث جاء قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: 278 - 279].

وجاء سؤال: "كثير من الناس يتعامل مع البنوك، وقد يدخل في هذه المعاملات معاملات محرمة: كالربا مثلًا, فهل في هذه الأموال زكاة, وكيف تخرج؟

فكانت الإجابة "يحرم التعامل بالربا مع البنوك وغيرها, وجميع الفوائد الناتجة عن الربا كلها محرمة, وليست مالًا لصاحبها, بل يجب صرفها في وجوه الخير إذا كان قد قبضها، وهو يعلم حكم الله في ذلك، وليس له إلا رأس ماله"[1].

أما من يدعي أن البنوك أساس للاستثمار، وفيه رواج اقتصادي، فنقول له بمنطقه العقلي لا الذي تم ذكره من دليل نقلي: كيف تقول ذلك، وأن الربا أساس للتضخم؟!

لأن القروض التي يحصل عليها أصحاب الاستثمارات من البنوك تكون بناء على نسب ربوية، وبالتالي يتم إضافة هذه النسب إلى تكلفة الإنتاج، وبالتالي تكون التكلفة النهائية الإجمالية مرتفعة التكاليف، وربما تتعدد مراحل الإنتاج، وفي كل مرحلة يحتاج المستثمر لقروض، وبالتالي تزداد أعباء الفوائد، والمحصلة النهائية زيادة ملحوظة في الأسعار، وغير ذلك الذي هو إيذان بحرب من الله ورسوله {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ الله وَرَسُولِهِ} [البقرة: 279]، وما حدث في الاقتصاد العالمي في السنوات الماضية أكبر دليل على ذلك، وإن لم نَعُدْ عما نحن عليه ستتكرر المحنة، فإن لله سبحانه سننًا في أرضه لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: {سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 62].

"وقد نبه كثير من الكتَّاب المحققين إلى أن أباطرة اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي، كما أنهم هم الذين أوقدوا نيران الحربين العالمية الأولى والثانية فلقد سالت الدماء أنهارًا، وأهدرت ملايين الملايين من الدنانير، كل ذلك ليربو المال اليهودي وتعظم سيطرة اليهود على العالم"[2].

5- والربا هادمٌ للأخلاق مُدِّمر للمجتمعات:

".. فالمرابي يستعبده المال.. وفي سبيل تحقيق المرابي لهدفه يدوس القيم، ويتجاوز الحدود.. والربا يُنبت في النفس الإنسانية الجشع كما يُنبت الحرص، والبخل.. ومع الجشع والبخل، تجد الجبن، والكسل، فالمرابي جبان يكره الإقدام.. فهو يعطي ماله لمن يستثمره ثم يجلس ينتظر إنتاجه لينال حظًّا معلومًا بدل انتظاره، وهو كسول مُتبلِّد لا يقوم بعمل منتج نافع، بل نراه يريد من الآخرين أن يعملوا ثم هو يحصل على ثمرة جهدهم"[3].

---

(1) العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، الطبعة: الثانية، 1416هـ، 1995م الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، (ص153).

(2) د/عمر الأشقر، مجلة الاقتصاد الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة، دبي، إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية ، مجلد 3، العدد 28 (ص27)، ربيع الأول 1404هـ، 1983م.

(3) المرجع السابق، مجلد 3، العدد28 (ص24).

ومما سبق نجد أن الربا بجانب أنه سبب للتضخم؛ هو أيضًا سبب للبطالة، وأي مجتمع يقع في الربا لن يحقق نموًّا اقتصاديًّا؛ لأنه أوقع نفسه في دائرة الحرب الموجهة من الله ورسوله.

والطامة الكبرى التي وقعت فيها بعض الدول العربية -ومنها مصر- أنهم تعاملوا مع البنك الدولي بالاقتراض، وهذا مما يجعل للبنك الدولي سبيلًا عليهم في التدخل في سياساتهم الداخلية وهناك آراء لاقتصاديين للخروج من هذا الموقف الحرج، مثل:

1- تشكيل صندوق إسلامي دولي تشترك فيه الدول الإسلامية الثرية كدول الخليج؛ كل منه يشارك بـ (100مليون دولار) ليكون صندوقًا تعاونيًّا استثماريًّا لحل مشكلات هذه الدول، فعندما تشترك الدول وتتعاون فيما بينها على ذلك، ستكون نواة لاكتفاء ذاتي لحل المشكلات القائمة.

2- اللجوء للقروض غير الربوية (القرض الحسن).

3- استقطاب المستثمرين العرب، والأجانب، ومنحهم ضمانات لتشجيع الاستثمار ضمن الشروط التي تحفظ أمن وسيادة الدولة.

4- التخفيف من نفقات الدولة، ودعم القطاعات الزراعية والصناعية.

5- بناء مشاريع، وهيئات، واتحادات دولية لا سيما مع العالم الإسلامي.

6- السعي لقيام وحدة إسلامية لا عربية فقط، فالعالم الإسلامي مليء بالثروات.

7- زيادة طباعة النقود بالشكل الذي لا يسبب زيادة التضخم.

أما عملية تكديس الأموال في البنوك، وجعل عدد كبير من المنتجين غير منتجين فهذه مشكلة كبيرة، فضلًا على ذلك فإن الربا يؤدي إلى قلة الاستهلاك للسلع بسبب الالتزامات الربوية، وقلة الاستهلاك تؤدي إلى انخفاض الطلب الكلي، وانخفاض الطلب الكلي يؤدي إلى قلة الإنتاج وبالتالي زيادة البطالة، وفي النهاية نجد أن البطالة، والتضخم، والأخلاق الهدامة، وتدمير المجتمعات، كلها جنود مجندة تحارب مجتمعات خالفت شرع الله أحلت الحرام، فهلَّا تركنا الربا، واتقينا الله، وعُدنا إلى شرعه؟! قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2-3].

فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يُبدل أحوال الأمة من هذه الغمة إلى مستقبل مشرق مضيء كله أمل، ولكن بموعود الله ينبغي أن نعمل بأن نتقيه، وندع هذا الخُلُق الذميم، وندع الكسل والبطالة، ولا نركن للذين ظلموا من اليهود المرابين، ونفعل كفعلهم بل علينا أن نتبرأ منهم ومن أفعالهم، وندين لله سبحانه وتعالى بأخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم الذي حرَّم الربا، وبين لنا أن اللعن يُحاط بمن يفعل ذلك، هدانا الله والمسلمين لترك هذا الخُلُق الذميم، والسعي لتغيير هذا الواقع الأليم.

ثانيًا- التعامل بالغش وضياع خُلُق الأمانة:

معنى الأمانة لغةً:

قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل: الأمنة من الأمن، والأمان إعطاء الأمنة، والأمانة ضد الخيانة"[1].

---

(1) مقاييس اللغة (133/1).

معنى الغش لغةً:

قال ابن فارس: "الغين والشين أصول تدل على ضعف في الشيء واستعجال فيه، من ذلك الغش. ويقولون: الغش ألا تمحض النصيحة. وشُربٌ غِشاشٌ: قليل. وما نام إلا غِشَاشًا، أي قليلًا، ولقيته غِشَاشًا، وذلك عند مُغَيْربان الشمس" (1).

ولقد جاءت الآيات في القرآن الكريم الدالة على عظم قدر الأمانة، وعظم أهميتها، وضرورة التمسك بها، وضياع الدنيا بأسرها إذا ضاعت الأمانة، وضاع هذا الخُلق؛ فالخسارة ليست في مجالات التنمية الاقتصادية فقط، وإنما بضياع خُلق الأمانة فعلينا أن ننتظر قيام الساعة أي هلاك كل شيء، وضياع كل شيء، وذلك ثابت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنستعرض بعض المعاني معًا كما سيأتي:

1- المسئولية الشاقة لحمل الأمانة وأعبائها:

قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: 72].

"قوله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ} الآية. أراد بالأمانة الطاعة، والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس.

وقال ابن مسعود: الأمانة: أداء الصلوات، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع.

وقال مجاهد: الأمانة: الفرائض، وقضاء الدين.

وقال أبو العالية: ما أمروا به، ونهوا عنه.

وقال زيد بن أسلم: هو الصوم، والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال: هذه أمانة استودعتكها، فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

وقال بعضهم: هي أمانات الناس والوفاء بالعهود، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنًا، ولا معاهدًا في شيء قليل، ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السماوات، والأرض، والجبال، هذا قول ابن عباس، وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهن: أتحملنَ هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتُن جُوزِيتُنَّ وإن عَصيتُنَّ عُوقِبْتُنَّ، فقلن: لا يا رب، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابًا، ولا عقابًا، وقلن ذلك خوفًا، وخشيةً، وتعظيمًا لدين الله أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييرًا لا إلزامًا، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلُّها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره للسماوات والأرض: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت: 11]، وقال للحجارة: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} [البقرة: 74]، وقال تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب} [الحج: 18].

---

(1) المصدر السابق (383/4).

وقال بعض أهل العلم: ركَّب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب، وأجَبْنَ بما أجَبْنَ.

وقال بعضهم: المراد من العرض على السماوات والأرض هو العرض على أهل السماوات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة"[1].

ونَلْحَظ في آخر الآية أن الإنسان وُصِفَ بالظلم والجهل، ولن يستطيع أي إنسان أن يتحمل الأمانة، وينتفي عنه هاتان الصفتان، ألا وهما الظلم والجهل، إلا بالعلم، ثم العمل به؛ ليكون عادلًا غير ظالم، وكلما ازداد الإنسان علمًا شَعُر بمدى خطورة الأمانة التي كلفها الله للإنسان، فهي أمانة التكليف بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وهي أمانة العمل بكل آية في القرآن الكريم عندما يستوجب على الإنسان القيام بالفعل في موقف معين، وهي أمانة الكلمة، وأمانة الشهادة، وأمانة الدعوة، وأمانة التبليغ، وأمانة الدين كله، فنسأل الله السلامة وحسن العاقبة، وأن يعيننا على هذه المهمة الشاقة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وحملها الإنسان الذي خلق ضعيفًا.

2- التحذير من خيانة الأمانة:

قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: 27].

"قال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته، وتخونوا أمانتكم.

وقال السدي: إذا خانوا الله، والرسول فقد خانوا أماناتهم.

وقال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله عز وجل ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة؛ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها"[2].

فترك فرائض الله، وعدم الامتثال لأوامره التي في كتابه الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ هي خيانة للأمانة، وامتثال كل عضو من أعضاء الإنسان لأوامر الله، واجتناب معاصيه أمانة؛ فنسأل الله السلامة لنا وللمسلمين.

3- خطورة الغش:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منَّا ومن غشنا فليس منَّا»[3].

"وقوله في الحديث: «مَنْ غَشَّنا فليس منا»، أَي: ليس على سيرتنا، ومذهبنا، والتمسك بسُنَّتنا، كما يقول الرجل: أَنا منْك وإِليك، يريد المتابعة والموافقة"[4].

وانتشار خُلُق الغش كفيل أن يهدم أمة، وهذا هو واقعنا؛ فتراه في المدرسة التي أخرجت للمجتمع مهندسًا يغش في المواصفات، طبيبًا يغش المرضى، وقاضيًا لا يراعي الله في أحكامه على الناس، وموظفًا لا يؤدي وظيفته كما ينبغي، فيصبح المجتمع كما نرى الآن مجتمعًا متأخرًا عن التقدم والنمو، لأنه لم يتعلم معنى الأمانة، وسوء عاقبة الغش، وأتعجب كيف لنا أن ننفق الملايين على الأبنية التعليمية، وليس لنا

---

(1) معالم التنزيل (380/6).

(2) معالم التنزيل (347/3، 348) بتصرُّف واختصار.

(3) مسلم (101).

(4) لسان العرب (415/13).

وعي أن المحتوى العلمي الذي يناله أولادنا محتوى خالٍ من القيم خالٍ من معاني الأخلاق، فتكون النتيجة إنفاق، وإهدار للأموال، والنتيجة، والمحصلة لا شيء سوى الدمار، والهلاك لجيل من الشباب الذي لا يعي معنى الأمانة، والتي هي أساس التقدم، والرقي، والنمو، والتنمية الاقتصادية التي نريدها.

4- ضياع الأمانة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[1].

فلا بد من أن يُسند كل عمل إلى من هو أهلٌ له، وهذا مؤشر خطير يبين خيانة الأمانة في أمر التعاملات من خلال مراعاة المعرفة والقرابة، والعلاقات، والمجاملات، لا على أساس أن يكون الشخص المناسب، والأفضل، والكفء في المكان المناسب.

ولما قال أبو ذر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزْي وندامة، إلا من أخذها بحقِّها، وأدَّى الذي عليه فيها»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفُحش والتفحُّش، وسوء الجوار، وقطيعة الأرحام، وحتى يُخوَّن الأمين، ويُؤتمن الخائن»[3].

5- أمانة كلِّ راعٍ:

وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموت يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرَّم الله عليه الجنة»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلُّكم راعٍ ومسئولٌ عن رعيته»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»[6].

فالأمانات كثيرة وهذا الخلُق باستقامته تستقيم الأحوال في الدنيا، وبضياعه تقترب الساعة ويفنى هذا الكون.

فتخلق كل راعٍ بخلُق الأمانة عنصر أساس كغيره من الأخلاق في السعي للتنمية الاقتصادية، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 96]، {وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: 2-3].

ثالثًا- خلُق الإسراف وضياع موارد الأمة الإسلامية:

---

(1) البخاري (6496).
(2) مسلم (1825).
(3) أخرجه الحاكم (253)، وقال: «هذا حديث صحيح فقد اتفق الشيخان على الاحتجاج بجميع رواته غير أبي سبرة الهذلي وهو تابعي كبير مبين ذكره في المسانيد والتواريخ غير مطعون فيه وله شاهد من حديث قتادة، عن ابن بريدة».
(4) البخاري (7150)، مسلم (142).
(5) البخاري (2409)، مسلم (1829).
(6) أخرجه أحمد (6495)، أبو داود (1692)، الحاكم (8526)، وقال: صحيح الإسناد.

معنى الإسراف لغةً:

قال ابن فارس: "السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضًا للشيء. تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر"[1].

ولقد جاء التشريع ناهيًا عن كل صور الإسراف، وسنستعرض بعض صوره:

1- النهي عن كل إسراف فيه ضرر ولو من مال الزكاة:

* جاء ذلك في قوله تعالى: { وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141].

قال السعدي: "وقوله: {وَلا تُسْرِفُوا} يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلًا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه"[2].

فأي إسراف في الإنفاق، ولو كان في الفرائض كالزكاة للزروع وغيرها أمر يبغضه الله عز وجل.

2- النهي عن الإسراف في الطعام والشراب والزينة:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31].

قال السعدي: "ثم قال: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} أي: مما رزقكم الله من الطيبات {وَلا تُسْرِفُوا} في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي، والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم وإما أن يكون بزيادة الترفه، والتنوق في المآكل، والمشارب، واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

{إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان، ومعيشته، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما"[3].

والغريب في الأمر أن الكثير من الناس يسرف في الزينة، ويسرف في الطعام، والشراب والمباحات بشكل يجاوز حد السفه؛ ثم يتأول الآية التي تلي هذه الآية، ويقول قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32].

ونقول له: هذا حكم لا يتنافى مع الآية التي قبلها أي بدون بلوغ حد الإسراف، ونجد مؤلفات تذكر هذه الآية، ولا تتعرض لآية تحريم الإسراف التي قبلها، وخاصة أن الوعيد فيها شديد بأن الله يبغض المسرفين.

3- الأمر بالاعتدال في الإنفاق:

* جاء ذلك في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67].

---

(1) مقاييس اللغة (153/3).

(2) تفسير السعدي (ص276).

(3) المرجع السابق (ص287).

قال السعدي: "{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا} النفقات الواجبة والمستحبة {لَمْ يُسْرِفُوا} بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير، وإهمال الحقوق الواجبة، {وَلَمْ يَقْتُرُوا} فيدخلوا في باب البخل، والشح. {وَكَانَ} إنفاقهم {بَيْنَ ذَلِكَ} بين الإسراف، والتقتير {قَوَامًا} يبذلون في الواجبات من الزكوات، والكفارات، والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار، وهذا من عدلهم، واقتصادهم"[1].

* وجاء ذلك أيضًا في قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29].

قال البغوي: "يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها. {وَلا تَبْسُطْهَا} بالعطاء {كُلَّ الْبَسْطِ} فتعطي جميع ما عندك {فَتَقْعُدَ مَلُومًا} يلومك [سائلوك] (2) بالإمساك إذا لم تعطهم و"الملوم": الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره {مَحْسُورًا} منقطعًا بك لا شيء عندك تنفقه يقال: حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة، قال قتادة: "محسورا" نادمًا على ما فرط منك"[2].

إن هذا الخُلق الذي ينافي الحكمة، وهو الذي أدى بالأمة الإسلامية إلى أن أصبحت في مؤخرة الأمم؛ فلو نظرنا لموارد العالم الإسلامي أجمع لوجدناها تفوق موارد العالم الغربي وأيضًا باقي كل دول العالم؛ فأين هذه الثروات؟! والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن عندما نرى موائد الطعام في دول كثيرة يجتمعون عليها، وتُرمى؛ ثم نجد من هم من أبناء جلدتنا من المسلمين من يأكل من صناديق النفايات في الشوارع، وشعوبًا كاملة في أفريقيا كالصومال، وغيرها تتعرض لأشرس حملات التنصير بسبب الجوع والفقر الشديدين عندهم، ونجد دول الخليج تسعى لاهثة وراء زينة الحياة الدنيا، ويبررون الآية السالفة الذكر: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32].

ولم يفطنوا إلى الآية التي قبلها {.. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: 31].

أفلا يتدبرون قوله تعالى: {وَضَرَبَ الله مثلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]؟!

أليس هذا الإسراف من الكفر بنعم الله، وعدم شكرها بأننا لا نضعها في مكانها المناسب الذي يجب أن توضع فيه، فإن الأمة موعودة بما وعد الله به هذه القرية، وهذا مشهود عيان الآن في الكثير من الدول الإسلامية؛ فماذا ننتظر ألا نتدارك أمتنا الإسلامية، ونرسخ هذا الخلق حتى ننجو من الهلاك المحقق؟!

إن هذا الخُلق باستقامته تستقيم الأحوال في الدنيا، وبضياعه نحن موعودون بلباس الجوع والخوف، وتعالوا لنشاهد بعض مظاهر خُلق الإسراف في بعض الدول العربية، والمجتمعات الإسلامية، وضياع هذا الخُلق ما هو إلا بسبب جهل لما سبق ذكره من معانٍ مهمة في خُلق الإسراف، وهذه بعض الأمثلة:

---

(1) المرجع السابق (ص586).
(2) معالم التنزيل (90/5).

أ - الإسراف في المياه، والتي هي شريان الحياة، وهذا مشاهد حتى بين المصلين سامعي آيات الذكر الحكيم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوضوء، والغسل: «يجزئ من الوضوء المد، ومن الجنابة الصاع»[1].

والمد هو قدر ما يوضع بين كفي اليدين، والصاع بضع أضعاف من ذلك.

وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم»[2].

هذا للمصلين في الوضوء ننظر كم الهالك من المياه في الوضوء لعدم فهم هذه المعاني، وهل المياه إلا أحد الموارد الاقتصادية الهامة، وشريان الحياة في هذا الكون؛ أما المزارعين فحدّث ولا حرج، أجهزة التوعية لهم تنادي بأن يقوموا بالري للزرع في الليل حتى نتفادى أشعة الشمس والهادر من الماء، ولكن كيف هذا أيُترك الدش؟ فهذا يشاهد المباراة، وهذا يشاهد المسلسل أيترك هذا، ويروي الأرض فهيهات، ولا فائدة في التحذيرات لأنه لم يتعلم ذلك من الصغر ولم يَعِ أنه أمر إلهي تَرْكُه يستوجب العقوبة من الله، وآخرون كل صباح يقومون أمام محلاتهم برش الماء ألا يعلمون أن الماء في بلادنا أغلى من البنزين في دول أخرى، وأن هذا اقتصاد هادر؟! وها هو منسوب النيل ينخفض شيئًا فشيئًا، ولا حياة لمن تنادي فأين ترسيخ هذا الخلق من الصغر بين أولادنا؟! فهل هذا اقتصاد فيه خلُق الحد من الإسراف؟

ب - الإسراف في الطعام نجد صناديق النفايات مليئة بالخبز في حين أن الخبز في بلادنا مدعوم ويكلف الدولة مبالغ طائلة ليصل للمستهلك بسعر مناسب، ولكن لا فائدة، الدولة تستورد القمح، وهو سلعة إستراتيجية بملايين الدولارات، ونجد الهادر من هذا الخبز يكفي لإطعام شعب كالصومال.

وأعجبني في الدول المتقدمة أنهم يجعلون في كل مكان صندوقين للنفايات صندوقًا لنفايات الطعام كقشر الموز، والبرتقال، والبطاطس و.. ما شابه، وصندوقًا للنفايات التي لا طعام فيها، وهذا فكر اقتصادي رشيد، حيث إن مخلفات بقايا الطعام من القشور هذه صالحة كعلف للدواب، أو طعام لهم، أما نحن في بلاد المسلمين تجد الأرز، والكبسة الخليجي يؤكل منها ثم نرمي الباقي في النفايات ولا حول ولا قوة إلا بالله، أليس هذا كفر بنعم الله علينا؟! هل هذا ترشيد للاستهلاك؟

وهذا بالإضافة إلى التبذير المفرط في الأطعمة، ونستحضر في هذا المقام قول بني إسرائيل الذي لا نتدبره عندما قالوا لموسى عليه السلام: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} [البقرة: 61]، ونحن نقول ليس كما يقول اليهود من بني إسرائيل: {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}، بل نقول: لن نصبر على أطعمة متعددة، فلننظر إلى موائد المسلمين في الطعام ونجدها مليئة بأصناف لا تُحصى عددًا، والصحي لنا أن لا نُكثر من أصناف الطعام فالنوع الواحد أفضل من الاثنين، والاثنان أفضل من الثلاثة، وهكذا، وهذا كلام الأطباء، وليت المسألة عند الطعام فقط، وإنما المسألة في الإهدار لباقي الطعام، وعدم

---

(1) أخرجه أحمد (15018)، ابن خزيمة (117)، الحاكم (575) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(2) أخرجه أبو داود (135)، ابن ماجه (422)، النسائي (140)، قال النووي في شرحه على مسلم (129/3): هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود وغيره بأسانيدهم الصحيحة.

الاستفادة منه، فأين نحن من قول نبينا صلى الله عيه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه»[1]؟!

ج - الإسراف في السلع الكمالية نجد طفل عمره عشر سنوات، ومعه جهاز محمول ثمنه 10000ج أو أكثر، وآخر يرتدي ساعة رولكس ثمنها الآلاف من الريالات، أو الدراهم، أو الدنانير، ووالله العجب العجاب إن الغرب فطنوا أن هذا سفه، ويلعبون بنا، وبشعوبنا لعبًا فتجد الغربي يرتدي ساعة قيمتها دولار، وإن سألته يقول لك: أليست لمعرفة الوقت فما الداعي للمزيد؟! ونجد في مجتمعنا المسلم إسرافًا يصل إلى حدِّ السفه، والله المستعان.

د - الإسراف في الوقت، وهذا أمر مشهود للجميع فالأسرة المسلمة تجدها تضيع أوقاتها؛ إما أمام التلفاز بالساعات الطويلة، وذلك لمشاهدة المباريات، و.. أو تجد الشباب يستخدم جهازه المحمول، والذي قيمته آلاف الجنيهات يستخدمه في ألعاب الجيم، و.. أو تجد النساء يتحدثن بالهاتف لساعات طويلة دون فائدة، أو جدوى من الكلام، أين نحن من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»؟!

أليس الوقت عنصرًا هامًّا في تقدم الأمم وتطور حضارتها، ورفع مستوى معيشتها، وزيادة نموها الاقتصادي فإن "بعض الكتاب الاقتصاديين يعتبر الزمن عنصرًا من عناصر الإنتاج يأتي ترتيبه بعد العمل أي العنصر الثالث من عناصر الإنتاج الخمسة الآتية:

1- الموارد الطبيعية.
2- العمل.
3- الزمن.
4- رأس المال.
5- التنظيم.

والزمن عبارة عن الوقت الذي يستغرقه العامل في ممارسة عملية الإنتاج، لتكوين رأس المال والزمن – كعنصر من عناصر الاقتصاد – لا يمكننا زيادته أو نقصانه – لكنه يمر رغمًا عنا، ولكن يمكن الانتفاع به كاملًا إذا أحسنا استخدامه بدلا من أن يمر سدى"[2].

هـ - الإسراف في اقتصاديات تكوين الأسرة المسلمة وهذا له عدة أوجه:

– غلاء المهور.
- البذخ في الأثاث المنزلي.
– البذخ في مقتنيات الذهب والحلي.
- الإسراف في إقامة المآتم والأفراح.
- الإسراف في النواحي المعيشية.

---

(1) أخرجه الترمذي (2380)، ابن ماجه (3349)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(2) مرجع سابق، د/أمين مصطفى عبد الله، (ص150).

وما نذكره واضح في كثير من الدول، وخاصة دول الخليج، ونقول أليس الادخار هو أساس الاستثمار، والاستثمار هو أساس التنمية الاقتصادية؛ فكيف يكون الإسراف بهذا الحد، ونُضيع على الأمة الإسلامية الكثير من المدخرات؛ التي إذا تم إنفاقها في البحوث العلمية لكانت الأمة الإسلامية أفضل الأمم كما كانت بسابق عهدها.

".. ونتيجة لعدم ترشيد الاستهلاك والإسراف في استخدام الموارد فقد عانت كثير من البلدان العربية من مشكلات اقتصادية واجتماعية قاسية.

وأخيرًا فإن ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف والشح وترتيب الأولويات من أهم السبل وأنجعها في المساعدة لمعالجة المشاكل الاقتصادية والبيئية الاجتماعية الناجمة عن ذلك.

فهل نبتعد عن الإسراف ونحقق العمران الدنيوي والفوز بالآخرة؟"[1].

ونقف وقفة هنا مع حجتهم الداحضة في غلاء المهور، وقول الفاروق رضي الله عنه: عندما خطب أمير المؤمنين الطاهر العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من فضة، فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال". فقالت امرأة: ما ذاك لك. قال: لم؟ فقالت: لأن الله تعالى يقول: {وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا}، فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

نقول: أثر عمر هذا قال عنه ابن كثير: «فيه انقطاع»[2]، وما يؤخذ به هو قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من يُمن المرأة تيسيرَ خِطْبتها وتيسيرَ صداقها وتيسير رحمها»[3].

ولئن فرضنا صحة أثر عمر رضي الله عنه، فلا تعارض بين القولين فالأول جائز، والثاني هو الأفضل، والأحسن، والأكثر بركة فلِما تركنا البركة، وأخذنا المعنى الذي ليس فيه تحفيز للهمم، وأخذ الكتاب بقوة، وصح فينا قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى الله إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأعراف: 169].

ولو قال قائل: إن هذا قول الفاروق عمر رضي الله عنه، نقول له: إن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقدم عليه، وهو صلى الله عليه وسلم يريد لنا الأخير، والأفضل، والأعظم بركة فلا ينبغي أن نرد قوله، ونأخذ بقول ما أقره عمر على لسان تلك المرأة.

وذكرنا من قبل أن البركة من نتاج التنمية الاقتصادية، والنمو الاقتصادي، وهذا يوافق ما تم ذكره مسبقًا بأن عدم المبالغة، والإسراف في هذه النفقات التي تم ذكرها مدعاة للادخار، وبالتالي الاستثمار الذي به تتم التنمية الاقتصادية، وصدقًا إذا تم عمل هذه الفكرة سنجد فائضًا من الأموال يكفي ليس للتنمية، والبحث العلمي فقط بل سيكفي لحل مشكلات الأمة كلها اقتصاديًّا، وتنمويًّا، فهل هذا اقتصاد فيه خُلُق الحد من الإسراف؟

---

(1) د. عادل حميد يعقوب، جريدة لوسيل الاقتصادية، مقال الإسراف والموارد، 22 أبريل 2017.

(2) ينظر: مسند الفاروق (810).

(3) أخرجه أحمد (24522)، ابن حبان (4095)، الحاكم (2739)، وقال: صحيح على شرط مسلم.

رابعًا- خلُق الإفساد في الأرض وإهدار طاقات الشعوب:

لقد جاء التشريع ناهيًا عن كل صور الفساد، وسنعرض ما جاء في القرآن فيه:

1- الله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد ولا المفسدين:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: 204-205].

وهذا هو حال المفسدين في الأرض تجدهم أحسن الناس كلامًا، ولكن أفعالهم تخالف أقوالهم، وإذا خاصم كان شديد الخصومة، وإذا سعى في الأرض سعى بالفساد لا الإصلاح، ومن فعله إهلاك الزرع، والإفساد بين الناس، والله سبحانه لا يحب هذا الفعل، ولا يحب صاحب هذا الفعل، ولهذا لن يكتب لهم القبول في الأرض.

2- الفساد في الأرض من صنع البشر:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41].

الفساد من صنع البشر، وهو أيضًا عقاب لهم على صنيعهم، وما فعلته أيديهم، وهذا العقاب إنما رادع للمفسدين لعلهم يرجعون ولا يستمرون في أعمالهم المفسدة.

3- الفساد في الأرض عاقبته وخيمة:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: 10-14]، فهذا فرعون، وقومه كانت نتيجة الفساد الذي فعلوه العذاب، وهذه سنة كونية فعاقبة المفسدين الهلاك في كل العصور، والزمان.

4- أقرَّ التشريع عقوبة في الدنيا للمفسدين:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الله وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].

وهذا التشريع حماية للأرض من فساد المفسدين، ودرء لمفاسدهم، وحماية لمصالح الناس فالعقاب الإلهي هو الأساس القويم لردع كل من تُسوِّل له نفسُه، وإذا غاب هذا العقاب فحدّث عن كم الفساد في الأرض ولا حرج، أما إذا أقيم الحد على المفسدين رأيت الدنيا كلها نزلت فيها الخيرات والبركات، وأينعت ثمارها ونمت، ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير؟!

5- جُعلت الجنة دارًا للذين لا يفسدون في الأرض:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: 83].

فالعاقبة ليست وخيمة عليهم في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة أيضًا ، ولكن أين من يعي؟! وأين من يعقل؟!

6- اليهود هم جنود الشيطان للإفساد في الأرض:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَالله لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: 64].

وهذا ظاهر لكل ذي بصيرة لو سألت عن الفساد بسبب الربا تجد المُنْشِئ له اليهود، ولو سألت عن الفساد الأخلاقي تجد المُنشِئ له اليهود، ولو سألت عن الفساد الاجتماعي في العلاقات بين الجنسين تجد المُنشِئ له اليهود، ولو أردت أن تعرف سبب حروب الأرض تجد المُنشئ لها اليهود عليهم من الله ما يستحقون.

وعندما ننظر في الواقع الحالي في المجتمع الإسلامي نَلْحَظ كمَّ الفساد على كل الأصعدة بالدرجة التي بها أصبح الإنسان، وكأنه يعيش في شقاء، وسنتناول بعض هذه الأوجه من الفساد، والتي هي سبب لغضب الله، وعدم وجود البركة في الأرض، والتي ذكرنا مسبقًا أنها أحد معاني ونتاج التنمية والنمو الاقتصاديين:

أ- الفساد التعليمي:

فنَلْحَظ أن المؤسسة التعليمية -إلا القليل مما رحم ربي- أصبحت ملحمة من الفساد خُلقيًّا، وعلميًّا، وهذا مشاهد للجميع في الأمور الآتية:

- أخلاقيات التلاميذ، والطلاب أسوأ ما يكون إلا من رحم ربي، والصاحب ساحب حتى أصبحنا نخاف على أولادنا من فساد أخلاقهم لاختلاطهم بطلاب المدارس.

- لم يعد هناك تعليم أصلًا بالمدارس، وأصبحت الدروس الخصوصية هي الأساس.

- انتشار عبارات الحب، والغرام بين طلاب، وطالبات الجامعات، وأصبت الجامعة بدلًا من أن تكون حرمًا جامعيًّا للعلم؛ أصبحت صورة سيئة للحرام الجماعي لا صرحًا للتعليم.

- أصبح الزواج العرفي (الزنا المقنع بدون الولي) سمة مشهودة بين الطلاب والطالبات.

- انتشار تعاطي المخدرات بين طلاب الجامعات، بل والمدارس.

- غياب القدوة الحسنة في أغلب المدارس.

- انتشار المدارس والجامعات الأجنبية التي تنشر ثقافتها الإباحية والإلحادية بين أوساط الدارسين؛ ليزدادوا فسادًا على الفساد.

- تدهور البحث العلمي.

- انتشار الغش الفردي والجماعي، وذكرنا أن هذا يكفي لضياع الأمة.

- الزيادة غير الطبيعية في أعداد الطلاب في الفصول، مما سبَّب انعدام التحصيل العلمي.

- المناهج مملة، وغير مجدية في ظل التطور التكنولوجي الحادث.

- ضياع الوقت، والمجهود بشكل غير مثمر في كليات لا احتياج لها في الحياة العملية.

- أخلاقيات الكثير من المدرسين لا تليق بأن يكون حاملًا لهذه الرسالة، فالكثير منهم مدخن أو لا يصلي، أو سبَّاب، أو لعَّان، أو..

ب- الفساد الإداري:

تجد على مستوى الإدارات، والمصالح الحكومية، ومنشآت الدولة عدة وجوه من الفساد منها:

- التعيين في هذه الجهات غالبًا لمن له معرفة، وله صلة بالرؤساء، وانتشار المحسوبية.
- انتشار الرشوة بكثرة في هذه الأوساط.
- الكثير منهم متكاسل في أداء مهامه الوظيفية.
- كثيرًا ما تجد العاملين أوقاتهم في القيل والقال بعيدًا عن الإنجاز في العمل.
- هذه الوظائف نعتبر الكثير منها بطالة مقنعة.
- سوء التنظيم في الكثير من أوساطها.
- التخلف التقني في كثير من مجالاتها.
- الروتين الممل في تنفيذ الأعمال.
- التحايل على القوانين، والتلاعب بأموال الدولة، وكذلك الظلم والقهر.
- عدم وجود الجزاءات الرادعة للمتجاوزين في إفسادهم.
- ضعف الأجهزة الرقابية.
- كثرة سرقة المال العام في هذه الأوساط.
- كثرة حالات الاختلاس من الموظفين.
- سوء استغلال السلطة العامة لتحقيق مكاسب خاصة.
- التهاون في السعي لقضاء مصالح الناس.
- وُسّد الأمر لغير أهله.

"كما أن هناك الكثير من المشاكل التي يتعرض لها أصحاب الأموال والمستثمرون العرب بالداخل العربي فلا تزال المزاجية وشيوع الروتين والفساد الإداري وغياب الشفافية والتسهيلات في كثير من الأحوال تمثل حاجزا لانسياب رءوس الأموال بين البلدان العربية رغم قيام كثير من الحكومات العربية ببرامج إصلاحية واقتصادية، كما أن الصراع العربي الإسرائيلي وعدم الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط بوجه عام يجعل بقاء الأموال العربية واستثمارها بالداخل عرضة للمخاطر فضلًا عن الصراعات الداخلية في كثير من بلدان العالم العربي"[1].

ج - الفساد الأخلاقي للأفراد والمجتمعات:

وهذا أمر مشهود عيان للجميع في معظم الأوساط في المجتمع إلا من رحم ربي، وهذه بعض أشكال هذا الفساد:

- السب واللعن بين أفراد المجتمع.
- انتشار الصور الإباحية، والمناظر المسيئة للنفوس سواء على الفضائيات، أو المحمول.
- كثرة أشكال الصداقة بين الجنسين بصورة مشينة (متخذي أخدان).

(1) مرجع سابق، د. عادل حميد يعقوب، مقال هروب الأموال، 13 مايو 2017 - 20: 15.

- فساد طبائع الشباب، وفِطرهم بسبب ما يحصلون عليه من معلومات ضارة.
- انعدام خلق الحياء بين كثير من الفتيات.
- التبرج السافر حتى في الأوساط التعليمية.
- انتشار تعاطي المخدرات، والحبوب المنشطة.
- كثرة الحلف كذبًا بالله.
- انتشار الخداع، والمراوغة بين أفراد المجتمع.
- انتشار الحسد، وعدم رضا الناس بما يقضي الله.
- انتشار البغضاء، والكراهية بين العديد من فئات المجتمع الواحد.
- قطيعة الأرحام.
- فساد الأخلاق في التعامل مع الجيران.
- عدم الشعور بالانتماء للوطن.
- الانتماء بين الشباب الصاعد للغرب، وعدم الولاء للدين.
- ضياع روح الحماس لدى الشباب، والشعور بالإحباط.
- فساد الكثير من العلاقات الزوجية، وانتشار الطلاق.
- عدم احترام الكبير، والعالم، وذي المكانة والقدر.
- الطمع في متاع الدنيا.
- انتشار السرقة، والغش.
- ضياع الحقوق بين الناس.
- كثرة شهادة الزور.
- فقدان القدوة على جميع المستويات.
- كثرة الإلحاد بين الشباب لجهله بالدين.
- تشويه بعض العناصر المغرضة لصورة الإسلام.
- الجهل بالدين لنسبة كبيرة جدًّا من المجتمع.
- التقليد الأعمى للغرب فيما هو خبيث دون تقليد الطيب من إيجابيات لهم.
- السعي وراء المادة بأي وسيلة مهما كانت دنيئة.
- عدم طاعة الزوجات لأزواجهن.
- عدم حسن مصاحبة الأزواج لنسائهن.
- التقصير في تربية الأولاد للانشغال بتحصيل متطلبات الحياة لكل من الأم والأب.
- عدم أخذ العذر بالجهل عند التعامل بين الناس.
- عدم التعامل بالرفق في موضعه في كثير من المعاملات.
- انتشار الفكر التكفيري بين بعض طبقات المجتمع.
- قلة جهود المصلحين في مواجهة هذا الكمِّ الهائل من الفساد خاصة في القنوات الفضائية.
- عدم نشر الوعي الأخلاقي بين الأفراد.
- إلقاء النفايات في الشوارع دون أدنى فهم لمعنى: من يعمل مثقال ذرة شرًّا يره.
- الاستهتار من قبل الكثير من المسئولين، وعدم استيعابهم لخطورة مسئولياتهم.

ومما سبق نَلْحَظ أن خلُق الحد من الفساد عنصر أساس كغيره من الأخلاق في السعي للتنمية الاقتصادية، ولو قال قائل: كيف نحول هذا المجتمع الإسلامي من مجتمع أخلاقه فاسدة إلى مجتمع صالح؟

نقول: إن الأمر يحتاج أولًا لترسيخ القيم الأخلاقية الحسنة، والتحذير من الأخلاق الذميمة، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

خامسًا- ضياع خلُق الإتقان وغياب الأمة الإسلامية عن المنافسة العالمية:

معنى الإتقان لغةً:

قال ابن فارس: "التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما إحكام الشيء، والثاني الطين والحمأة. فالقول الأول: أتقنت الشيء أحكمتُه. ورجلٌ تِقْنٌ: حاذق. وابن تِقْنٍ: رجل كان جيد الرمي يضرب به المثل. قال: يرمي بها أرمى من ابن تِقْن، وأما الحمأة والطين، فيقال: تقنوا أرضهم، إذا أصلحوها بذلك، وذلك هو التِّقْن"[1].

جاءت مادة "الإتقان" في القرآن مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88]، أما معناه فقد جاء في القرآن والسنة في مواضع متعددة:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: 7].

فإحسان العمل يأتي في معنى الإتقان، والعمل المقصود به كل عمل فيه الخير والاتباع لرسول الله صلى الله عليه، وسلم في هديه، ويشمل كل عمل يقوم به المرء ابتغاء مرضاة الله لنيل المثوبة منه، ويشمل كل عمارة في الأرض، وعمل على إصلاحها.

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: 2].

فهنا إحسان العمل يأتي أيضًا في معنى الإتقان.

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}} [الكهف: 7].

وهنا حكمة عظيمة تبين أن الحكمة من كل ما خلق الله على الأرض ليتضح من هو الأحسن إتقانًا للعمل، سواءٌ كان عملًا للدنيا، أو للآخرة، والنية تجعل الأعمال كلها حتى الدنيوية هي من أجل الآخرة.

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: 30]، أي: أخلص فيه لله تعالى، وأتبع فيه سنة الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأداه على أفضل ما يستطيع من إتقان وإحسان للعمل.

ومن ناحية أخرى، فإن الإحسان يأتي أحيانًا بمعنى: التصدُّق، أو الصفح، أو التجاوز عن الأخطاء إلخ.. ، وأبرز معنى شرعي له هو كونه المرتبة العليا في الدنيا بعد الإسلام والإيمان كما وضَّح ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام[2].

---

(1) مقاييس اللغة (350/1).

(2) مسلم (8).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

وبما سبق يتضح لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بيَّنا لنا مدى أهمية إتقان العمل، ولكن على الرغم من ذلك فإن القليل من يعي هذا الخُلق، وهذه بعض صور عدم الإتقان الموجودة في معظم بلادنا الإسلامية:

1- نجد العامل، والموظف، والصانع، والزارع و.. لا يتقن عمله إلا القليل منهم، ولو أتقن عمله فهو يشعر بأن ذلك عبء عليه؛ لأنه لا يعي الأجر المترتب من قبل الله سبحانه، ولم يع ويفهم أن هذا أمر إلهي، وأن الأرض كلها وزينتها إنما لحكمة أن تبين أي العباد أحسن عملًا.

2- نجد المفسدين في الأرض بجهلهم هم الذين يتقنون في إفسادهم، ولا ريب أن هذا عجيب، فالشيطان يسيطر على الفاجر ليُحسن في عمله الفاسد، ويزرع الكسل في نفس المسلم الذي يعمل الخير لا الشر، وإلا فما هذه القنوات الفضائية الملوثة التي تبثها أقمار صناعية خبيثة موجودة في سماء رب العالمين؟! وأيضًا تجد شبكة الإنترنت إتقان الشر فيها، والمسارعة إليه ونشره؛ قوية جدًّا في حين أنهم يحاربون كل مفيد، ومثمر، وبإتقان شديد لو كان كلامًا هادفًا ، ونحن نتكاسل حتى في البحث عن الطيب من بين الخبيث، بل ولا نعلم شيئًا عن الإتقان في العمل إلا من رحم ربي.

3 - والملاحظ عدم وجود التخصص في العمال بشكل كبير لدرجة أنه من النادر أن تجد أحدًا يعمل في مجال تخصصه، وهذا كفيل لعدم توافر خلق الإتقان.

4- ومن أسباب عدم الإتقان مسألة التنسيق الجامعي؛ إذْ إن الطالب يدخل كلية لا يرغبها ولا يحبها، وبالتالي لا يتقن الدراسة فيها، ولا يتقن العمل الذي يقوم به بعد ذلك عند تخرجه من هذه الكلية، وهذا الغالب في الأمر، وهذه المسألة تحتاج لعلاج جذري من قبل القائمين على التعليم العالي في الجامعات.

5- وهناك من لا يتقن فهم القرآن، فلا يعرف إحسانًا من إساءة، ولا يعي الأمر من النهي وأتصور أن من يتقن فهم القرآن والسنة هو الأقرب لأن يكون لديه التصور لخُلق الإتقان طالما أنه عامل بما يعلم.

6- ويصطدم المرء بمفارقات مثيرة للغاية على المستوى الفردي داخل المجتمع الواحد. فهناك إنسان متدين يؤدي عمله بإخلاص، ويملك عقلًا منفتحًا، ويضع مصلحة بلده نصب عينيه يقابله إنسان متدين لا يتقن عمله، جامد فكريًّا وسلوكيًّا ، يسرف على نفسه، ويخرق قوانين ونظم المجتمع في سبيل مصلحته. كذلك هناك إنسان غير متدين، دءوب، جاد، يقبل على الجديد بعقل مفتوح، ويشعر حقًّا بأنه مواطن له حقوق وعليه واجبات يقابله شخص غير متدين كسول متواكل، ضعيف الأفق، يتمسك بالقديم، ويدور حول الذات. وبغض النظر عن تكرار هذه النماذج البشرية، يبقى أنها موجودة، وهذا طبيعي لتغير النفوس البشرية، وتغير أخلاق الناس.

7- كما نرى المدرس لا يتقن شرحه لدروسه بل ينام بقية الدرس، أو يتضاحك مع الطلاب ساخرًا، وإنني أسأل أيها الأخوة: الطالب الذي يرى مدرسه في حالٍ من

(1) المصدر السابق (1955).

الميوعة، والتسيب كيف يتعلم الفضيلة، والرجولة؟! الطالب الذي يسمع من مدرسه السبَّ والشتمَ، والبذاءة كيف يتعلم حلاوةَ المنطق؟!

8- الذي يأخذ راتبًا مقابل عمل لم يُتقنه، لا يُستجاب له الدعاء، والعياذ بالله، والذي لا يتقن العمل على الوجه المطلوب فإنه يُعد آكلًا للحرام.

ومن ناحية أخرى:

1- ترى أناسًا لا يتقنون من فنون التعامل في الحياة؛ إلا فنًّا واحدًا قلَّ من يتقنه؛ هو فنُّ التعامل مع الله تعالى؛ والتعامل مع خلقه بالحسنى؛ وبالدعوة إلى الله عز وجل، بالعفو والتسامح، وبالغضب إذا انتهكت محارم الله وهؤلاء أناس نريد أن نُكثر منهم؛ لأن بهم ينتشر الخير والإصلاح في الأرض، وتنتشر الأخلاق التي نرجوها.

2- كما أن العامل الرئيس الذي يولِّد الإتقان في نظر الإسلام عند المسلم هو مراقبة الله، أو مراقبة الناس، وقد حرص الإسلام على أن تكون الأولوية لمراقبة الله، لذلك وجَّه المسلم إلى توليد اليقين بمراقبة الله له، فهو تعالى يسمع أقوالنا، ويرى تعالى أعمالنا، ويعلم تعالى أسرارنا، ووسوسة صدورنا.

إن اليقين بأن {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: 7] =هذا هو الذي يولِّد الإتقان.

إن اليقين بـ {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} [الأنعام: 59-60]= هذا هو الذي يولد اليقين.

3- وإتقان العمل يحتاج إلى إرادة، وعزيمة، وهذا كله موجود في بناء شخصية المسلم الحقيقي الملتزم بأداء شرائع الله، فالذي يستيقظ مبكرًا لصلاة الفجر، فضلًا عن قيام الليل، تجده تتكون عنده الإرادة والعزيمة بالتمرس، والتدريب على هذا، كما أن المسلم الذي لديه الحرص على صيام النوافل هذا أيضًا قادر على أن يقوي عزيمته وإرادته، وبتلك الإرادة من السهولة بمكان أن يحقق الإنسان الإتقان في عمله.

4- كما أن إتقان العمل يحتاج إلى الصبر والمصابرة، وهذا يتأتى بالأعمال الشرعية التي سبق ذكرها من قيام ليل، أو صيام نوافل، أو طاعات أخرى بها الاستعانة على تحمل الصعوبات كالذكر، وقول الحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله) فبها -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- تُحمَل الأثقال وتُكابَد الأهوال ويُنال رفيعُ الأحوال[1]، وغير ذلك من الأذكار.

5 - كما أن الملاحظ أن الشخص الذي يُحسن الوقوف بين يدي الله، ويخشع في صلاته، ويتدبر آياته هو الشخص الذي يستطيع أن يكون أكثر مراقبة لله، والأفضل خلقًا في التعامل مع الناس، ومما لا شك فيه أن هناك علاقة أساسية بين الإيمان والأخلاق كما ذكرنا من قبل أن أكمل الناس إيمانًا أحسنهم خلقًا، وكذلك في سورة المؤمنون سبق الإشارة إلى آياتها أن الفلاح (وفيه معنى الإتقان) يكون للمؤمن الذي يخشع في صلاته.

---

(1) أمراض القلوب، لابن تيمية (ص27).

6- حسن التدبير، وإتقان الصنعة من المروءة، والأخلاق المحمودة لأن الأخرق الذي لا يتقن ما يصنعه مذموم عند الناس، وعكسه المتقن تجده محبوبًا للناس، وحب الناس له من حب الله له، فوُضع له القبول لأنه كما جاء في قوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]، فالحب بدون شك يشمل العبد المؤمن؛ كما يشمل عمله المتقن.

7- وهناك لون من إتقان الكلام، فالكلام فنٌّ وأدب وذوق، ومن لا يتقن هذا الفن يضيّع الكثير من الفوائد والمغانم، فكم من كلمة خبيثة لا يأبه العبد بها تؤدي به إلى الذُّل والتهلكة، وكم من كلمة طيّبة قرَّبت بين المتباعدين، وأصلحت بين المتخاصمين، وجمعت شمل المتدابرين، فأورثت صاحبها عزًّا وحمدًا بين الناس لا يُمحى على مرِّ الأيام والسنين؛ لذلك أمر الله عباده بأن يجمِّلوا ألسنتهم بالكلام الحسن، فقال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: 83] ، وتجد الاقتصاد الناجح قائمًا على التجار الذين لهم قدم في إتقان عباراتهم، وحديثهم.

8- كما نَلْحَظ أن الرجل الذي لا يتقن حرفة معينة، فإنه لا يستطيع أن يُبدع فيها، ويفكر في أحسن الطرق لأدائها، ولكن بعد أن يتعلمها، ويتمرسها، قد يبدع فيها، فما حصل له من خبرة ومن كشف أحسن الطرق لأدائها هو ما يسمى بالعقل المكتسب، أي هو نتيجة تنمية القوى العقلية الغريزية.

ومما سبق نَلْحَظ أن خلُق الإتقان عنصر أساس كغيره من الأخلاق في السعي للتنمية الاقتصادية، ولن يكون ذلك إلا -كما ذكرنا- بأن نرسخ في النفوس معاني الإتقان، والسبيل إليه.

سادسًا- غياب خلُق التعاون وتشتُّت أفراد المجتمع الواحد وضياع قُوَّتِه:

معنى التعاون لغة:

قال الخليل بن أحمد: كلُّ شيء استعنت به، أو أعانك فهو عَوْنُك. والصوم عَوْنٌ على العبادة. وتقول: هؤلاء عَوْنُك، الذكر والأنثى والجميع سواء، ويجمع أَعْوان. وأَعَنْته إعانة. وتَعاوَنوا، أي: أعان بعضهم بعضًا ورجل مِعْوان: حسن المعونة[1].

والألفاظ المشتقة من مادة (ع و ن) التي اشتق منها "التعاون" جاءت في ثلاث آيات من آي الذكر الحكيم:

الأولى: آية سورة (المائدة): {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} أي: ليعن بعضكم بعضًا على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله، وحقوق الآدميين.

والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك.

---

(1) العين (253/2 مادة: ع و ن).

{وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ} وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. {وَالْعُدْوَانِ} وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كفُّ نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه[1].

الثانية: آية سورة (الكهف): {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف: 95]، أي: لا حاجة لي في مالكم ولكن أعينوني برجال وآلة أبني بها السد[2].

الثالثة: آية سورة (الماعون): {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: 7]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل: ما الماعون؟: «ما يتعاون الناس بينهم»[3].

والألفاظ المشتقة من مادة (ع و ن) التي اشتق منها "التعاون" جاءت في السنة في عدة أحاديث:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[4].

2- عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمانُ بالله والجهادُ في سبيله» قال: قلت: أيُّ الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا» قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق»[5].

ثم جاء معناها في القرآن والسنة في مواضع متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جميعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103].

قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر الله به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خيرٌ مما تحبون في الفرقة[6].

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدًا، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة»[7].

ونذكر هذا الحديث لأهميته، والذي هو أحد أهم أسباب الفرقة، وأننا أصبحنا شيعًا، ولا تعاون بيننا، بل على العكس يكون البأس بيننا شديد.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا معشرَ المهاجرين خمسٌ إذا ابتُليتُم بهن، وأعوذُ بالله أن تُدرِكُوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يُعلِنوا بها إلا فشَا فيهم الطاعونُ والأوجاع التي لم تكن مضَت في أسلافِهم الذين مَضَوا، ولا يَنقُصوا المكيالَ والميزانَ، إلا أُخِذوا بالسِّنين وشدة المئُونة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يَمنعُوا زكاةَ أموالهم إلا مُنِعوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم يَنقُضوا عهدَ

---

(1) تفسير السعدي (ص218).
(2) تفسير الرازي (21/ 499).
(3) أخرجه الطبراني (9007)، الحاكم (3375)، وقال: على شرط البخاري ومسلم.
(4) مسلم (2699).
(5) البخاري (2518)، مسلم (84).
(6) معالم التنزيل (78/2).
(7) أخرجه الطبراني (13623، 13624)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (218/5): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات، رجال الصحيح.

الله وعهدَ رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكُم أئمَّتُهم بكتابِ الله ويتخيَّرُوا ممَّا أنزل الله إلا جعَل اللهُ بأسَهم بينَهم»[1].

والشاهد في الحديث: « وما لم تحكُم أئمَّتُهم بكتابِ الله ويتخيَّرُوا ممَّا أنزل الله إلا جعَل اللهُ بأسَهم بينَهم»، وهذا هو واقعنا للأسف إلا ما رحم ربي من قوانين الأحول الشخصية (كالمواريث والزواج).

وهذا الحديث يبين أنه من القدَر المحتوم الذي لا سبيل إلى غيره فنسأل الله العافية، وأنه سبحانه وتعالى يقول: {يَمْحُوا الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: 39].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلُغ ملكُها ما زُوِي لي منها، وأُعطيت الكَنْزين الأحمرَ والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَةٍ عامَّة، وأن لا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أُهلِكَهم بسَنَةٍ عامَّة، وأن لا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، يستبيحُ بيضتَهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال: من بين أقطارها- حتى يكون بعضُهم يُهلِكُ بعضًا، ويَسْبي بعضُهم بعضًا»[2].

والشاهد في الحديث: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا».

فالله أسأل أن يغير هذا إلى الواقع الأليم، فلا يُرفع البلاء إلا بالدعاء، ولا يُغير المقدور إلا الدعاء، فاللهم اصرف عنا ربَّنا شر ما قضيتَ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[3].

والواقع المرير أننا الآن شيعًا ؛ لا تعاون بيننا إلا نادرًا، وصور التفرق كثيرة نذكر منها:

أ- من الناحية الدولية:

1- تناحر بين الدول على الحدود بينهم فلا وحدة في مسألة التوافق بين الحدود للبلاد كما كان بالسابق.

2- تباعد بين الرؤساء في الرأي فلا وحدة واتحاد، وجامعة الدول العربية صدَق من سماها بالخيول المتنافرة.

3- تنافر بين الجنسيات المختلفة، فكل جنسية غالبًا ما تهجو الأخرى، فالعراقي يهجو الكويتي، وبالعكس، والقطري يهجو الإماراتي، وبالعكس، وهكذا.

4- تفرق بين أبناء البلد الواحد فلا انتماء إلا نادرًا.

5- تقاتل بين الدول على الحدود والأراضي.

6- لا انتماء من المواطنين لبلادهم، بل غالبًا الانتماء للغرب.

7- لا اتفاق في القرارات بين الدول إلا نادرًا كما حدث في حرب أكتوبر.

ب- ومن الناحية الاقتصادية:

1- نفقد روح الفريق الواحد.

---

(1) أخرجه ابن ماجه (4019)، الحاكم (8623) وقال: صحيح الإسناد.

(2) مسلم (2889).

(3) أخرجه الترمذي (2139)، البزار (2540)، وقال الترمذي: حسن غريب.

2- غياب روح المؤسسية في معظم البلاد.
3- التعاون مع الغرب، وثرواتنا وأموالنا في أيديهم أكثر من أن نتعاون بها فيما بيننا لنُكون تكتلًا اقتصاديًّا.
4- التعاونيات الاقتصادية خالية من الاعتماد على الذات، بل الاعتماد الأساس على الغرب.
5- مبدأ الشورى، وهو أصل خلق التعاون يكاد يكون منعدمًا إلا القليل خاصة بين الدول، بعكس الدول الغربية في حين أنه مبدأ إسلامي هام.

ج- ومن الناحية الاجتماعية:

1- نجد كثيرًا من الأسر مفككة، في حين أن كل عائلة يمكن أن نعتبرها تكتلًا اقتصاديًّا عن طريق الادخار والاستثمار، ولكن لا وعي لخلق التعاون.
2- الأسر تتعاون لا على تنمية بلادها، وإنما تتعاون على التدمير والتخريب، وحادث الثورات الأخيرة في الكثير من البلاد أكبر مثال على ذلك.
3- اقتصاديات الأسر والعائلات خالية من التعاون التجاري، وهنا نجد الكيان الصهيوني في نيويورك له كيان اقتصادي قوى جدًّا؛ ممثل في بضع عائلات يهودية؛ أما نحن معشر المسلمين لا نفطن لهذه الحكمة من التعاون، والتوحد، وعدم التفرق.

د- من الناحية التعليمية:

1- تجد لا تعاون بين المدرس والتلاميذ لتكون المحصلة ناتجًا قوميًّا اقتصاديًّا قويًّا ممثلًا في موارد بشرية تدعم الاقتصاد الإسلامي.
2- لا تعاون بين أفراد هيئة التدريس، فكل يسعى في طريق مختلف، فليس هناك وحدة الفريق.
3- المواد الدراسية تجد فيها تنافرًا وتباعدًا في التخصص، ولو توحدت وتعاونت الجهود في دائرة تخصص محددة لكانت المحصلة أفضل.

فبالفعل هناك تنافر بين أفراد المجتمع الواحد، بل بين المجتمعات شتى، وكأننا نحتاج إلى مغناطيس يقوم بتجميع الهمم والتعاون لتكون المحصلة أفضل، وليكون الناتج الاقتصادي أكبر.

ومما سبق نَلْحَظ أن خلُق التعاون عنصر أساس كغيره من الأخلاق في السعي للتنمية الاقتصادية، ولو قال قائل: كيف نحول هذا المجتمع الإسلامي من مجتمع غير متعاون إلى مجتمع متعاون؟

نقول: إن الأمر يحتاج أولًا لترسيخ القيم الأخلاقية الحسنة، والتحذير من الأخلاق الذميمة، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث بمشيئة الله تعالى.

سابعًا- تفشي خلُق التسوُّل وتدهور عامل من عوامل الإنتاج وهو العمل:

معنى التسوُّل لغةً:

قال الدكتور أحمد مختار: التسوُّل مأخوذ من سأل سؤالًا وسُوالًا بالواو دون أن تهمز تخفيفًا، وقد أجاز مجمع اللغة المصري هذا الاستعمال استنادًا إلى أصل معنى اللفظ وهو السؤال والاستعطاء وأطلقت على الشحاذة باعتبارها إلحاحًا في طلب

العطايا، وهو إطلاق سديد جاء عن طريق المجاز المرسل بعلاقة العموم والخصوص، وتسوَّل فلانٌ: شحذ، سألَ واستَعْطى، طلب العطيَّةَ والإحسانَ [1].

ولقد مدح القرآن الكريم الفقراء الذين لا يتسوَّلون، ووصفهم بالعفة، فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ الله لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: 273].

قال البغوي: "{لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافًا أصلًا لأنه قال: من التعفف والتعفف ترك السؤال، ولأنه قال: تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة من حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، والإلحاف: الإلحاح واللجاج"[2].

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العمل أفضل من التسوُّل؛ إذ قال في حديث الزبير بن العوام: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَبِيعَ فَيَكُفَّ الله بِهِ وَجْهَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ»[3].

ولقد عرَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو المحتاج من عدمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المسكين الذي يَطُوفُ على الناس، تردُّه اللُّقمة واللُّقمتان والتمرةُ والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنًى يُغْنيه، ولا يُفطن به فيُتصدَّق عليه، ولا يقومُ فيسألُ الناسَ»[4].

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يسأل الغنيُّ، فقال صلى الله عليه وسلم: «من سأل الناس وله عِدْلُ خمس أواقٍ فقد سأل إلحافًا»[5].

وجاء في تعريف المسكين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المسكين الذي تردُّه الأُكلة والأُكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنًى، ويستحيي، ولا يسأل الناس إلحافًا»[6].

وبين رسول الله لقبيصة بن مخارق الحالات التي تجوز فيها المسألة، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا قبيصةُ، إن المسألة حُرِّمت إلا في إحدى ثلاث: رجل أصابته جائحةٌ فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يصيب قِوَامًا من عيشه ثم يمسك، وفي رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحِجَا[7] من قومه، وأن المسألة قد حلَّت له فيسأل حتى يصيب القِوَام من العيش ثم يمسك، وفي رجل تحمل بحَمَالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سُحت يأكله صاحبه سُحتًا»[8].

---

(1) معجم الصواب اللغوي (232/1)، معجم اللغة العربية المعاصرة (1139/2).
(2) معالم التنزيل (338/1).
(3) البخاري (2373).
(4) البخاري (1479)، مسلم (1039).
(5) أخرجه أحمد (17276)، وقال الهيثمي في المجمع (95/3): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
(6) البخاري (1476).
(7) ذوي الحجا: أصحاب العقل.
(8) مسلم (1044).

وقد تكون الصدقة حرام، ولا تحل في حالات كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ إلا لخمسة: لغازٍ في سبيل الله، أو لعاملٍ عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جارٌ مسكين فتصدَّق على المسكين، فأهداها المسكين للغني»[1]. وكما قال صلى الله عليه وسلم: «لا تحلُّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة[2] سَوِيٍّ»[3].

ويؤكد ذلك حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سأل الناس أموالهم تكثُّرًا، فإنما يسأل جمرًا[4] فليستقلَّ أو ليَستكْثِرْ»[5].

وهذا الحديث يبين المنهج الإسلامي الصحيح لمعالجة التسوُّل، وهذا هديه صلى الله عليه وسلم ليتحول المجتمع من أفراد تطلب وتحتاج المساعدة من غيرها إلى مجتمع عامل منتج يزيد القوة الاقتصادية للمجتمع، ويرفع القوة الإنتاجية، ويعين على بناء اقتصاد قوي، ولنتأمل معًا هذا الحديث:

عن أنس بن مالكٍ، أن رجُلًا من الأنصارِ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألُه، فقال: «لك فِي بيتِك شيءٌ؟»، قال: بلى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بعضَه، ونَبْسُطُ بعضَه، وقَدَحٌ نشربُ فِيه الماء، قال: «ائْتِنِي بهما»، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بيدِه، ثم قال: «من يشترِي هذينِ؟»، فقال رجُلٌ: أنا آخُذُهما بدِرْهمٍ، قال: «من يزِيدُ على دِرْهمٍ؟»، مرَّتينِ أو ثلاثًا، قال رجُلٌ: أنا آخُذُهما بدِرْهمينِ، فأعطاهما إياه , وأخذ الدِّرْهمينِ فأعطاهما لِلأنصارِيِّ، وقال: «اشترِ بأحدِهما طعامًا فانبذه إلى أهلِك، واشترِ بالآخرِ قَدُومًا، فأْتِنِي به»، ففعل، فأخذه رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فشدَّ فِيه عُودًا بيدِه، وقال: «اذهب فاحتطِب ولا أراك خمسة عشر يومًا»، فجعل يحتطِبُ ويبيعُ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: اشْترِ ببعضِها طعامًا وببعضِها ثوبًا»، ثم قال: «هذا خيرٌ لك من أن تجِيءَ والمسألةُ نُكتةٌ فِي وجهك يوم القِيامةِ، إن المسألة لا تصلُحُ إلا لِذِي فقرٍ مُدْقِعٍ، أو لِذِي غُرمٍ مُفْظِعٍ، أو لِذِي دمٍ مُوجِعٍ»[6].

---

(1) أخرجه عبد الرزاق (7151)، أحمد (11555)، ابن ماجه (1841)، ابن خزيمة (2374) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مالك (919)، أبو داود (1635) عن عطاء بن يسار مرسلًا، قال البزار: «وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن زيد، عن عطاء بن يسار مرسلًا، وأسنده عبد الرزاق، عن معمر، والثوري، وإذا حدث بالحديث ثقة فأسنده، كان عندي الصواب». ينظر: بيان الوهم والإيهام، لابن القطان (310/2).

(2) ذي مرة: أي ذي قوة.

(3) أخرجه أبو داود، (1634)، الترمذي (652)، وقال: حديث حسن.

(4) قال الملا علي القاري: «(فإنما يسأل جمرًا) أي: قطعة من نار جهنم، يعني ما أخذ سبب للعقاب بالنار، وجعله جمرًا للمبالغة، فهذا كقوله: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا} [النساء: 10] أي: ما يوجب نارًا في العقبى وعارًا في الدنيا، ويجوز أن يكون جمرًا حقيقة يعذب به كما ثبت لمانعي الزكاة (فليستقل) أي: من السؤال أو الجمر (أو ليستكثر) أي: ليطلب قليلًا أو كثيرًا وهذا توبيخ له أو تهديد، والمعنى: سواء استكثر منه أو استقل». ينظر: مرقاة المفاتيح (1309/4).

(5) مسلم (1041).

(6) أخرجه أبو داود (1641)، الترمذي (1218) مختصرًا، ابن ماجه (2198)، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال في العلل الكبير (193): «سألت محمدًا -يعني البخاري- عن هذا الحديث فقال: الأخضر بن عجلان ثقة، وأبو بكر الحنفي الذي روى عن أنس اسمه عبد الله».

ومما سبق نجد أن القرآن والسنة وضَّحا لنا كيف أن التسوُّل حرام، ومتى تجوز المسألة؟ وما هو المنهاج الصحيح لعلاج هذه المشكلة؟ وفي الواقع نجد أن ظاهرة التسول أصبحت حرفة تمتهن، ويتساهل الكثيرون، ويبغُونها سعيًا للكسب، وبالتأكيد أن الوعي الأخلاقي لهذه المسألة لدى الآخذ، أو المعطي يحتاج لترسيخ.

ونذكر في هذا المقام قصة عمر بن الخطاب مع السائل، فقد روى أبو خلدة خالد بن دينار أن عمر سمع صوت سائل، فقال: عشُّوا السائل؛ ثم تحوَّل إلى دار إبل الصدقة فسمع صوته؛ فقال: ألم آمركم أن تعشوا السائل؟ قالوا: قد فعلنا، قال: ائتوني به، فأتوه به فإذا جراب مملوء خبزًا، فأخذ عمر الجراب فنثره لإبل الصدقة، وقال: لست بسائل، إنما أنت تاجر تجمع لأهلك"[1].

ومن هنا نسرد مخاطر عدم ترسيخ القيم في نبذ هذا الخلُق الذميم:

1- ضياع الكثير من الطاقة البشرية، والأيدي العاملة التي تسعى لبناء الاقتصاد الإسلامي.

2- إعطاء أموال الصدقات والزكاة لغير مستحقيها.

3- المتسولون يزدادون غنًى، والفقراء الحقيقيون يزدادون فقرًا.

4- الإساءة إلى مظهر الإسلام والمسلمين.

5- تجد المتسولة ترتدي الحجاب، أو النقاب، وتسيء للدين ومظهره، وآخر يُرخي لحيته ويتسول، ويسيء لمظهر رجل الدين.

6- ضياع الحقوق بين المسلمين، وتعرض المتسولين لعذاب النار.

7- تدهور الحالة الاقتصادية تدهورًا يزداد الحين بعد الحين.

8- التعود على الكسل، والتكاسل فالتسول مدعاة للكسل.

9- الإضرار بالمظهر الحضاري للإسلام والمسلمين.

والعلاج لهذا الأمر يستوجب الآتي:

1- ترسيخ نبذ هذا الخلُق الذميم، كما سيتم ذكره إن شاء الله.

2- الأخذ بيد من حديد على يد المتسولين بتعقب أحوالهم من خلال الأجهزة الأمنية، وإن كان لديهم ممتلكات، أو أرصدة بالبنوك لا بد من الحجز عليا، لأنها مقدرات المجتمع ككل، ولقد تم أخذها بالحيلة، والنصب، وهذا يعتبر إضافة للعائد القومي، فلو شاهدنا أعداد المتسولين نجدهم بالآلاف، ولو تم حصر ما لديهم سنجده بالملايين، ويمكن إعادة توجيههم خُلقيًّا ليقوموا بأعمال نافعة للمجتمع تعود بالعائد الاقتصادي على الأمة الإسلامية.

3- إصدار القوانين على من تُسول له نفسه أن يتسوَّل أن عاقبته السجن، والحجز على ممتلكاته وممتلكات أسرته حتى لا يتلاعب.

4- حيث يقول في مصر الدكتور محمد خطاب، أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس: إن تجمع المتسولين يزداد حول أماكن العبادة لأن الشخص يكون أكثر إقبالًا على عمل الخير، وإخراج الصدقات، وسبب انتشار ظاهرة التسول أننا شعب عاطفي،

---

(1) ثقات ابن حبان (437/5).

ومتدين يتجاوب بسهولة مع كل من يطلب المساعدة، أو يدعي الفقر أو المرض، ونصدقه إلى درجة تصل إلى حد السذاجة.

وأستاذ الاقتصاد الإسلامي في جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور رفعت العوضي يحدد قيمة هذا الاقتصاد السري بنحو 6 مليارات جنيه.

ومما سبق نَلْحَظ أن خلُق التسول كخلُق ذميم هادم للتنمية الاقتصادية، ولو قال قائل: كيف نحول هذا المجتمع الإسلامي من مجتمع فيه تسول إلى مجتمع خالٍ من التسول؟

نقول: إن الأمر يحتاج أولًا لترسيخ القيم الأخلاقية الحسنة، والتحذير من الأخلاق الذميمة، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث بمشيئة الله تعالى.

ثامنًا- انتشار خلُق مخالفة القول للفعل وغياب القدوة:

معنى القدوة لغةً:

قال ابن فارس: "القاف والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على اقتباس بالشيء واهتداء، ومقادرة في الشيء حتى يأتي به مساويًا لغيره. من ذلك قولهم: هذا قدى رمح، أي قيسه. وفلان قدوة: يقتدى به. ويقولون: إن القدو: الأصل الذي يتشعب منه الفروع"[1].

ولقد جاء معنى القدوة وعدم مخالفة القول للعمل في القرآن والسنة في مواضع متعددة نذكر على سبيل التوضيح بعض صورها:

1- التحذير من مخالفة القول الفعل:

وجاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2-3].

وجاء في الحديث عن أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه (أمعاؤه) فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار، فيقولون: يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[2].

2- معنى القدوة:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة: 4].

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الممتحنة: 6].

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: 90].

---

(1) مقاييس اللغة (66/5).

(2) البخاري (3267)، مسلم (2989).

فلقد حثنا كتاب الله تعالى على أن نتخذ سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إمامًا وقدوةً لنا، وكذلك من كان قبله من أنبياء ورسل؛ فالقدوة الحسنة أساس العلم النافع، وبدون القدوة الحسنة لا سبيل لعلم أو خلُق، وأي تقدم اقتصادي الأساس فيه العلم والخلق.

ومن الآثار الموجودة الآن لغياب هذا الخلق:

1- تدهور الحالة الخلُقية، والعلمية للدارسين في مختلف نواحي التعليم.

2- أصبحت القدوة للاعب الكرة، والممثل، والممثلة لا للعالم، والمفكر.

3- الجيل بأكمله إلا ما رحم ربي يشعر بالوهن لغياب القدوة الحسنة.

4- إحباط الكثير من الشباب، وعدم وجود المثل الأعلى.

5- قيام الكثير من وسائل الإعلام الهدامة بالإساءة للأكابر من رموز ديننا، ودس السم في نفوس شبابنا بأفكار ملوثة تهدم لديهم المثل العليا.

6- انتشار التقليد الأعمى بين أوساط الأطفال والشباب، وأحيانًا الكبار الأمر الذي يزيد الوضع سوءًا.

7- غياب القدوة الحسنة في البيت من أم، أو أب، أو أخ أكبر، وفي المدرسة، والجامعة من مدرس، أو معلم واعٍ إلا قليلًا.

ولو لاحظنا أغلب العادات الاستهلاكية، والطباع الاقتصادية بين طبقات المجتمع تجدها موروثة من قدوة سيئة، وشاهد السفه في استخدام المحمول في غير ما يفيد، وألعاب النت، وغير ذلك مما يُضيع المقدرات الاقتصادية للعالم الإسلامي، فليس هناك قدوة تعلم، ونموذج يربي إلا نادرًا.

تاسعًا- انتشار المظالم بين العباد لغياب خلُق العدل من أسباب التخلف الاقتصادي:

معنى العدل لغةً:

قال ابن فارس: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج.

فالأول العدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة. يقال: هذا عدل، وهما عدل. والعدل: الحكم بالاستواء. ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله. وعدلت بفلان فلانًا، وهو يعادله. والمشرك يعدل بربه - تعالى عن قولهم علوًّا كبيرا - كأنه يسوي به غيره.

والعدل: نقيض الجور، تقول: عدل في رعيته. ويوم معتدل، إذا تساوى حالا حره وبرده، وكذلك في الشيء المأكول. ويقال: عدلته حتى اعتدل، أي أقمته حتى استقام واستوى" [1].

ولقد جاء معنى العدل في القرآن والسنة في مواضع متعددة نذكر على سبيل التوضيح بعض صورها:

* جاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: 8].

فالعدل لازم مع القريب والبعيد، ومع العدو والحبيب.

---

(1) مقاييس اللغة (246/4) بتصرف.

* وجاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالله أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 135].

فالعدل يكون على النفس، وأقرب الناس فلا مهاودة في ذلك. والعدل في الرضا والغضب هو أحد الثلاث المنجيات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه(1).

وجاء ذلك في قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} [النساء: 3].

فالعدل أيضًا لازم، وواجب بين الزوجات، وإلا يأتي يوم القيامة مائلًا على أحد شقيه كما جاء بالحديث.

وجاء ذلك في قوله تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [المائدة: 42].

فمحبة الله واجبة للمقسطين الحاكمين بالعدل بين الناس.

* وجاء ذلك في قوله تعالى: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152].

فالعدل مطلوب في القول كما أنه مطلوب عند الكيل والميزان.

ومن آثار عدم انتشار العدل في المجتمع:

1- ضياع الحقوق.

2- الشعور بالظلم والإحباط بين فئات المجتمع، فلا رغبة في العمل والإنتاج.

3- تولي الأمر من ليس عنده كفاءة، فتضيع المهمات والمسئوليات.

4- انتشار الفساد على كل المستويات اقتصاديًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا.

5- ويكفي أن نقول: إن الدولة العادلة تقوم وتنهض ولو كانت كافرة، والدولة الظالمة تفشل وتنتهي ولو كانت مسلمة.

ولا سبيل لأي إصلاح اقتصادي، أو المضي في عجلة التنمية، أو زيادة الإنتاج، أو السعي إلى الأمام تجاه اقتصاد أفضل بدون القيام على إصلاح هذه النفوس البشرية، ولن يكون ذلك إلا كما ذكرنا بأن نرسخ في النفوس القيم الأخلاقية، والتي من أهمها كيف يتم التعامل بالقسط والعدل.

العدل وعمر بن عبد العزيز وإقامة دولة اقتصادية:

"تعد التجربة الاقتصادية للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، من التجارب المهمة والمضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية، ففيما يشبه المعجزة حققت دولة الخلافة الإسلامية طفرة اقتصادية مذهلة خلال فترة حكمه والتي لم تتعد عامين ونصف العام وعلى رقعة جغرافية كبيرة، حيث كانت دولة الخلافة تمتد من الصين شرقا إلى باريس غربًا ومن حدود سيبيريا شمالًا إلى المحيط الهندي جنوبًا.

(1) أخرجه البزار (6491)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (654).

كان الخليفة زاهدًا في الحكم كما كان يعتبر الخلافة نوعًا من الابتلاء وأن على المبتلى الصبر والعمل الجاد والاحتساب عند الله سبحانه وتعالى خاصة أنه تولى الخلافة وقد وجد أن هناك مشاكل اقتصادية كبيرة، حيث انتشر الفقر والفساد والظلم والخراب لبعض القطاعات الاقتصادية وكذلك الإسراف وسوء إدارة الدولة، مما نتج عنه تفاوت اجتماعي كبير، فوضع رضي الله عنه روشتته والتي تم تنفيذها حرفيًّا، فبدأ بأن شخَّص المرض الذي يستشري في جسم الأمة، يكمن في بُعد المسلمين عن تطبيق الشريعة الإسلامية والتي هي مورد الخير والفلاح.

كما أكد على ضرورة الإخلاص لله سبحانه وتعالى في العبادة والنية الصادقة لطاعته في إعمار الأرض، ثم حدد رضي الله عنه المبادئ الأساسية التي يقوم عليها العلاج الاقتصادي وأولها العدل، حيث اعتبره أصلًا من أصول الاقتصاد، كما هو أصل لجميع المعاملات، فلا يمكن أن تقوم للاقتصاد قائمة إلا به بداية من تخصيص الموارد ومرورًا بالإنتاج والمبادلات والتوزيع.

وكان يقول: إن إقامة العدل أهم من إقامة البناء، لأن مع العدل سعة وسعادة ومع الظلم ضيق وكرب، وثانيها رفع الظلم عن المظلومين، الضعيف منهم قبل القوي والمرأة قبل الرجل وغير المسلم قبل المسلم، لأن عواقب الظلم وخيمة وقد أمر بإرجاع جميع الحقوق لأصحابها وإعادة الأموال التي أخذت منهم ظلمًا وتقديم المصلحة العامة على الخاصة في حالة التعارض مع التعويض العادل، وثالثها محابهة الفساد عن طريق محاربة الرشوة بكل صورها القبيحة حتى وإن كانت في صورة هدايا وكذلك استغلال النفوذ وإن كان من قبل بعض الأمراء أو الولاة وكذلك هدر الموارد بدون وجه حق والفساد الإداري. وقد قام رضي الله عنه بتحقيق تنمية اقتصادية غير مسبوقة من خلال إنصاف الفقراء والمظلومين وتمكينهم من وسائل الإنتاج التي تمتلكها الدولة، وكذلك تحقيق حد الكفاية لهم والذي شمل توفير المسكن المناسب والأثاث والمركب والخادم، كما قام ببسط الأمن في ربوع الدولة، وقد أدى ذلك إلى توفير المناخ المناسب لانطلاق التنمية سريعًا، كما أمر بزيادة الإنفاق على المرافق العامة وعلى تأكيد الحرية الاقتصادية المنضبطة، كما اهتم اهتمامًا بالغًا بالزراعة والتي كان لها مردود كبير على الأفراد والمجتمع، كما قام بضبط مالية الدولة بالضوابط المعتبرة.

وأخيرًا رحم الله الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ساد العدل في عصره فصار الذئب يحرس الغنم، كما أن الزكاة التي جمعت في عصره لم تجد فقيرًا واحدًا تعطى له"[1].

بما سبق بين يدينا من أدلة اتضح مدى أهمية القيم الأخلاقية، وترسيخها لتحدث عملية التنمية الاقتصادية، وهذا ما سيتم عرضه في الفصل التالي من ترسيخ القيم الأخلاقية، وأثره على التنمية الاقتصادية.

(1) مرجع سابق، د. عادل حميد يعقوب، مقال الخليفة الخامس، 11 فبراير 2017 - 20: 11.

الفصل الثالث
ترسيخ القيم الأخلاقية وأثره على التنمية الاقتصادية

وفيه ثلاثة مباحث:

1- مفهوم ترسيخ القيم الأخلاقية.

2- ركائز ترسيخ القيم الأخلاقية.

3- أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية.

الفصل الثالث
ترسيخ القيم الأخلاقية وأثره على التنمية الاقتصادية

مما سبق اتضح لنا كيف أن القيم الأخلاقية أساس من أسس التنمية الاقتصادية، وأن من الأسباب الأساسية للتخلف الاقتصادي عدم الاهتمام بهذا النوع من العلوم في شتى مجالات التعليم، فيكون ركيزة أساسية كعلم من العلوم التي تكون كمادة أساسية، لا أن يشار إليها بشكل ثانوي، وسنوضح كيف أن اليابان كدولة متقدمة من الدول الأُوَل عالميًّا في مجال الاقتصاد -إن لم تكن الأولى- قد ركزت على هذا العلم، وأفردت له مادة مستقلة بعنوان الأخلاق في كل المراحل التعليمية، وهذا يدل على أن العناية بترسيخ الأخلاق له أبعاد اقتصادية هامة للغاية.

وسنتناول في هذا الفصل تفصيلًا لمعنى الترسيخ ومدى اهتمام الدين في جميع أركانه بالأخلاق، وبعض أسباب سوء الأخلاق، ثم سنشير إلى الدعائم الأساسية التي بها يمكن ترسيخ الأخلاق في المجتمع، ثم سنضع الباحث أمثلة عملية للتجربة الأخلاقية في اليابان، والتي كانت أحد أهم الأسباب في تقدمها الاقتصادي، فصدق القائل: إن الأمم ترقى بأخلاقها.

المبحث الأول
مفهوم ترسيخ القيم الأخلاقية

سنتناول في هذا المبحث المعنى اللغوي لكلمة ترسيخ، ثم سنعرض مدى اهتمام شرائع الدين ككل لترسيخ القيم الأخلاقية، ثم سنشير إلى بعض أسباب تدهور القيم الأخلاقية.

أولًا- المعنى اللغوي لكلمة ترسيخ:

قال ابن فارس: "الراء والسين والخاء أصل واحد يدل على الثبات. ويقال رسخ: ثبت، وكل راسخ ثابت"[1].

ثانيًا- اهتمام جميع شرائع الدين بالأخلاق:

فنجد أن جميع ما شرعه الله لعباده من صلاة، أو صيام، أو زكاة، أو حج جميعها مقرونة بالأخلاق، ومرتبطة بها، والسبيل للأخلاق هو التمسك بهذه العبادات، ولا تجد عبادة من هذه العبادات إلا وهي إما نتيجتها الأخلاق وتُحسِّن الخُلُق كالصلاة، والصيام، أو مشروط قبولها بالسير بمنهج أخلاقي أثناء أدائها كالحج، والعمرة، كما سنوضحه فيما يأتي:

1- الصلاة:

نجد أن عبودية الصلاة هي الدرع الواقي، والحصن الأخلاقي الذي يقي الإنسان أن يقع في المنكرات، وسوء الخُلُق، وجاء في ذلك قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

وقال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج: 19 - 23].

ونَلْحَظ أن الصلاة المقصودة ليكون المقصد منها النهي عن الفحشاء والمنكر، وعدم الوقوع في المنكرات، وسوء الخُلُق؛ هي صلاة الخشوع لتدبر معاني القرآن ليس كما يفعل الكثير من المصلين إلا من رحم ربي حيث تجد الكثير من المصلين يصلي ولا يتدبر ما يسمع، ولا يعقل ما يقال، فتجد المحصلة في التدبر والخشوع عنده لا شيء.

ولذلك نجد الإنسان الذي يفهم معنى الصلاة ويقيمها، ويعي أنه واقف أمام الله خاشعًا جسده، وقلبه، وجوارحه متدبر لآيات الله إذا جاء ذكر الجنة تمنى، وإذا جاء ذكر النار خاف، وارتعدت فرائسه= يخرج من الصلاة بقلب متسم بالانضباط في خواطره، وبالتالي تجد جوارحه منضبطة، وسلوكياته، وأخلاقه متزنة، وهذا المعنى يغفل عنه كثير من الناس.

السرقة ما أقبحها! وأسوأ السرقة -كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- الذي يسرق صلاته، قالوا: وكيف يسرق صلاته يا رسول الله؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»[2].

---

(1) مقاييس اللغة (395/2).

(2) الموطأ (579)، وعنه الشافعي في مسنده (223)، قال ابن عبد البر في التمهيد (409/23): «لم يختلف الرواة عن مالك في إرسال هذا الحديث عن النعمان بن مرة، وهو حديث صحيح

كما أن تأدية الصلاة في أوقاتها تُعلم النظام، والدقة في حفظ المواعيد، حتى إذا شبَّ الطفل على إقامة الصلاة مع المحافظة عليها تعوَّد الإقبال على العمل في الوقت المناسب، والمبادرة إلى انتهاز الفرصة قبل ضياعها، وابتعد عن التثاقل والكسل.

2- الصيام:

ونجد أن هذه الشعيرة التي يقوم بها الإنسان في جزء من اليوم على مدار شهر كامل بالإضافة إلى أيام صيام التطوع، والتي يأتي فيها ببعض خصائص الملائكة لا يأكل لا يشرب لا يجامع أهله= تُحوِّل نفسه إلى نفسٍ صافية من الكدر؛ لأنه يُضيق العروق على شيطانه، فيُحصِّل التقوى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183].

والتقوى من معانيها أنها حسن الخُلُق "أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي: انتزع عنها حبَّ الشهوات، وصفَّاها من دنس سوءِ الأخلاق، وتخلقت بمكارم الأخلاق، حتى انسلختْ من عادات البشرية"[1]، وهل ينتظر من إنسان تقي إلا أنه يكون مثالًا للأخلاق الحسنة، ويكون بعيدًا عن الأخلاق الذميمة، ومُشاهَد في شهر رمضان أن الأخلاق الكريمة تزداد، والطاعات تزداد، وهذه طبيعة الإنسان عندما يُضيق الخناق على شيطانه.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة «إذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ، فإنِ امرؤٌ شاتمه أو قاتله، فليقلْ: إني صائمٌ إني صائمٌ»[2].

والصيام وقلة الطعام عاملان رئيسان في رقة القلب، وحسن الطبع، وبذلك تتحسن الأخلاق.

3- الزكاة:

والزكاة من اسمها تُزكي النفوس، وتُحسن أخلاقها، وجاء في ذلك قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103].

فمن الملاحظ للجميع أن هذه الشريعة تحضُّ النفس على العطاء، والبذل، والبعد عن البخل والجشع، والطمع، وكل ما ذُكِر إنما هي أخلاق نحن في حاجة إليها في معاملاتنا الاقتصادية.

4- الحج والعمرة:

وقد جاء الشرع الحكيم بنواحٍ تربوية عالية الشأن مرشدًا إليها في الحج، فمع التواضع في المظهر بلبس البياض، والبعد عن الزخارف في الملبس يأتي تصور المشهد العظيم يوم القيامة يوم الحشر، ثم يحضُّ الشرع الحكيم على أخلاق عالية، وجاء ذلك في قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

يستند من وجوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد»، وكذلك من حديث أبي قتادة. وحديث أبي هريرة عند ابن حبان (1888)، وحديث أبي سعيد الخدري عند أحمد (11549)، وحديث أبي قتادة عند ابن خزيمة (663).

(1) ينظر: تفسير حدائق الأرواح (348/27).

(2) البخاري (1894)، مسلم (1151).

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: 197].

حيث كان النهي عن الفسوق، والجدال، وكل ما هو من الأخلاق الذميمة، وكذلك الأمر بالنسبة للعمرة نحن مطالبون بنفس الشيء من التزام بقيم، وأخلاق، وهنا يتبادر سؤال إلى ذهن القارئ: لماذا الدول غير المسلمة لديها بعض الأخلاقيات الإيجابية، وهي لا تعرف الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو العمرة، ولا تعرف هذه المعاني؟

والجواب: أنهم لديهم مُدخَر عالٍ من ترسيخ القيم الأخلاقية في تعليمهم في الصغر، وهذا هام جدًّا وضروري، وسوف نتكلم عنه في حينه.

ومما سبق نَلْحَظ أن شرائع الدين وأسسه مرتبطة بالأخلاق، وليس هناك أي انفصال بين الدين والخُلُق، بل على العكس فهما متلازمان، وهذه قاعدة عامة وإن كان هناك بعض الشواذ فقليل، ولكن العام والشائع أن صاحب الدين الإسلامي الواعي المتفهم لأمور دينه هو صاحب خُلُق.

ثالثًا- أسباب تدهور القيم الأخلاقية:

1- طبيعة بعض الناس أنهم ذوو قيم أخلاقية متدهورة:

نجد أن هناك أناسًا جُبلت على حسن الخلق، وهناك أناس على العكس من ذلك جُبلت على سوء الخلق، فهذه طبائع البشر، وقد تم الإشارة لذلك مسبقًا في قوله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم أهل اليمن، هم أرقُّ أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية» [1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده»[2]. وقوله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم"[4].

فالشاهد في هذه الأحاديث أن هذه صفات خلقية جبلهم الله عليها، أي خُلِقُوا بها، واتصفوا بها دون أن يكتسبوها.

2- عدم اتخاذ سبل الدعاء فهو وسيلة للتعوذ من سوء الأخلاق:

وهذا رسول البشرية كلها كان يدعو الله بأن يحسِّن أخلاقه، ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»[5].

---

(1) البخاري (4388)، مسلم (52).
(2) البخاري (3434)، مسلم (2527).
(3) مسلم (18).
(4) المعجم الكبير للطبراني (8990)، قال الهيثمي في المجمع (90/10): رجاله رجال الصحيح. قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (213/6): لا يخفى أنه في حكم المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي.
(5) أخرجه أحمد (24437) قال الهيثمي (173/10): رجاله رجال الصحيح.

وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة: «... واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيِّئها لا يصرف عني سيئَها إلا أنت»[1].

3-التحلُّل والميوعة:

لقد مُنيت كثير من الأسر بألوان فظيعة من التحلل والانحراف، فقد أسرفت في التفنن بأنواع الملذات والمحرمات، مما أدى إلى انهيار الأخلاق، وانحطاط السلوك.

ومن الطبيعي أن الانسياق وراء اللهو يخلق جيلًا غير متماسك لا يعنى بالقيم الإنسانية، ولا بالمثل الاجتماعية، فالطفل الذي يشاهد أبويه عاكفين على إدمان الخمر، أو إدمان السجائر والدخان، وتبادل الرذائل، فإنه حتمًا يتأثر بذلك في سلوكه وتوجيهه.

يقول بعض الباحثين في الشئون التربوية:

لقد أصبحت الأسرة جوًّا مخزيًا للتربية بصورة عامة؛ لأن بعض الآباء والأمهات في العصر الحديث قد تجاوزوا الحد المقرَّر في السذاجة، أو العصبية، أو الضعف، أو الشدة، وربما يُعلِّم أكثرهم بعض العيوب لأطفالهم.

أكثر الأطفال الذين ينحرفون سبب انحرافهم أنهم يجدون صورًا مختلفة من سوء الأخلاق، والفساد، والمشاكسة، والسكر في البيت والأسرة، وإن لم يجدوا مثل هذا في البيت فلا بد أنهم تعلَّموه من أصدقائهم.

فيمكن القول بلا مبالغة: إن كثيرًا من الآباء والأمهات في العصر الحديث يجهلون فن تربية الأطفال مهما كانت الطبقة التي ينحدرون منها، والمدارس أيضًا لا تستطيع أن تؤدي واجبها؛ لأن الأساتذة لا يختلف سلوكهم عن سلوك الأبوين كثيرًا.

إن انحراف الناشئة، وفساد سلوكها يستند - على الأكثر - إلى ميوعة الأسرة وتحللها، ولا نعدو الصواب إذا قلنا: إن كِفَّة إصلاح الأسرة يفوق سائر العوامل التربوية الأخرى؛ فهي المدرسة الأولى التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على السلوك والتوجيه.

4-عدم الأخذ بمبدأ الراضي كالفاعل:

وهذا سبب أساس في عدم تغيير الأخلاق الذميمة، فالرضا بالخُلُق السيئ يعتبر كفعله؛ فالإنكار من جميع المستويات لازم من ربِّ الأسرة، ومن مدير العمل، ومن قائد المجموعة، والإنكار بدرجاته معروف إن كان من ولي الأمر فباليد والفعل، وإن كان من الوعاظ فبالقول، وما دون ذلك النكران بالقلب، ولكن لا نترك المنكرات ونرضى بها، قال تعالى: {كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ} [المائدة: 79]. وهذه صفة اليهود.

5- عدم محاسبة النفس:

لا بد من وقفة مع النفس، ولنبك على أنفسنا من سوء الأخلاق، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم، وهم من هم يبكون دمًا من أخلاق النفس؛ فما لنا لا نبكي، ونحن منغمسون في بحر الخطايا والذنوب، متورطون في بئر القبائح والعيوب، لا إنصاف لنا في حق أنفسنا، ولا في حق الغير.

6- حب الدنيا والتنافس فيها بلا قيود:

فتجد الناس تتنافس على الدنيا، ولا تتوانى أن تفعل كل ما هو ممكن من أجل الحصول على المزيد والمزيد من متع الدنيا الفانية، وهذه طبيعة بشرية، ولا يضبط

---

(1) مسلم (771).

لجامها إلا الترسيخ للخلُق القويم وفهم معنى حقيقة الدنيا، والنضج العقلي للإنسان، وكل ذلك لا يأتي إلا بالعلم.

وجاء في وصف الدنيا عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم»[1].

7- الكِبر:

والمستكبر هو الذي عنده كبر - والعياذ بالله – وغطرسة؛ كبر على الحق، وكبر على الخلق، فهو لا يلين للحق أبدًا، ولا يرحم الخلق.

هؤلاء هم أهل النار؛ أما أهل الجنة، فهم الضعفاء المساكين الذين ليس عندهم ما يستكبرون به، بل هم دائمًا متواضعون ليس عندهم كبرياء ولا غلظة، لأن المال أحيانًا يفسد صاحبه، ويحمله على أن يستكبر على الخلق، ويرد الحق كما قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق: 6- 7].

8- عدم ترسيخ القيم الأخلاقية من الصغر:

فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ونجد أن اهتمام الدوائر التعليمية في الكثير من الدول وخاصة النامية يركز على حشو المعلومات دون التركيز على فنياتها، وترسيخ الخلُق من الأمور التي إذا أُهدرت أهدرت كل العلوم؛ فما الفائدة من أن يكون وزيرًا غشَّاشًا للرعية أو طبيبًا غير أمين على مرضاه؟!

9- نوع الأطعمة مؤثر على الأخلاق:

أكلت الفرنج الخنازير فأفادتها عدم الغيرة، وأكلت الترك الخيل فأفادتها القساوة، وأكلت العرب لحوم الإبل فأفادتها الحقد والإيثار للضيف، ما لم يحصل عند غيرهم من الأمم؛ إذ إن من شأن الجمل الحقد فهو يأخذ ثأره ممن آذاه بعد مدة طويلة، كذلك شأن الإبل الإيثار بأقواتها فيجوع الجمع منها الأيام ثم يوضع لها ما تأكله مجتمعة؛ فيضع كل منها فمه فيتناول حاجته من غير مدافعة بعضها بعضًا، بل معرضة عن ذلك، وعن مقدار ما أكله غيرها مما يجاورها، بخلاف غيرها من الحيوانات، فإنها تقاتل عند الاعتداء على حوز الغذاء وتمنع من يأكل معها أن يتناول شيئًا كما هو مشاهد في السباع، والكلاب، والأغنام، وغيرها، وهناك شعوب تتغذى على الأسماك فتزداد ذكاء، وهكذا.

10- غياب القدوة:

وهذا مشاهد في البيت، والمدرسة، والجامعة، والشارع، والنادي، وقليل ما تجد القدوة الحسنة التي تُعلم الخلُق الحسن، وقد سبق الحديث مفصلًا عن "القدوة" في الفصل الثاني.

11- عدم وجود نموذج المعلِّم المربِّي ذي الخلُق إلا نادرًا:

نجد أن الدوائر التعليمية تهتم بتكنولوجيا المعلومات، وتطوير شبكات الكمبيوتر، والاهتمام بالعلوم، وهذا جيد، ولكنها نسيت تمامًا إعداد كوادر من المعلمين المربين الذين سيقومون بترسيخ الأخلاق في أبنائنا، التي بها سيتم الحفاظ على ناتج كل الموارد الأخرى، سواء الاقتصادية أو التكنولوجية.

12- انتشار الأخلاق السيئة أسرع من الأنفلونزا:

---

(1) أخرجه الترمذي (2322)، ابن ماجه (4112)، وقال الترمذي: حسن غريب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسئولٌ عنهم»[1]، ثم إن ضرر إهمال الأولاد لا يقتصر على هذا البيت الذي أهمله أهله، بل هو يسري سريان السم في الأجساد إلى جميع المجتمع، لأن أولادك سوف يتصلون بأولاد غيرك؛ فإذا كانوا على درجة من سوء الأخلاق، فإنهم يفسدون بذلك غيرهم، ويحدث فساد المجتمع رويدًا رويدًا حتى يُسلم الآباء إلى المجتمع أجيالًا فاسدةً مُفسِدةً.

13- الإعلام الفاسد:

إننا نعاني اليوم في هذا العصر المادي الملوث من سوء الأخلاق، فأنت تلمح في واقع هذه الأمة من الصور السيئة ما يندى له جبين المرء خجلًا، انظر إلى قاموس الألفاظ السيئة، والبذيئة الذي شاع بين الناس الآن بسبب الإعلام، والأغاني التافهة، والانصياع وراء التدمير الأخلاقي الذي يشنه أعداء هذه الأمة على أفرادها من واقع الغزو الثقافي، والفكري.

14- عدم تدريس الأخلاق:

نحن في حاجة إلى جعل الأخلاق مادة أساسية تدرس بكل إيجابيتها، ويتم تعليم السلبيات الأخلاقية، وآثارها، وهذا أهم من علوم أخرى تدرس لا فائدة منها كالموسيقى والباليه ...إلخ.

15- عدم الاهتمام بخطورة الأخلاق وعدم رفعها كشعار:

ما أصاب الأمة من بغي وعدوان ليس إلا بسبب سوء الأخلاق، وقبيح الصفات مما ينفي الإيمان عنها، ولم يدخل الناس في الإسلام بعدد لا يحصى إلا مما رأوه من أخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وما لمسوه من القرآن الذي يتحرك حيًّا واقعًا متمثلًا في المعاملة التي لم تشهد البشرية لها نظيرًا لدى أي فاتح من الفاتحين.

والأخلاق لا بد أن تكون سمة في كل مجال، وكل ميدان ففي الدعوة إلى الله لا بد من الأخلاق، وحتى في الحرب عند معاملة الأسرى، ونحو ذلك لا بد من الأخلاق التي يجب أن تتحقق في هذه الأمة، ولتكون خير أمة أخرجت للناس.

16- غياب فنيات تعليم الأخلاق:

على المعلم للأخلاق إذا وجد تجاوزًا من طلابه أن يحذرهم من العيب والطعن في الآخرين، وأن يُعوِّدهم نظافة القلب، وعفَّة اللسان، ويزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التلميح والإشارة، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ؛ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجُرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار.

17- الازدواجية في الأخلاق عند بعض الصالحين:

ومن الازدواجية في الأخلاق أيضًا: أولئك الذين نرى عليهم آثار الصلاح ولاسيما الخير، ثم نراهم في أفعالهم وتصرفاتهم يناقضون تلك السمات والآثار، حتى أصبحوا فتنةً لغيرهم، فهم لا يسيئون لأنفسهم فقط، بل ولغيرهم وربما لدينهم، فإن من يرى سوء الأخلاق منهم فسيقول: هذه أخلاق الصالحين، وهذا هو الالتزام الذي يذكرون، فعلى هؤلاء أن يراجعوا صلاحهم، فقد لا يكون لهم من الصلاح إلا الاسم والرسم.

18- عدم النظر في عاقبة سوء الخلق:

---

(1) البخاري (2554)، مسلم (1829).

من الأسباب عدم النظر في عاقبة سوء الخلق: تأمل، وتدبر، وفكر في العاقبة، والمآل الذي يجر إليه سوء الخلق، وستجد دائمًا أن سوء الخلق يؤدي إلى أسوأ العواقب، أولًا: كراهية الله سبحانه, وكراهية الرسول صلى الله عليه وسلم, وكراهية الصالحين, والقرب من النار, والبعد عن الجنة, وكراهية الخُلق, فلماذا يعمل صاحب الخلق السيئ على أن يكون مكروهًا عند الله، وعند خلقه؟!

العاقبة وخيمة, والمآل والنهاية أليمة, فإذا فكرت حملك التفكير على أن تصحح من مسارك وتصلح من وضعك بحيث تجتنب سوء الأخلاق، ومظاهره، وصوره، وتعمل على أن تكون في مكارم الأخلاق، وفي أحسن الأخلاق حتى تصل إلى النهايات السديدة، وإلى العواقب الحميدة.

19- الجهل بأخلاق القرآن:

إن الواقع في هذا الشأن مرير، يبعث على الأسى، فقد جهل كثير من الناس رجالًا ونساء شبابًا وشيبةً، بأخلاق القرآن، في الوقت الذي نشط فيه أعداء الإسلام بنشر الغزو الأخلاقي المركز، والمختلف الوسائل، والمتعدد القوالب، في مجتمعات المسلمين وأسرهم، فعمَّ الفساد والفِسق، وانتشرت المخالفات والمنكرات، وساد سوء الأخلاق، وقلة الحياء في سلوك كثيرٍ من الناس، ومعاملاتهم.

20- الصاحب ساحب:

التربية الفاسدة المغذية للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة، والغرائز الناقصة، وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم، وتقليدها لأعمالهم، وتقلدها بعاداتهم، أو باستماع إغواء ذوي الأهواء، وتمويهات أرباب الأغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للأفكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة، التي ينبعث منها سوء الأخلاق المؤدي إلى فساد المعيشة؛ فللنفوس علل وأمراض كما للأبدان ذلك.

ومن ثَمَّ وُضِعت علوم التربية والتهذيب لتحفظ على النفس فضائلها، وتردَّها عليها إن اعتلت، وانحرفت عنها إلى جانب النقص والاعوجاج.

21- ضعف الإيمان:

إن سوء الأخلاق مردُّه إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه عياذًا بالله، والشخص المعوج في السلوك هو الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، فإن الإيمان القوي يُكسب الخُلُق الفاضل.

22- عدم الاهتمام بترسيخ الأخلاق بصورة عملية:

إن حسن الخلق، وطيب المعشر، لا يظهر في خطبة جمعة، أو إلقاء محاضرة، أو تأليف كتاب؛ إنما هو ممارسة عملية، وخُلُق فعلي، يظهر في تصرفات الفرد، ومواقفه.

فهو سماحة في المعاملة، وعفو عن الإساءة، وبشاشة في الوجه، وطيب في الكلام، ورقة في العبارات، ورحمة بالضعفاء، وإجلال للوجهاء، واحترام للعلماء.

وهو كذلك، كف الأذى، وبذل الندى، ولين الجانب، وحسن الظن، والتماسُ العذر، وتتبعُ الحسنات، وتواضع مع الإخوان، وتغاضٍ عن السيئات، وترفعٌ عن الانتقام.

23- عدم غرس الأخلاق من خلال القصص القرآني:

إن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم، والأصول العقدية، والتوجيهات الأخلاقية، والأساليب التربوية، والاعتبار بالأمم والشعوب، والقصص القرآني ليس أمورًا تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين، وإنما هي أعلى وأشرف وأفضل من ذلك؛

فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد والعلم، ومكارم الأخلاق، والحجج العقلية، والتبصرة والتذكرة، والمحاورات العجيبة.

وأضرب لك مثلًا بقصة يوسف عليه السلام، متأملًا محاسن الأخلاق التي عُرضت في مشاهدها الرائعة، وقال علماء الأخلاق، والحكماء: "لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين، ورجال أعمال قائمين، وفضلاء مرشدين هادين، لهم شروط معلومة، وأخلاق معهودة".

24- عدم إضافة الدين للمجموع الكلي في أغلب المراحل التعليمية:

وهذا الأمر جعل الدين مهمشًا، وجعل النبراس المضيء لأبنائنا ينطفئ؛ فلم يعد هناك اهتمام بدروس الدين، وكيف لجيل لا يعرف دينه يمكن أن يتحسن خُلُقه؛ فالمصدر الأساس للأخلاق من القرآن والسنة لا يُدرس إلا بشكل مقنن، ولا يتم التوعية الكافية للطلاب به وهذا كفيل بجانب العوامل الأخرى أن يكون الجيل بأكمله جيلًا بدون أخلاق، أو جيلًا الخلق فيه على شفا حفرة من الانهيار، وخاصة مع وجود التيار الإعلامي الجارف من أعداء الدين لتدمير شباب الأمة، وفتياتها، وأتصور أنهم نجحوا حتى الآن في ذلك، وهذا مشاهد في أخلاق كثير من الشباب، والفتيات اليوم، ونأمل أن يتغير الوضع غدًا إلى واقع أفضل.

25- عدم أخذ أبنائنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لهم:

فنعم القدوة بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدًا يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خَدَمَه، ولم يقل لخادمه: أفٍّ قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره.

26- عدم أخذ الحِيطَة والحذَر الكافيين من خداع اليهود بمجتمعاتنا المسلمة:

إن الحيل مترامية الأطراف لإسقاط الهوية الإسلامية لشعوبنا، واليهود يفعلون المستحيل وينفقون المليارات ليحققوا أهدافهم لتدمير الأمة الإسلامية، ووسائلهم في ذلك معروفة منها الإعلام، وتدمير اقتصاد الدول، وبذل المستحيل لإشعال الفتن، وإثارة الحروب، ...إلخ.

و"لا يشك إنسان، ولا يختلف اثنان في أنّ لليهود عطاءً في هذه الحياة -عطاءٌ متميّز، عطاء لا نهاية له- من سُوء الأخلاق، وفساد الطويَّة، والحقد، والأنانية، والكبر، والمكر، والدهاء، والجمود، والجحود، والحجاج، واللجاج، والتضليل، والتدليس، والكفر، والفِسق والغدر، والخيانة، ونقض العهود، والوعود، والمواثيق، والنفاق، والجبن، والقسوة.

ومهما عدَّدنا من مساوئ الأخلاق، فإن كلمة (يهودي) تفوقها بكثير، بالرغم من أن كلمة {هُدْنَا} [الأعراف: 156] في القرآن أي تبنا وعدنا إلى الله، فإن اسمهم على غير مسمى.

ويكفي أن نَصِفَ واحدًا من الناس بأنه يهودي لكي نفهم من وراء هذا الوصف كُلَّ ما لا يُحصى ولا يُعَد من الصفات الذميمة.

من هنا كان اليهود هم العدو الأوَّل لكُلِّ بني الإنسان، ورحم الله الإمام ابن القيم حين وصفهم بالأمَّة الغضبيَّة فقال: "فالأمة الغضبية هم اليهود: أهل الكذب والبُهت والغدر والمكر والحيل، قتَلَة الأنبياء، وأكَلَة السُّحت والرِّبا والرِّشَا، أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، ودينهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم ولو نبيًّا حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة، ولا لمن استعملهم عنده نصيحة، بل أخبثهم أعقلهم، وأصدقهم أغشُّهم، وسليم الناحية - وحاشا أن يوجد فيهم وبينهم- ليس بيهودي على الحقيقة، أضيق الخَلْق صدورًا، وأظلمُهم بيوتًا، وأنتنهم أفنيةً، وأوحشهم سَحَنة[1]، تحيتهم لعنة، ولقاؤهم طيرة، شِعارُهم[2] الغضب، ودِثارُهم[3] المقت"[4].

27- تفشِّي النفاق في بعض أفراد الأمة الإسلامية:

من الصفات الذميمة، والأخلاق اللئيمة، التي تفشت في مجتمعات المسلمين عامة في هذا العصر، وفي مجتمعنا المصري بصفة خاصة، خلف الوعد، والذي عدَّه رسولنا صلى الله عليه وسلم علامة من علامات النفاق، وآية من آياته، وسمة من سمات سوء الأخلاق، فقال: «آية المُنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤتُمِن خان»[5].

ورسولنا الكريم عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم لم يأمر بشيء إلا كان أول العاملين به، ولم ينه عن شيء إلا كان أول المنتهين عنه، وكان يعلِّم أصحابه بأفعاله وتصرفاته قبل أقواله، ولهذا كان هو وأبوه إسماعيل عليهما السلام آيةً في صدق الوعد، حتى عُرِفا بذلك واشتهرا: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: 54]. فكثيرًا ما تُعطي موعدًا لأناس ويخلفونه، وكثيرًا ما تأخذ عهودًا ومواثيق من أناس، ولا حياة لمن تنادي، والله المستعان.

28- انشغال الآباء والأمهات في أعمالهم وعدم توفير وقت لتربية أولادهم:

من الحيل بالأمة التي تُعد لها هو السعي لأن تعمل المرأة، وتنشغل عن بيتها، وعن تربية أولادها، وتُصبح القنوات الفضائية، والإنترنت هو المربي، ويفعل ذلك العدو بمهارة حيث المكر بالاقتصاد الوطني من جهة، وإظهار العداء من جهة لضغط الميزانية لشراء الأسلحة اللازمة للتجهز لأي حرب قد تحدث، فلا فائض في الميزانية للعمل على الاهتمام بالشباب ومصالحهم، أو تعليمهم، أو بناء مشروعات اقتصادية لهم إلا في أضيق الحدود، وبالتالي تأخر سن الزواج، وصعوبة ذلك في مجتمع شعاره الفقر، ثم من جهة أخرى المكر بعقول شباب وفتيات الأمة من خلال وسائل الإنترنت، فتزداد الفواحش، وتسوء الأخلاق، ولكن لا بد من وقفة، فلماذا لا يتم استبدال عمل

---

(1) السَّحَنة: بشرة الوجه وهيئته وحاله. ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (209/2)، النهاية لابن الأثير (348/2).

(2) الشِّعار: ما وَلِيَ الجسدَ من الثِّياب. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1206/2).

(3) الدِّثار: ثوبٌ يُلْبَس فوق ما يلي الجسدَ من ملابس. ينظر: المصدر السابق (723/1).

(4) هداية الحيارى، لابن القيم (227/1).

(5) البخاري (33)، مسلم (59).

الشباب العاطل بعمل النساء؟! مع إعطاء الفرصة للمرأة أن تعود لدورها في تربية أولادها كما كانت من عدة عقود، فالمعاش المبكر لهن واستبدال الشباب بهنَّ سيحلُّ كارثة قد تقع وتحلُّ بنا بسبب ضياع جيل الشباب بين براثن مكر أعداء الأمة.

29- قلَّة ذكر الله عز وجل:

قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: 36-37].

فمن لم ينشغل بالحق انشغل بالباطل لا محالة، وقُيضَ له شيطان يصده عن كل خير، ويصده عن الأخلاق الحسنة.

وجدير بنا أن نقف وقفة جادة لنعرف كيف يتم ترسيخ القيم الأخلاقية، وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي، إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني
ركائز ترسيخ القيم الأخلاقية

إن ترسيخ القيم الأخلاقية يعتمد على مجموعة من الركائز والأعمدة، والتي بها يقوم بنيان القيم الأخلاقية في المجتمع، وهذه الركائز بالدرجة الأولى هي أساس بناء أي قيمة أخلاقية، وبدون هذه الركائز لن نجد مجتمعًا أخلاقيًّا، ولن نجد أي أمل في ترسيخ الخُلق في الأمة الإسلامية، وهذه الركائز هي:

أولًا: الأسرة.
ثانيًا: المدرسة.
ثالثًا: الجامعة.
رابعًا: المسجد.
خامسًا: الإعلام.
سادسًا: الشارع.
سابعًا: مراكز التدريب الخُلقية.
ثامنًا: مراكز الشباب والرياضة.
تاسعًا: مراكز محو الأمية الأخلاقية.

أولًا- الأسرة:

عناية الإسلام بالأسرة المسلمة:

ولما كانت الأسرة هي نواة الأمة وأساسها، فقد عَنِيَ الإسلام بها عناية فائقة تحفظ كيانها وتجعلها متماسكة متجانسة، قوية الإيمان محكمة البناء، محاطة بقواعد متينة من أحكام دينه وآدابه، وذلك لا يتأتى إلا بزوجين صالحين، يختار كل منهما الآخر على أساس من الدين والتقوى، والخلق القويم، وبهما تبدأ الأسرة المسلمة الصالحة التي تُرضي ربها، بأداء الحقوق والقيام بالواجبات، ومن ذلك التنشئة الصالحة على دين الله وطاعته.

ثم إن بناء الأسرة يستغرق جهودًا عظيمة ابتداء بالبناء الأخلاقي، ومن المعروف أن موقف الإسلام من المرأة يعد رائدًا متميزًا مقارنة بالأمم الأخرى قديمًا وحديثًا، ومن الواضح أن الأسرة المسلمة يتربى أفرادها أولًا تربية أخلاقية، ثم لا يكون تأسيسها لأسرة جديدة عشوائيًّا، بل يخضع لاختبارات من قبل أهل الفتاة، وكذلك عند أهل الزوج حتى إذا تكونت الأسرة واكبها الإسلام بالتوجيهات، والنصح، وأحاطها بالأهداف السامية العظيمة.

ومن هذه المنطلقات تبنى الأسرة المسلمة: اختيار المرأة ذات الدين، والرجل المرضي في دينه وخلقه. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إن المرأة تنكح لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظْفَر بذات الدين تَرِبَت يداك»[1].

وإذا أخذنا الزوج ورب الأسرة وجدنا في اجتماعه اليومي بأسرته، وتركه العمل، والسعي وراء لقمة العيش تأكيدًا على مبدأ المودة والرحمة التي تبنى عليها الأسرة المسلمة، وينعكس هذا اللقاء اليومي على أفراد الأسرة، وخاصة الأولاد؛ إذْ يتم غرس الناحية الأخلاقية من خلال القصص القرآني المُشوِّق، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة.

وفي المقابل نجد أن الأسرة المسلمة تتعرض اليوم أكثر من أي وقت مضى لحروب فكرية شرسة، ومدروسة لإحداث بلبلة فكرية أولًا، ومن ثم اضطراب في المفاهيم، وكلها ترمي للقضاء على القيم الإسلامية في البلاد، تلك المحاولات تستهدف المرأة المسلمة، وهنا نجد الدور الهامَّ للأب في الحفاظ على أسس التربية الخلقية بقوة شكيمته، وخبرته في فهم خططهم لتدمير أخلاق الأسرة، فيتم مواجهة ذلك بكل حزم.

ونَلْحَظ مساعي الغرب نحو علمنة الأسرة المسلمة، وإلى أن تكون الأسرة الغربية، وأشكالها الاجتماعية هي النموذج الجديد الذي يجب على المسلمين الاقتداء به. عمل الغرب على فصل الأسرة المسلمة عن الدين، وذلك بكسر قبضة الدين من تلك الأسرة الممتدة، وتقليص اعتماد الفرد عليها، والقضاء على تكامله معها، وتدمير سلطة الأب على أولاده، وانفلات الأبناء من الأسرة؛ حتى ينفلتوا من الجو الديني العام الذي يحيط بالأسرة، والنظر إلى كل ذلك على أنه ماضٍ يجب أن يرفض.

ومن ذلك ندرك حجم الخطر الذي يهدد الأسرة المسلمة بسبب تحرُّر المرأة من تعاليم دينها وإهمالها لواجباتها نحو أولادها، وبيتها.

---

(1) البخاري (5090)، مسلم (1466).

ولا بُدَّ أن تعي الأسرةُ المسلمة تخطيط الأعداء، ودورهم في إفساد المجتمعات، ولا بد أن تعلم نساؤنا خطوات الإفساد التي مرت بها المرأةُ المسلمة في بلادٍ أخرى، وانتهت بها إلى التهتكِ والفجور.

ولا بُدَّ أن تتعلم الأسرةُ المسلمة أحكام دينها، وحقوق كلِّ فردٍ في شريعة الإسلام، ولا بُدَّ من تربيةِ الأجيالِ على الولاءِ للدين، وجاء في ذلك تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيّع من يقوت»[1].

ويلزم أخذ أحكام الدين بقوة، لأن شريعةَ الإسلامِ قائمةٌ على التسليمِ لرب العالمين.

ولا بد من إقامة أكبر عدد ممكن من الروابط بين الشرائح الاجتماعية، وبين المهن، والقطاعات المختلفة، مثل اتحاد الشباب المسلم، أو اتحاد الأسرة المسلمة، واتحاد المعلمين المسلمين، ومثل ذلك للأطباء والمهندسين والمفكرين والناشرين وغيرهم.

ولا بد من تكوين هيئات عليا للنظر في كل ما يتعلق بالأسرة من النواحي النفسية، والثقافية والصحية، والخُلُقية، وتفعيل دور وزارات الشئون الاجتماعية للقيام بدور فاعل للاستجابة لمتطلبات الأسرة المسلمة.

ولا بد من ضرورة العمل للحفاظ على تمسك الأسرة المسلمة بأصالتها، وقيمها الأخلاقية، وهي تتعامل مع قضايا العصر.

ولا بد من الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة، وتثقيف أفرادها، وتوجيههم من خلال أجهزة الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة، ومن خلال المساجد، وخطب الجمعة، والدورات التربوية القرآنية المستمرة، أو المؤقتة، والمواعظ، والمحاضرات العلمية، والتوجيهية في النواحي الأخلاقية.

وفي ظل المؤثرات الثقافية، والتعقيدات الاقتصادية ظهرت أنماط جديدة، وتحولات في الأسرة المسلمة؛ فشهدنا بعض الاختراقات للمفهوم الإسلامي للأسرة، فضلًا عن الممارسات الخاطئة. ومن الأنماط التي ظهرت مثلًا زواج المسيار، والزواج العرفي، والزواج المؤقت، ونحو ذلك.

كما أننا لا ننكر أن ثمة اختراقات أخلاقية تمثلت في النزوع لإشباع الرغبة مع التحلل من مسئوليات الأسرة والزواج، فكان أن انتشرت "الدعارة" في بعض الدول، فضلًا عن الإباحية التقنية، وغير ذلك فلا بد من الوقوف بقوة لحل هذه القضايا الأخلاقية.

أما الفتاة المسلمة فإن عليها مسئولية، فهي تحمل رسالة عظيمة، فالمرأة مصدر خير عظيم أو خطر جسيم. وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسئولة عنهم»[2].

فهي إن أدركت واجبها ومهمتها في هذه الحياة المهمة التي تتفق مع بنيتها وطبيعتها وفطرتها، وما أعدت له، وقامت بهذا الواجب الذي رسمه لها دينها العظيم، ساهمت مساهمة كبيرة في إسعاد المجتمع، والمحافظة على توازنه وترابطه والحفاظ عليه من التمزق والانهيار والتدمير، وإذا ما تعلمت الفتاة المسلمة فإن الفرض في حقها أن يزيدها العلم تواضعًا وحشمة واستقامة، ومعرفة لواجبها الذي لا يمكن أن يقوم به

---

(1) أخرجه أحمد (6495)، أبو داود (1692)، الحاكم (8526)، وقال: صحيح الإسناد.
(2) البخاري (7138)، مسلم (1829).

غيرها من بناء الأسرة المسلمة داخل بيتها، وإيجاد البيت المسلم المثالي، وتربية الرجال بالإيمان القوي، والخلق المتين، وذلك أعظم خدمة تقدمها المرأة لمجتمعها، ودينها، وأمتها.

أما إذا انحرفت المرأة عن هذا الواجب، وتنكبت الطريق، وتنكرت لهدى الله عز وجل وأصبحت لعبة في أيدي السفهاء، وكرة في أقدام الشهوانيين، يتخذون منها وسيلة للفتنة وتعطيل المجتمع من منابع الخير، ويسعون -بتضليلهم لها- إلى إشقائها، وضياعها، وإلى انفراط حبل الأسرة بتعطيل البيت، والفرار من القيام بالواجب فيه، فإن المرأة بذلك تصبح أداة هدم وشقاء، ومصدر خطير جسيم على نفسها، وعلى الشباب، وعلى المجتمع، وعلى مستقبل الأمة من حيث لا تدري.

إن على الفتاة المسلمة الحريصة على نفسها، وأخلاقها، وأمتها أن تختار الزوج الصالح، وأن تُحسن الاختيار، وأن لا يكون اختيارها على أساس نزوة الشهوة، أو العاطفة، أو النظرة العابرة، بل على الدقة، والتمحيص، والمشورة لأهل الخير، والصالحين من أهلها، حتى تضمن لنفسها عيشًا كريمًا في ظل رجل صالح يقودها إلى الخير، ويحميها من الشرور العادية عليها.

كما أنه من المهم الضروري معرفة المسلم للأبواب التي يلج منها الشيطان إلى الأسرة المسلمة ليقضي على بنيانها الأخلاقي، لكي يكون على حذر منها، ويقوم بسدها على حد قول القائل:

عَرَفتُ الشرَّ لا للشرْ.... رِ لَكِنْ لتوَقِّيهِ

ومَنْ لا يَعرِفِ الشرْ ... رَ مِنَ الناسِ يَقَعْ فِيهِ[1]

أكثرُ الناس يقلِّد بعضُهم بعضًا بدون وَعْيٍ أو بصيرة، وإذا كان الأمر كذلك فإن على رب الأسرة المسلمة مسئولية كبيرة وتبعة جسيمة، تَفْرِض عليه أن يكون قدوة حسنة لمن هم تحت يده، ومن جملة ذلك: الاعتدال، والتوسط في الإنفاق، وعدم الإسراف فيه، حتى يتأسى به من حوله.

فهذه الأسرة المسلمة لبنة عظيمة في صرح الأمة الإسلامية، فينبغي أن تعي الأسرة الغاية التي من أجلها أُنشئت، فليست مرتعًا للطعام، والشراب، والاستمتاع الجسدي فحسب، وإنما يجب أن يكون الزوج عونًا لزوجته على طاعة الله سبحانه، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، يا حبذا لو أطلق يدها لتنفق في سبيل الله، ولا حرج على الإطلاق إن أخبرها بأنه قد سامحها لو أنفقت شيئًا من ماله في مرضاة الله سبحانه، حتى ولو كانت النفقة على أهلها إن كانوا يستحقون هذه النفقة، ويعاونها على قراءة القرآن؛ يأخذ بيدها إلى بيوت الله سبحانه وتعالى يستمع معها إلى شيخ من أهل العلم والفضل، أو يرى معها شيئًا يذكرهما بالله عز وجل.

يا حبذا لو جلس مع امرأته يومًا وجمع أولاده، وقال: هيا بنا لنجعل لنا وردًا يوميًّا مع كتاب الله سبحانه وتعالى؛ هيا بنا لنجعل لنا وردًا يوميًّا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على الأقل لو اجتمع معها، ومع أولاده في الأسبوع مرة ليجتمعوا جميعًا على كتاب الله، أو على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على أي ذكر

---

(1) ينظر: التبصير في الدين، للطاهر الإسفراييني (ص15).

من الأذكار، حتى ولو خرج بها في الخلاء، وفي أماكن المنتزهات، أو في أماكن جميلة، وقضى معها وقتًا جميلًا، وبعد ذلك قال: هيا بنا لنجلس مثلًا مع كتاب الله، لنستمع إلى شريط من أشرطة أهل العلم أو غير ذلك.

وإذا نظرت إلى المُعلم، والمربي عليه الصلاة والسلام وجدت أنه ما كان يأمرهم بأمر إلا كان أول الممتثلين به، وما نهاهم عن شيء إلا كان أول المنتهين والمجتنبين له، فكان قدوة مثلى في الأخلاق والقيم، فتعلقت به قلوب أصحابه، وأحبته، وعملت بكل ما أرشد إليه، وحث عليه، وهذه هي التربية بالقدوة التي هي من مهمات الأسرة المسلمة.

ثانيًا- المدرسة:

نموذج المدرسة الأجنبية:

لقد كثُر في مجتمعنا نماذج المدارس الأجنبية الإنجليزية نجد، والألمانية نجد، والفرنسية والإيطالية و.. وكل من هذه المدارس تُدرِّس ثقافاتها بما فيها من أمور غريبة على مجتمعنا المسلم؛ فتجد العري، والتحلل، وكل ما لديهم من سلبيات الحضارة الغربية التي تطمس هويتنا الإسلامية، ولا نجد مثلًا من خريجي هذه المدارس من هو قد تعلم منهم علوم الفضاء مثلًا التي تقدموا فيها فإنهم لا يعلموننا إلا ما يريدون من علوم لأهداف استعمارية، وليس لديهم أدنى اهتمام بإفادة الجيل الصاعد إلا بما يريدون من علوم تعود عليهم هم بالنفع المادي الناتج من مصروفات هذه المدارس ثم لهم رغبة دفينة في تدمير لغتنا العربية، ونشر لغاتهم الأجنبية ونشر ثقافاتهم، وليت التعليم يكون بما لديهم من موروث حضاري تقدموا به، وسبقونا فيه، ولكن للأسف لا يعلموننا إلا كل ما نصبح به تبعًا لهم منقادين لا يعطوننا أي أسرار عن علومهم إلا بما يجعلنا مستهلكين لا منتجين، وهذا واضح بالتجربة لكل ذي عقل ممن شاهد في العالم العربي تجربة المدرسة الأجنبية.

نموذج المدرسة الإسلامية:

في مقابل هذه التحديات لماذا لا يكون هناك نموذج المدرسة الإسلامية التقنية التي تهدف لبناء جيل كله فخر واعتزاز بماضيه المشرق الباهر؛ عندما كانت الأمة الإسلامية خير الأمم، وعلومها هي منبع العلوم، فنأمُل في مستقبل مضيء مليء بالرغبة في التغيير للأفضل والأجمل والأحسن للسعي إلى الأمام؛ لنكون الرواد كما كانت الأمة الإسلامية من قبل مدرسة إسلامية تقنية تدرس التكنولوجيا والأخلاق جنبًا إلى جنب، تُدرس العلوم النافعة، وتحذر من انحلال الغرب لبناء جيل واعٍ يعرف الخُلُق الحسن من الخلق الذميم، ويعرف كيف يستخدم التكنولوجيا الحديثة فيً البناء لا في الهدم لتكون تكملةً للمدرسة الإسلامية الأولي.

المدرسة الإسلامية الأولى التي كان أستاذها، والمعلم فيها سيد ولد آدم, المحفوظ بحفظ الله, والمعصوم بعصمة الله, والمؤيد بوحي الله, والهادي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وسلم ولأجل ذلك حصر الله رضاه والدخول في الجنة لمتبعيه بإحسان لكل من يأتي بعده, {والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه} فهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأنهم هم الذين حبب إليهم الإيمان وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأولئك هم الراشدون. وهم القدوة الحسنة، والمحك، والمعيار لمعرفة الحق من الباطل, والهدى من الزيغ، والضلال.

المدرسة الإسلامية، يجب أن تجد المال اللازم لمساعدة أولئك المسئولين ليؤدوا عملهم الذي اختاروه، وأفضل الإعانات لهذه المدارس إيجاد مصدر مالي دائم ينفقون منه على مصالح التعليم دون انقطاع، وذلك بوقف بعض العقارات، وجعل رَيْعها عائدًا إليها، تنفقه على وسائلها التي اتخذتها لنشر الإسلام بما فيه من قيم، وأخلاق بالإضافة إلى العلوم الأخرى.

المدرسة الإسلامية تستهدف تدريس الطلاب أصول الدين الإسلامي، وتعاليمه، وأن المسلمين هم أصل الحضارة والعلوم، فضلًا عن العلوم الدنيوية، والمناهج التي تقرها وزارة التربية والتعليم، مع تعلم اللغات الشرقية والغربية بما يفيد الإسلام والمسلمين.

المدرسة الإسلامية نريدها رائدة في كل مجال من مجالات البحث الإنساني، وأن تكون هي القالب الذي تصاغ فيه الشخصية الإنسانية وخصائصها، وهي المُخطط لكل إنجازات الأمة في الثقافة والحضارة.

ونريد من هذه "المدرسة" أن تراعى برنامج الإسلام الذي يبدأ يومه بصلاة الفجر، وينتهي بصلاة العشاء. وأن يكون نشاطها التعليمي عملية معايشة يتعايش فيها الطالب والمعلم بصفة دائمة، ويعملون معا، وليس أمامها إلا هدف واحد: هو تطبيق سنن الله في الخليقة من تعمير للأرض والاستخلاف فيها.. ويكون منهجها التربوي يقوم على شخصية المدرس المفعمة بالتقوى والأخلاق، والتلميذ الذي عليه أن يحاكى مدرسه.

لقد تخرج في المدرسة الإسلامية الأولى رجال قادوا الإنسانية إلى أسمى مثال، وأعز اعتبار وأعلى منال؛ فظهرت جوانب الإشراق في التشريع الإسلامي في مجالات العبادة، والثقافة والولاية، والتقنين، والاقتصاد، وسائر المعارف العقلية، والنقلية مما شهد به الأعداء، وهم أبعد ما يكونون من الشهادة بالحق، والاتصاف بالإنصاف، فلقد قال بعضهم: إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن أوروبا مَدِينةٌ للمسلمين بخدمتهم العلمية، تلك الخدمة التي كانت العامل الأكبر في النهضة العلمية الأوروبية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ونحن نريد بناء مدرسة إسلامية جديدة على نفس النمط من البحث العلمي المتجدد المتمسك بالهيكل الإسلامي الأخلاقي القديم.

نريد مدرسة إسلامية تقوم بتربية المراهق بشكل علمي منهجي إسلامي سليم بعيد عن الخبث الغربي، والتحلل، وضياع الهوية الإسلامية.

تهدف المدرسة الإسلامية إلى توفير جوٍّ علمي يساعد الأساتذة والمعلمين على أن يفكروا ويؤلفوا ويبتكروا، فيضيفوا بكل جديد من العلوم المختلفة بصفة مستمرة.

نحن بحاجة لأن يعود الأزهر الشريف إلى سابق مجده، وعزِّه، وترسيخ الأخلاق فيه بأن يكون هناك كلية للأخلاق الإسلامية لتنطلق الخطا نحو أن يكون هناك مدارس إسلامية لتعليم الأخلاق في كل أنحاء العالم الإسلامي؛ بحيث يكون هناك كوادر؛ مدرسون ومعلمون للأخلاق، يكون بهم بناء سواعد جيل جديد قوامه ورأس ماله الأخلاق الإسلامية، والتي بها كانت الفتوحات في الغرب عندما تعاملنا بأخلاقنا في التجارة في سابق العهد القديم.

نحن بحاجة إلى عودة الكتاتيب في كل ربوع البلاد الإسلامية، فأعداء الدين عملوا على إيقافها إلى حد كبير؛ لأنهم وجدوا التقدم الإسلامي الكبير يبدأ من الطفل حيث لا يتعدى عمره سبعة سنوات، ويكون حافظًا لكتاب الله وهذه ثروة كبيرة من الكلمات عندما يحفظها الطفل تجعل قوته الذهنية نشيطة، وقادرة على استيعاب، علوم أكثر بسبب التمرس على الحفظ من الصغر، ونقول أن أعداء الدين فطنوا لمدى قوة الطفل المسلم بسبب حفظه للقرآن؛ فحاربوا نشأة الكتاتيب بقوة، ونحن الآن في حاجة لإعادتها بشكل منظم، وعلى أوسع نطاق لنعود لما كان عليه أسلافنا من قوة الحفظ، ونشاط الذهن، لا أن يمتلأ عقول أولادنا بألعاب الجيم التي تقتل فيهم قوتهم ونبوغهم.

والحق ما شهدت به الأعداء: "نشرت جريدة الأهرام على لسان الباحثة سهير السكري، وهي باحثة مصرية تعمل في مجال اللغويات بجامعة "جورج تاون" الأمريكية نقلًا عن كتاب (الإسلام المقاتل) للكاتب الإنجليزي أيه جانسر: إن الباحثين الإنجليز والفرنسيين تحيروا في أسباب صلابة الإنسان العربي التي مكنته من فتح ما حوله من بلدان وحتى حدود الصين والهند ... فأجروا دراسات مكثفة أسفرت عن الوصول إلى أن تحفيظ الطفل العربي القرآن الكريم بما فيه من فصاحة تراكيب وصيغ بلاغية قد حمى الإنسان العربي عن ازدواجية اللغة والوقوع في براثن العامية فضلا عما أكسبته قراءته للقرآن الكريم وحفظه له من طاقة نضالية وصلابة خلقية"[1].

نحن نحتاج للمدرسة الإسلامية التي تهتم بتزكية النفوس كمرحلة إعداد أوَّلية، وعندما تصبح قلوب تلامذتها أوعية طاهرة تصلح لإلقاء نور العلم فيها، تبدأ المرحلة الثانية، وهي التعليم الشامل لعلوم القرآن الَّتي تضع علوم الحياة في إحدى كفَّتي الميزان، بينما تضع علوم الدِّين في الكفَّة الأخرى، ليكونا مطلبين متعادلين يحقِّقان سعادة المؤمنين، ونجاحهم في الدارين.

وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: {ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة} [البقرة: 201]. وممَّا يؤيِّد هذه الحقيقة ويدعمها أن أوَّل ما نزل من وحي الله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: {اقرأ باسم ربِّك الَّذي خَلَق * خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق * اقرأ وربُّكَ الأكرم * الَّذي عَلَّمَ بالقلم * عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم} [العلق: 1-5] فكان الأمر بالقراءة الَّتي تعتبر من أبجديات العلم والتعليم يرمز في هذا الخطاب إلى نوعين من العلوم: علوم القلب الَّتي تؤخذ عن طريق إدمان ذكر الله وترديد اسمه، وعلوم الحياة الَّتي تؤخذ عن طريق القلم، وتنتقل من جيل إلى جيل بواسطته.

المدرسة الإسلامية المستقبلية هي إحدى الأطروحات التربوية التي ينشدها التربويون العرب والمسلمون لمجابهة تلك الأخطار والتحديات، حيث إن المطلوب منها شيئان؛ الأول: يتعلق بالكيفية التي يتم من خلالها التعامل مع تلك الأخطار، والتحديات، والأمر الآخر: مراعاة الخصوصية والذاتية العربية الإسلامية من الناحية الأخلاقية.

---

(1) اللغة العربية وكيف ننهض بها، للدكتور أسامة الألفي (ص20).

نحن في حاجة إلى أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بالقيام بعمل الدعوة اللازمة لجمع الأموال لعمل الأوقاف الخيرية لدعم المدارس الإسلامية؛ التي أساسها الأخلاق الإسلامية مع الاهتمام بالناحية التقنية.

لو لاحظنا المدارس في اليابان نجد أنها "تُعلم التلاميذ النظام، ومبادئ الأخلاق، والأمانة والشرف، وتغرس هذه المبادئ في نفوس التلاميذ بطريقة غير مفتعلة، وإنما بأسلوب مقنع وعلمي. كما أن المدرس الياباني له قداسة خاصة عند التلاميذ والطلاب، وهو بدوره لا يكتفي بالتدريس، بل يعتبر نفسه مصلحًا اجتماعيًّا خاصة في مراحل التعليم الأولى، حيث يتعرف على جميع المشاكل التي تواجه التلميذ في المدرسة أو في البيت. ويقوم أحيانًا بزيارة التلميذ في بيت أسرته لمعرفة جوانب المشكلة التي تواجهه"[1].

وبما سبق تكون المدرسة من جهة، والأسرة من الجهة الأخرى لغرس القيم الأخلاقية، والتي بها تسمو النفوس البشرية، ونتطلع بأن تكون هذه النفوس الشامخة بناء لأمة إسلامية تعيد مجدها، وتتقدم للأمام بخطوات راسخة.

و"باختصار تأخذ المداخل الرئيسية، وطرق التربية الخلقية في الإسلام شكل الممارسة، التعود، القدوة، العظة، القص، الحوار، الثواب والعقاب"[2].

ثالثًا- الجامعة:

ونحن في مجتمعاتنا المعاصرة في أشد الحاجة لجامعات إسلامية تُدرس الأخلاق في مناهج كلياتها؛ فكل كلية يلزم أن يضاف إلى موادها المدروسة مادة الأخلاق حتى الكليات العملية في أشد الحاجة لذلك؛ فتعلُّم أخلاقِ المهنة التي سيقوم بها الخريج شيءٌ ضروريٌّ للغاية، إذ إنه ما الفائدة من تعلُّم أساسيات مهنة ما بدون تعلُّم أخلاقيات هذه المهنة؟! وترسيخ القيم الأخلاقية للدارس في هذه الكلية، بالإضافة إلى ضرورة إضافة كلية في كل جامعة تُعنَى بترسيخ القيم الأخلاقية لتخريج كوادر تُدرس هذه القيم الأخلاقية في مدارسنا ومعاهدنا، فإن أمةً بلا أخلاق -كما سبق وتم توضيحه- هو اقتصادٌ يعمل بلا نتائج مجدية.

وكما أقترح أيضًا بجانب كلية الأخلاق، وهذا معمول به في جامعات عربية، لماذا لا تكون هناك معاهد متخصصة للتدريب على بناء الشخصية المسلمة الملتزمة بأخلاق سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم؟

نموذج الجامعة الإسلامية:

أ- تتكوَّن كوادر الجامعة من أساتذة مدربين على أعلى مستوى من الخُلُق القويم الذي يتم أخذه من المدرسة المحمدية والقرآن الكريم، ويكون لديهم إلمام كامل بمدى تأثير ترسيخ القيم الأخلاقية على جميع نواحي الحياة اقتصاديًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا، ويكون لديهم الهمة العالية على أن يكون هذا شعارًا للمجتمع بأثره، ولديهم الاستعداد

---

(1) د. محمد عبد القادر حاتم، أسرار تقدم اليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية 1997م، رقم الإيداع بدار الكتب 13384، (ص447، 448).

(2) د/صديق محمد عفيفي، التربية الخلقية في المدرسة المصرية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، رقم الإيداع بدار الكتب 13484، (ص34، 33).

الكامل لبذل أقصى طاقة ممكنة لتكون القيم الأخلاقية التي سبق ذكرها واقعًا عمليًّا ملموسًا داخل المجتمع الإسلامي.

ب- يكون لدى خريجي الجامعة من الكفاءة ما يستطيعون به أن يتعاملوا بهذه القيم الأخلاقية في المجتمع؛ ليكونوا قدوةً لمن يتعاملون معهم.

ج- السعي في تعميم هذه القيم الأخلاقية على جميع الجامعات في جميع أقطار الدول الإسلامية شرقها وغربها، وخاصة الدول العربية والدول النامية.

د- تحفيز خريجي كليات الأخلاق على القيام بعمل رسائل ماجستير ودكتوراه في كيفية جعل القيم الأخلاقية واقعًا عمليًّا ملموسًا في مجتمعاتنا.

هـ- الاهتمام بالمؤلفات والمنشورات الدورية التي ينبغي أن يتم نشرها فيما يتعلق بترسيخ كل خلق من الأخلاق الحسنة السابق ذكرها.

و- القيام على عمل موسوعة كاملة للأخلاق، ومدى أهمية ترسيخها داخل المجتمع، والسعي قدمًا لأن تصبح جميع المؤلفات التي تم وضعها في هذا الجانب الأخلاقي واقعًا عمليًّا ملموسًا في المجتمع بأثره.

ز- تكثيف إلقاء المحاضرات التي تبين مدى أهمية دور ترسيخ القيم الأخلاقية في مجتمعاتنا، وأثر ذلك على النواحي الاقتصادية، والاجتماعية.

ح- إثارة الانتباه إلى أهمية هذا النوع من العلوم، وتدريسه في الكليات والجامعات، فهذا العلم هادف، وأفضل بكثير من أن ننفق في كليات تعليم الموسيقى، والباليه الإيقاعي.

ط- السعي في تعميم هذه الأفكار السابق عرضها على جميع جامعات الدول العربية، والإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء المعمورة.

ي- ترسيخ خلق الانتماء للأمة الإسلامية لدى الطالب الجامعي، وهذا الخلق سيجعله عندما يصل لأي درجة من النجاح العلمي -ولو كان في أي جامعة أوروبية- ذاكرًا لأمته، ومن ثَمَّ يكون العائد من نجاحه على الأمة، لا كما تفعل الطيور المهاجرة من أبناء الأمة من تقديم عقولها للغرب ليعملوا، ويتفوقوا، ثم يحاربونا بنتاج عقول أبنائنا، وسواعدهم.

ك- العمل على نشر مجلات دورية مصدرها الجامعة الإسلامية بعنوان "أخلاق أمتنا الإسلامية" يُنشر فيها الأخلاق الحسنة، وكيفية تدعيمها، وترسيخها في المجتمع، وكذلك الأخلاق الذميمة والتحذير منها، وطرق علاجها، والطرق الممكنة لأن يكون الواقع العملي لمجتمعنا هو أخلاق القرآن كما كان عليه سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم.

رابعًا- المسجد:

عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؛ كان أول ما قام بعمله هو بناء المسجد؛ فالمسجد هو المدرسة الأولى للصحابة، وفيه تتأسس أخلاق الرجال والنساء والأطفال؛ لكن يجب أن يتسم المسجد بالعديد من السمات حتى يمكن أن يقوم بدوره الأخلاقي، وإلا قد يصبح مسجد ضرار، ويلزم هدمه، ومن سمات المسجد الذي نعنيه:

1- أن يكون مسجدًا أُسس على تقوى من الله.

2- أن يكون خاليًا من البدع.

3- أن يتم اختيار إمامه بعناية ويكون نعم الخلق، ونعم القدوة، ونعم المعلم.
4- أن تختار الخُطب في المسجد على أساس احتياجات المجتمع من مواعظ خلُقية.
5- أن يتم دعم المسجد بخطباء ذوي خلُق في اختيار كلامهم وسمتهم ومعاملاتهم.
6- خطبة الجمعة بمثابة العلم، والنور الذي يشع من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
7- القدوة عامل مؤثر جدًّا، ففعل رجل أمام ألف رجل خيرٌ من كلام ألف رجل لرجل.
8- لا بد من الاستفادة من هذه المساجد في دروس دورية لتعليم الأخلاق، وترسيخها.
9- لا مانع من عمل دورات تعليمية داخل المساجد تعلم الأخلاق بشكل عملي.
10- المسجد مدرسة محفوفة بالقدسية، ويلزم تزويدها بنظام الكتاتيب كما كان في القدم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إلزام كل شيخ يعلم الأطفال القرآن أن يجتاز اختبارًا في الأخلاق؛ لأنه مُلزم بتعليم هذا الجيل الخلق القرآني مع التحفيظ؛ فما أكثر الحفظةَ! ولكن ما أقلَّ العاملين بخلُق القرآن! فنسأل الله الثبات على الأمر، والسلامة من كل إثم.
11- ضرورة إعطاء عناية لأطفال كل حي لينالوا قدرًا كافيًا من الأخلاق حتى لا يتركوا هكذا في الشوارع فريسة للقدوة السيئة.
12- تعميم فكرة ترسيخ القيم الأخلاقية لتكون شعار كل صاحب منبر، لنخرج بمجتمع قائم في معاملاته على القيم والأخلاق، بما سيؤثر اقتصاديًّا، واجتماعيًّا.
13- عمل رحلات للمتميزين خلقيًّا هم يقودون أنشطتها مع باقي الأولاد لزرع معنى القدوة الحسنة، وذلك من خلال المسجد.
14- عمل مسابقات في السلوك والأخلاق كالمسابقات التي تُجرى في القرآن الكريم.
15- التركيز على الجانب العملي في تطبيق أخلاق القرآن، وخاصة بعد سن السابعة، وأكثر وأهم من ذلك بعد سن البلوغ.
16- التعرُّف من أولادنا على الأخلاق السيئة التي يفعلونها، ومحاولة علاجها.
17- عمل جوائز محفزة للطفل في هذه المجالات.

خامسًا- الإعلام:

تعتبر أجهزة الإعلام المرئي، والمسموع، والمقروء من أكثر الوسائل تأثيرًا على أخلاق الفرد؛ فإن وسائل الإعلام تسحر العقول، والقلوب، وتؤثر تأثيرًا واضحًا على أخلاق الفرد، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرًا»[1].

ونحن نريد أن تُستخدم وسائل الإعلام في إضافة إيجابيات لترسيخ القيم الأخلاقية بدلًا من تدميرها.

فبداية من وزارات الإعلام يجب أن نوضح لهم هذه المعاني، ومدي خطورتها، ومدى أهمية ترسيخ القيم الأخلاقية، والبعد الاقتصادي الناتج من ترسيخها.

---

(1) البخاري (5146).

نريد أن يكون الإعلام هو الإعلام الهادف الملتزم، ونعني به أن يكون الإعلام في بلاد المسلمين بكل أنواعه المسموعة، والمرئية، والمقروءة إعلامًا هادفًا له رسالة يسعى لتحقيقها من خلال ما يبثه أو يكتبه، وتلك الرسالة هي: "تحقيق العبودية لله في أرضه"، وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ويعمل لها المسلمون بكل طبقاتهم، وبجانب ذلك ترسيخ القيم الأخلاقية في النفوس بما فيه العمل على إصلاح الفرد والمجتمع، وبالتالي التأثير على التنمية الاقتصادية، ورفع القوة الاقتصادية من خلال سواعد بشرية شعارُها العمل بإتقان وجد، وسعي بخُلُق حسن في زيادة البناء الاقتصادي.

فيكون للإعلام في بلاد المسلمين رسالة يمثلها عند كل خطوة يخطوها، وكل كلمة يبثها، أو يكتبها، ويكون من أهدافه ترسيخ القيم الأخلاقية.

وقد فطن اليهود إلى قوة تأثير الصحافة عندما برزت، وخططوا لاستغلالها أحسن استغلال بما فيه مصلحتهم فمن الأولى لنا كبلاد مسلمة أن نفطن لذلك.

والإعلام الهادف هو الذي يسعى إلى نشر عقيدة التوحيد الملتزم بالأوامر، والنواهي الموصول بها، والتي تهدف جميعها إلى ترسيخ الأخلاق الحسنة، ونبذ الأخلاق الذميمة, لا يقول إلا الحق، ولا يهدف إلا إلى إظهار دين الحق في الأرض.

من أجل ذلك كله تميز الإعلام الإسلامي في عهود الحضارة الإسلامية الزاهرة بالوضوح والصراحة، والواقعية دون مراعاة لمصلحة فرد أو فئة من الناس.

والإعلام الإسلامي هو قادر بإذن الله أن يتحدى هذه الهجمة الشرسة من الإعلام غير الهادف الذي يدمر البناء الأخلاقي في المجتمع.

لا بد أن تتكاتف الجهود من أجل تطوير الإعلام الهادف في كل الدول الإسلامية، فيتم بث التحدي اللازم ضد موجات الإعلام غير الهادف، وذلك باستخدام التقنيات اللازمة.

ولا يمكن لأحدٍ، متعه الله بذرة من العقل والبصيرة، أن يتجاهل الدور الحيوي الذي تؤديه وسائل الإعلام في غسل أدمغة الناس، وسلب عواطفهم، أو تصديقهم ذات اليمين وذات الشمال، ولو قُدِّرَ لهذه الوسائل أن تحتل مكانتها السامية، وتؤدي واجبها الشرعي، والأخلاقي لأسهمت في نشر الخير، وتثقيف الجيل، ودحض الباطل، وحفز الهمم، وصناعة الإنجازات، وترسيخ الأخلاق؛ لأن خيراتها ومحاسنها لا تقف عند حد أبدًا، فهي ترن كل سمع، وتدخل كل بيت وتتسع يومًا إثر يوم.

ولكن من المؤسف أن هذه الوسائل في غالبها لا تخدم الإسلام ولا قضاياه، وتسلك المسار المضاد لمقاصد الإعلام الهادف، وتعتمد تضليل الناس، وصرفهم للمتع والشهوات، وتصوير أن هذه الحياة موطن تذوق، ولذة واستمتاع فلا تفوتك محاسنها، ولا تتجاوزك مفاتنها وزهراتها يعني باختصار مسلك علماني صريح، لا يعنيه الدين ولا خدمته، ولا نشره، ولا يحمل فكرًا ولا خُلقًا!!

ومكمن الخطر أن وسائل الإعلام باتت وجهة للرأي العام، والمتفوق في هذا الميدان يفرض حضارته ويصدر أفكاره، ويحشر الآخرين معه في اهتماماته ولو كانت ساذجة، ويؤثر في مشاعر الناس في أحداثه ولو كانت ساقطة، نعم إن من أبرز الآثار التي خلفها الإعلام المعادي في مجتمعات المسلمين زعزعة المعتقد عند بعضهم، ونشر الأفكار الهدامة عند بعضهم الآخر كما أثرت في تصدير العوائد والأخلاق الرديئة،

وساهمت في خلخلة بناء الأسرة المسلمة، وروَّجت للاقتصاد الحر- بزعمهم- وهو عين الربا والاحتكار، وشوَّهت صورة الإسلام، واختارت أبشع الصور لإلصاقها بالمسلمين، ومصيبة وأي مصيبة حين تؤثر وسائل الإعلام المعادية في مجتمعات المسلمين، فيستوردون من عوائدهم القبيحة ما يستوردون، وينقلون من رديء أفكارهم ما ينقلون، مما يجعلهم في ذيل القافلة، وهم مؤهلون للقيادة، فلنحذر مكر الأعداء، فإن حرب الإعلام والأفكار حرب شعواء، فليس كل ما يُعرض يُتابع، وليس كل ما يُكتب يصدق.

يقول سبحانه: {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم* والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا}[النساء: 26- 28].

سننجح بإذن الله إذا تولى الإشراف على هذا الخطاب الإعلامي خيارنا من العلماء، وأصحاب الفضيلة وطلاب العلم، والدعاة، ومن عرف عنه صحة التوجه، وسلامة المنهج، وصفاء العقيدة، مما يكسب الخطاب المصداقية والقوة!!

سننجح بإذن الله إذا وثقنا بقدراتنا، ونمينا في داخلنا عزة المسلم التي تدفعه لكل خير، وتسمو به إلى آفاق العزة، وتحمله على كل بر وخير، واستغلال كل طاقاته في نشر كل فضيلة ومحاربة كل شر ورذيلة، بخطاب مدروس ومنطلقات ثابتة، وتوجهات سليمة، وعقيدة صافية!!

سننجح بإذن الله إذا تحملنا في ذات الله ما نلاقي، وصبرنا، ولم نستعجل الثمرة، وتقبلنا النقد مهما كان، وتعاملنا معه بإيجابية، تدفع العمل الإعلامي الإسلامي نحو الأمام!!

سننجح بإذن الله إذا قيمنا أنفسنا، وقومنا معوجَّها، وحاولنا أن نصل بها لأعلى مراتب الكمال كما أراد لنا هذا الدين، وكنا قدوة في أنفسنا وتعاملنا وأخلاقنا وسمتنا وعطائنا، تنطق إنجازاتنا وينطق خطابنا بعظمة ومحاسن هذا الدين، بكل واقعية، بكل شفافية، بكل إبداع، وعطاء، لا ننتظر شكرًا من أحد، إلا من الواحد الأحد!!

سننجح بإذن الله إذا أدرك صاحب القناة الفضائية الإسلامية، والمجلة الإسلامية، والكتاب الإسلامي، والكاتب الإسلامي، والشريط الإسلامي، والمؤسسة الإسلامية جميعهم أنهم على ثغر واحد، تتعاضد جهودهم، ويتعاون أخيارهم، ويبحثون عن كل وسيلة لتطوير طريقة عرضهم، وملاحقة الإبداع أنى كان ليخدم توجههم وخطابهم، بما ليس فيه تمييع الدين، ولا ما ينتظره المتربصون من سقط القول، وخطأ الأسلوب، والوسيلة!!

ومن هنا يمكن لنا ترسيخ القيم الأخلاقية على نحوٍ فاعلٍ باستخدام الإعلام الهادف الذي يكون له من الطرق الكثير، والكثير لغرس أخلاق القرآن والسنة في النفوس بما له من الأثر الاقتصادي كما سنرى فيما بعد.

سادسًا- الشارع:

إن الشارع المتأمل فيه يجد أنه عبارة عن كم هائل من الأخلاقيات التي تُشاهد كل يوم، ويكتسب منها أبناؤنا، وبناتنا الكثير والكثير، فالشارع هو المحك الأساسي لأخلاق المجتمع، وهو المكان الذي نحكم فيه على المجتمع هل هو مجتمع أخلاقي أو لا؟

والشارع في حقيقة الأمر هو مدرسة تطبيقية سلوكية لما لدى الشعب من أخلاقيات، وسنعرض بعض السلبيات، **وسنعرض كيف تتحول إلى إيجابيات فمثلًا:**

1- إلقاء النفايات في الشارع هذا ينافي خلق النظافة، وله الأثر البالغ من الناحية الاقتصادية فكم الملايين من الأموال التي تنفق في رفع هذه النفايات، فيمكن بترسيخ خلق النظافة، وإحكام الأمر من خلال السلطة التنفيذية ممثلة في رجال الشرطة بتوقيع غرامات فنضيف الكثير من العائد الاقتصادي للدولة.

2- سرقة حاويات النظافة، وإتلافها وعدم التعامل معها بتحضر هذا يكلف الدولة الكثير من الأموال نتيجة سرقة المال العام، والإهمال، وهنا نركز على أهمية ترسيخ القيم الأخلاقية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، والشرطي لا بد أن يُلزم المواطن بدفع غرامة مناسبة لعدم التزامه من جهة أخرى.

3- التعدي أخلاقيًّا في عملية المرور بالسيارات من اليمين لليسار، وبالعكس، أو تعطيل سير السيارات، وهذا خلق يلزم تعلُّمه، هذا الأمر يسبب ضياعًا للوقت والمال، فكم من اللترات من البنزين تُهدر بسبب تعطيل السيارات عن السير، وكم من المصالح تتعطل بسبب عدم ترسيخ هذا الخُلق، وهنا دور رجل المرور في إعطاء الغرامة المناسبة، والتدخل السريع لإعادة حركة السير، والشق الآخر من جانب الجهات المختصة في عدم تنظيم حركة المرور، وكثرة الإشارات لعدم التخطيط الرشيد للطرق، فإن هذا الوقود الذي يضيع وهذا الوقت الذي يُهدر هو عائد اقتصادي، لو جمعناه نجده يكفي لبناء مدن صناعية كاملة.

4- الألفاظ النابية التي تصدر من بعض الأفراد لماذا لا يكون هناك غرامة رادعة لهذا التصرف البذيء؟ فمن ناحية التعليم، ومن ناحية الثواب والعقاب.

5- التحرش بالبنات في الشوارع، أو لبس ما هو مثير للغرائز، نريد ترسيخًا للقيم الأخلاقية من ناحية، وعقوبات وغرامات مادية من ناحية أخرى.

6- اللوحات الإرشادية في الشوارع والإعلانات التي لم يتم استئجارها بعد، لماذا لا يُفرض عليها أن تنشر وتعلن عن قيم أخلاقية بين المارة في الشوارع؟

7- التقاط الإيجابيات من الشارع، ونشرها بين الناس، وأخذ السلبيات، ومعالجتها.

8- إصدار قوانين للشارع:

أ- حبس وغرامة كبيرة لمن يسرق حاويات النظافة لأنها سرقة مال عام.

ب- غرامة عند إلقاء النفايات، أو حتى سيجارة، أو ورقة صغيرة.

ج- غرامات مالية لمن يتلفظ بألفاظ نابية.

د- غرامة مالية عند ارتداء ما يثير الغرائز.

هـ- غرامة مالية لمن يعطل حركة المرور.

و- غرامة مالية عند التحرش بالنساء.

وهذه الأموال يتم إنفاقها على تجميل الشوارع، وشراء حاويات للنفايات، وبذلك يزيد الوعي الأخلاقي في الشارع بجانب العوامل الأخرى لترسيخ القيم الأخلاقية.

سابعًا- مراكز التدريب الخُلُقية:

نحن في حاجة لترسيخ القيم الأخلاقية أن يكون لدينا مركز تدريب في كل مؤسسات الدولة على أن يتم عمل دورات تدريبية للعاملين نظريًّا وعمليًّا لتوضيح مدى أهمية، ومدى الفارق الناتج اقتصاديًّا عند التعامل بهذه الأخلاق؛ لتُصبح مؤسسات الدولة

نموذجًا في التعامل الأخلاقي بالقرآن والسنة، ويكفي أن نقول: إن هذا منهاج رب العالمين في التعامل الإنساني بين الناس؛ فهو الأفضل، والأحسن بدون أدنى شك {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14].

ثامنًا- مراكز الشباب والرياضة:

الرياضة في حد ذاتها تُعلم الأخلاق في أغلب أنواعها، وهذه المراكز الرياضية يمكن التعاون معها على نفس النمط السابق بأن يتم عمل دورات علمية في ترسيخ القيم الأخلاقية وتكون مجانية ويقوم بها متخصصون، فينشأ أجيال لديها الخُلق الذي تستطيع أن تتعامل به مع الآخرين؛ فكما ذكرنا أن الأمم تسمو بأخلاقها، ولا سبيل لبناء جسم رياضي بدون خُلق قويم، فهذا عبث، ولا سبيل لبناء شخصية مسلمة قوية بدون أن نرسخ فيها أخلاق القرآن.

تاسعًا- مراكز محو الأمية الأخلاقية:

فكما أن الدولة تسعى لمحو أمية القراءة والكتابة، وهذه الأمية معناها تخلف الأمة حضاريًّا فمن بابٍ أولى قيام الدولة بمحو الأمية الأخلاقية؛ فلا نهوض لأمة بدون أخلاق، ولا سبيل لتقدم اقتصادي بدون أخلاق، ولا مجال لنهضة حقيقية بدون أخلاق؛ فالخُلق الذي أساسه القرآن والسنة هو الخُلق التي سيعيد للأمة سابق مجدها، وسابق عهدها، وإلا سنسير في طريق مسدود لا نمو اقتصادي فيه مهما فعلنا، ومهما أنفقنا من أموال للنهوض؛ فلا سبيل لتقدُّم أو رقي أو حضارة إلا بخُلق، ووزارة التربية والتعليم هذا مسماها، وبكل الأسى لقد فقدت هذه الوزارة في كثير من الأحيان بل في أغلب الأحيان المغزى من اسمها؛ فلتكُن البداية مرة أخرى لإعادة المجد القديم، فلا بد أن تكون البداية مع ترسيخ القيم الأخلاقية.

المبحث الثالث
أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية

المبحث الثالث
أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية

إن أثرَ ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية لأثَرٌ كبيرٌ يفوق كل التصوُّرات، فهو شكل حضاري جديد، ولون من ألوان الحياة برَّاق وجميل؛ كم افتقدناه لسنين طوال، هذا الشكل الحضاري الذي يرسُمه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما كان عليه خير القرون، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

خير القرون... حيث سنجد روح الصدق، والتعاون، والانتماء، والإتقان، والقدوة الحسنة، وحسن الكلام، وحسن التعامل مع الآخرين، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والتعامل في المجالس بإحسان، والمسارعة إلى الخيرات، والإصلاح بين الناس، والوَدَاعة، والأمانة في التعامل، والاستقامة، وسلامة القلب، والعفو، والرحمة، والإحسان للغير، والإيثار، والقِرَى (إكرام الضيف)، والعفَّة، والقصد في المشي، والخفض من الصوت، والسكينة، والاعتدال في الأمور، وشكر النعمة، والصبر، وكظم الغيظ، والإقساط والعدل، والتواضع، والإيفاء بالعهد، والنظافة، والبرّ، والرفق، وتوقير الكبير، والعطف على الصغير، والحياء، والحب في الله، والبُغض في الله، والتثبُّت، والحرص على الآخرين... إلخ.

وستكون تعاملاتنا فيما بيننا بعيدة كل البعد عن الاختيال، والعُجب، والتكبُّر، والغرور، والمخاصمة، والمنازعة، ومخالفة الفعل للقول، والجهر بالقول السيئ، واتِّباع الشهوات، والكذب، وسوء الظن، والتجسُّس، وكثرة المدح في غير موضعه، والغِيبَة، والنميمة، والبُهتان، والتشييع للأخبار الكاذبة، ولغو القول، والسخرية، والتنابز بالألقاب، والافتراء على الله ورسوله، والغضب والأسى على ما فات، والجُبن، والبخل، والمنّ، والأذى، والطمع، والإسراف، وإطاعة المسرفين، والبطر والبغي، والفساد، والخيانة، ونقض العهد، والغشّ، والمكر، والرياء، والغلّ، والحسد ومنع الخير، والبغض، والغفلة، وقسوة القلب، والفجور، والفسق، والكفران، والربا والسرقة، والتسول، وبهذا التصور سنكون مجتمعًا مثاليًّا، الاقتصاد فيه محقق بمعناه الصحيح، والتنمية فيه محقَّقة بمعناها الصحيح الذي وضحناه من قبلُ.

وسنضع الآن بين يدي القارئ الكريم تجربة أخلاقية لإحدى الدول المتقدمة في العالم، والتي نجحت في فترة وجيزة أن تحقق تقدُّمًا اقتصاديًّا كبيرًا، مع أنها لم يكن لديها موارد اقتصادية، باستثناء العنصر البشري، وبعض الموارد القليلة، إذِ استطاعت أن تبني عنصرًا بشريًّا يتسم بأخلاق استطاع أن يجعل بلاده من أقوى الدول في العالم اقتصاديًّا، وهذه التجربة الرائدة في القيم الأخلاقية هي التجربة الأخلاقية لليابان، وهذا ما سنعرضه في الفصل القادم، إن شاء الله تعالى.

---

(1) البخاري (2652)، مسلم (2533).

الفصل الرابع
التجربة الأخـلاقية اليابانية

الفصل الرابع
التجربة الأخلاقية اليابانية

وسنعرض نموذجًا عمليًّا لدولة غير إسلامية، وهي اليابان، والتي أخذت ببعض هذه الأخلاقيات في جانب العمل كعنصر من عناصر الإنتاج، فكان التطور المذهل في التنمية الاقتصادية، وارتفاع دخل الفرد حيث نجد أخلاق العمل لديهم فيها من القيم السابق سردها مثل: الصدق، والتعاون، والانتماء، والإتقان، والقدوة الحسنة، وخُلُق الصبر، وحسن الكلام، وحسن التعامل مع الآخرين، وخُلُق ترك المخاصمة، والمنازعة، وعدم مخالفة القول للفعل، والمسارعة إلى الخيرات، وخُلُق التواضع، وخُلُق الوَدَاعة، وخُلُق الإيفاء بالعهد، وأخلاق أخرى كثيرة.

لقد سبق أن ذكرنا أنه لو لاحظنا المدارس في اليابان نجد أنها تُعلم التلاميذ النظام، ومبادئ الأخلاق، والأمانة، والشرف، وتغرس هذه المبادئ في نفوس التلاميذ بطريقة غير مفتعلة، وإنما بأسلوب مقنع وعلمي. كما أن المدرس الياباني له قداسة خاصة عند التلاميذ، والطلاب وهو بدوره لا يكتفي بالتدريس بل يعتبر نفسه مصلحًا اجتماعيًّا خاصة في مراحل التعليم الأولى، فيتعرف على جميع المشاكل التي تواجه التلميذ في المدرسة أو في البيت. ويقوم أحيانًا بزيارة التلميذ في بيت أسرته لمعرفة جوانب المشكلة التي تواجهه.

وهذا كان له الأثر الفاعل في تكوين عنصر بشري فيه من الأخلاق والسمات الشخصية التي تحقق المعجزات.

ومن كتاب (أسرار تقدُّم اليابان) يقول الكاتب:

".. السبب الحقيقي –أو أحد الأسباب بعبارة أكثر دقة- (أن).. معدل إنتاجية العامل الياباني مرتفعة جدًّا، والتي لا يصل إلى مستوياتها معدل إنتاجية أي عامل في مكان آخر من العالم"[1].

وهذا هو خُلُق الإتقان، والصبر اللذان أشرنا إليهما من قبل.

كما يضيف الكاتب:

"وأخيرًا فإن أهم العوامل على الإطلاق أن الشعب الياباني عمل بجد، ومثابرة، وشارك في مسئولية تحقيق الهدف النهائي"[2].

وهذا أيضًا هو خُلُق الإتقان الذي أشرنا إليه، وأيضًا عدم الأسى على ما فات، ومعلوم ما حدث من تدمير لليابان بالقنبلة النووية، وأيضًا خُلُق التعاون والانتماء.

كما يضيف الكاتب:

"العوامل التي ساهمت في تحقيق اليابان النسبة العالية للنمو الاقتصادي بعد الحرب:

.. يفسر دكتور "ادوين أوريتسيور"، وهو عالم اهتم باليابان على امتداد فترة طويلة، وتابع باهتمام إعادة بناء، وتنمية الاقتصاد الياباني كمؤرخ وسفير لأمريكا في اليابان، يفسر هذه الظاهرة الملفتة بعدد من الأسباب"(وقال: أولها:) "أخلاقيات العمل

---

(1) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص177).

(2) المرجع السابق (ص186).

الشاق لدى اليابانيين، والمستويات العالية لتعليمهم، ومهارتهم التقنية، وقدرتهم على الاحتفاظ بسياسة مالية مستقرة"[1].

وهذا أيضًا هو خلُق الصبر، والجدية في العمل الذي أشرنا إليه من قبل.

كما أوضح رئيس جمعية مسلمي اليابان الدكتور أمين توكوماسو:

".. أن صناعة التقدم تحتاج أولًا إلى صناعة العقول وبناء القدرات الذاتية التي تسهم في ذلك، لأن الأموال وحدها لا تصنع نهضة، والعلوم، والخبرات، والمعارف لا تشترى"[2].

وهذا أيضًا يدخل تحت أهمية التركيز على العنصر البشري وغرس الأخلاق فيه من أجل التنمية الذي أشرنا إليه قبلُ.

وتحت عنوان **"الأخلاق سرُّ نجاح التجربة اليابانية"** مقال بجريدة إيلاف الإلكترونية يقول فيه د/ خليل حسن عن التعليم في اليابان:

".. وقد أدخلت مادة السلوك والأخلاقيات في جميع المواد الدراسية، ونشاطاتها، بالإضافة لبرنامج متخصص في الأخلاقيات.

ويناقش هذا البرنامج الأخلاقيات من خلال قراءة قصة أو كتابة مقال.. ويؤكد البرنامج أهمية الأخلاقيات الشخصية، وأخلاقيات التعامل مع الآخرين، وأخلاقيات الواجب نحو المجتمع، والوطن، والإمبراطور، كما يؤكد البرنامج على أهمية الأخلاقيات الفردية، وضرورة بساطة العيش، والاجتهاد في العمل وإتقانه، والشجاعة في عمل ما هو صحيح وبدون تخوُّف، والتعامل مع الناس بإخلاص وسعادة، وتقدير الحرية الشخصية، والتصرُّف بانضباط، وتطوير ما هو حسن في الشخصية، وتغيير ما يحتاج تغييره، وحب الحقيقة، والسعي للوصول للمثالية.

أما فيما يتعلق بالتعامل مع الآخرين، فيؤكد البرنامج على لطف المعاملة، وأدب الكلام، والعطف على الآخرين، والإخلاص في الصداقة ومساعدة الآخرين، والتواضع،..

كما يؤكد البرنامج احترام الطبيعة، والعطف على الحيوانات، والنباتات، واحترام الحياة والكائنات الحية، والإحساس بشعور الآخرين.

والإيمان بقوة وسمو الإنسان وقدرته على تجاوز ضعفه، ووصوله للسعادة.

أما عن الواجب المجتمعي، فيؤكد على العدالة، والمساواة في التعامل مع الآخرين، والعمل ضمن الفريق الواحد، ومعرفة المواطن وظيفته، وواجباته ضمن الفريق، واحترام العمل والرغبة فيه، واحترام العائلة، والمساعدة في الأعمال المنزلية، والعمل في خدمة المجتمع، وتقدير العاملين فيه.. كما يقوم الطلاب بتنظيف المدرسة بكل أقسامها، ويراعون النباتات، والحيوانات الموجودة بالمدرسة"[3].

وهذا أيضًا يدخل تحت التركيز على الأخلاق بكل صورها التي أشرنا إليها قبلُ.

---

(1) المرجع السابق (ص199).

(2) د/أمين توكوماسو، رئيس جمعية مسلمي اليابان، حوارات، مجلة الاقتصاد الإسلامي، القاهرة، عدد أغسطس 2017م ، (ص30).

(3) د/خليل حسن، مقال بعنوان " الأخلاق سر نجاح التجربة اليابانية "، جريدة إيلاف الإلكترونية، من مفكرة سفير عربي في اليابان، 3 مارس 2017، 20. 50.

كما يضيف الكاتب د / محمد عبد القادر حاتم:

"ومن أهم عوامل النمو الاقتصادي السريع في اليابان العلاقة الخاصة التي تربط الحكومة بالتجارة. وهذا العامل يعد من أهم الفروق بين تجارة اليابان والولايات المتحدة، وإن كان تناقضه مع ما يجري في البلاد الغربية مثل فرنسا وألمانيا أقل وضوحًا.

فالعلاقة بين الحكومة والتجارة في اليابان ليست علاقة خصمين يشك كل منهما في الآخر كما هو الحال في الولايات المتحدة، بل إن علاقتهما علاقة تعاون وثيق"[1].

وهذا أيضًا هو خُلُق التعاون الذي أشرنا إليه من قبل.

ومن كتاب **("بلاد الشمس المشرقة" القصة الحقيقية لليابان)**، يقول الكاتب مختار الجوهري:

"والواقع أن تجارة الصادر هي عصب الحياة الاقتصادية في اليابان، وشعار كل فرد في هذه البلاد هو العمل المتواصل حتى تنتج البلاد أقصى ما تستطيع للتصدير إلى الخارج.. وقد سبق أن ذكرنا أن البلاد تكاد تخلو من الخامات اللازمة للصناعة"[2].

وهذا أيضًا هو خُلُق الإتقان الذي أشرنا إليه من قبل؛ لأن التصدير يكون للأجود صنعًا، ولا ننكر دور المواطن في شرائه لمنتجه لدعمه اقتصاديًّا. وهذا أيضًا هو خُلُق التعاون والانتماء الذي أشرنا إليه من قبل.

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

"والمواد التي تدرس في المرحلة الابتدائية لا تختلف كثيرًا عن المواد التي تدرس في مدارسنا، فهي تشمل اللغة القومية ثم المواد الاجتماعية الجغرافيا، والتاريخ، والتربية الوطنية، والحساب.. و تأتي بعد ذلك مادة الأخلاق"[3].

وهذا أيضًا يدخل تحت تعليم الخُلُق من الصغر الذي أشرنا إليه من قبل.

ومما لا شك فيه أن دعائم الاقتصاد الناجح تقوم على الصناعة والتصدير؛ إذْ "لم يعد هناك بيت على ظهر قارات العالم الست يخلو من سلعة تحمل علامة (صنع في اليابان). هذه هي المعجزة التي جعلت اليابان هبة الصناعة والتصدير، وبغير الصناعة والتصنيع، والإنتاج، والتصدير ما قُدر لليابان أن تقوم لها قائمة بعد كل ما تعرضت له من ويلات في الحرب العالمية الثانية"[4].

وهذا أيضًا هو خُلُق الإتقان الذي أشرنا إليه من قبل، والذي هو الدعامة الأساسية للتصدير.

كما يضيف الكاتب:

"لإصلاح النظام التعليمي في اليابان.. فإن الإصلاح التعليمي يشمل جانبًا رئيسيًّا من سياسة الحكومة..

---

(1) مرجع سابق، د /محمد عبد القادر حاتم، (ص302).

(2) مختار الجوهري، "بلاد الشمس المشرقة "القصة الحقيقية لليابان، دار المعارف، القاهرة، (ص130).

(3) المرجع السابق (ص154).

(4) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص323).

ويشمل 2- تعزيز روح الحرية، والحكم الذاتي من ناحية، والواجب العام من ناحية أخرى"[1].

وهذا أيضًا هو خلُق التعاون، والانتماء الذي أشرنا إليه قبلُ.

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

"ومع ذلك فإن اليابانيين بفضل معاملتهم الرقيقة، وإلحاحهم في أدب، وأسعارهم المخفضة وصدق مواعيدهم في تسليم البضائع يوطدون أقدامهم في هذه المنطقة"[2].

وهذا أيضًا هو خلُق الصدق، وخلُق الإيفاء بالعهد اللذان أشرنا إليهما من قبل.

كما يضيف الكاتب:

".. يستعين اليابانيون بالوسطاء لتجنُّب الصدام، والاحتفاظ بتماسك الجماعة"[3].

وهذا أيضًا هو خلُق ترك المخاصمة والمنازعة الذي أشرنا إليه من قبل.

كما يضيف الكاتب:

".. وتستمر رضاعة الطفل الياباني لفترة طويلة نسبيًّا، ويطعم متى يشاء كما أن الأم تداعبه بصورة مستمرة، وتحمله على ظهرها عند خروجها في الزيارات الاجتماعية.. و لا يتم التوجيه، والإرشاد بأسلوب الأمر والنهي التي يصحبها التهديد بالعقاب، بقدر ما يتم عن طريق الاتصال الحميم الهادئ وتقديم نماذج القدوة الحسنة"[4].

وهذا أيضًا هو خلُق القدوة الحسنة وعدم مخالفة القول للفعل الذي أشرنا إليه من قبل.

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

".. ولهذا أدخلت في منهج الدراسة في المرحلتين الإعدادية، والثانوية منذ عام 1958م مادة الأخلاق التي تهدف إلى غرس المبادئ الخلقية السامية في نفوس الأطفال، وتدربهم على السلوك الرفيع في مختلف المواقف، والمناسبات"[5].

وهذا أيضًا يدخل تحت تعليم الخلُق في كل مراحل التعليم الذي أشرنا إليه من قبل.

وحتى نكون عادلين في الحكم على الشعوب العربية والإسلامية عند مقارنتها مع شعب اليابان نقول بكل وضوح: إن أحد العوامل التي ساعدت على نهوض اليابان.

يقول الكاتب مختار الجوهري:

".. ظلت بمنأى عن النفوذ الأجنبي، وعن الاستعمار، (فـ) بفضل عزلتها وبعدها عن العالم الخارجي خلال القرون الطويلة التي نشط فيها الاستعمار الغربي"[6].

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

"وبذلك نجا الخلُق الياباني من التأثر بفساد الاستعمار، واحتفظ الشعب الياباني بصفاته الأصيلة التي هي من أكبر عوامل تقدمه – صفات الإباء، والاعتزاز بالنفس،

---

(1) المرجع السابق، (ص458).
(2) مرجع سابق، مختار الجوهري، (ص135).
(3) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص485).
(4) المرجع السابق (ص492).
(5) مرجع سابق، مختار الجوهري، (ص156).
(6) المرجع السابق (ص264).

وبالوطن، والصدق والأمانة، والسعي المتواصل في سبيل رفعة الوطن مضحين في ذلك بكل ما يملكون من قوة وجهد"[1].

وهذا أيضًا هو خلُق الصدق، وخلُق الإيفاء بالعهد، والأمانة، وخلُق السعي المتواصل في سبيل رفعة الوطن (الانتماء) مما أشرنا إليه من قبلُ.

ويقول د/فوزي درويش:

".. وهو شعب متحفز لكل فرصة تسنح لاقتناصها، فاليابانيون استطاعوا بصورة كافية استيعاب تجربة الفكر الصيني الرفيع قبل أن يُدخلوا لبلادهم الفكر والحضارة الأوربية، ومن خلال ذلك لم يتركوا فرصة مواتية تمرُّ دون الاستفادة منها"[2].

وهذا أيضًا هو خلُق المسارعة إلى الخيرات الذي أشرنا إليه قبلُ.

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"البحث والتطوير سمة أساسية من سمات الإدارة اليابانية، والتي تعمل دائمًا على تهيئة مناخ الابتكار من خلال صناديق الاقتراح"[3].

وهذا أيضًا هو خلُق الإحسان في العمل، والسعي للأفضل، والأحسن، وخلُق الإتقان والتعاون والشورى، مما أشرنا إليه قبلُ.

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"ونظام التوظيف مدى الحياة، وما يحمل في طياته من تعميق لآداب المهنة، وما يحقِّقه من ولاء وانتماء للشركة، وما يترتب عليه من استقرار ذهني يكسب العمل حماس التنفيذ، ودقة التجويد"[4].

وهذا أيضًا هو خلُق الإحسان في العمل، والسعي للأفضل، والأحسن، وخلُق الإتقان وخلُق التعاون، والانتماء، مما أشرنا إليه من قبل.

وسبق أن أشرنا إلى أن هذا يحتاج إلى تعليم، وتدريب مع القدوة الحسنة.

"هكذا يجب أن يكون شعار تدريس السلوك الأخلاقي هو الممارسة / الممارسة / الممارسة"[5].

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

"عامل آخر في تقدُّم اليابانيين هو استعدادهم التام لإطاعة حكامهم.. بحيث يصبح الشعب كله وحدة واحدة تسير في الطريق المرسوم لها. فالشعب الياباني يشبه فرقة عسكرية، أو أسرة واحدة هائلة الحجم ذات رأس واحد يسيرها، ويوجهها كيف يشاء"[6].

وهذا أيضًا هو خلُق التعاون، وخلُق طاعة أولي الأمر، وخلُق السعي المتواصل في سبيل رفعة الوطن (الانتماء)، مما أشرنا إليه من قبلُ.

---

(1) المرجع السابق (ص265).

(2) د/فوزي درويش، اليابان الدولة الحديثة والدور الأمريكي، الطبعة الثالثة، 1994م، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ص367).

(3) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص821).

(4) المرجع السابق (ص822).

(5) ديفيد ب. رزنيك ترجمة: د/عبد النور عبد المنعم مراجعة أد /يمنى طريف الخولي، أخلاقيات العلم، عالم المعرفة، القاهرة، 2005م، (ص250).

(6) مرجع سابق، مختار الجوهري، (ص265).

وهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قال فيها: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة»[1].

وهذا العامل عامل هام، وفاعل في توحُّد الشعب، وتوحُّد سياسته، وعدم وجود تنافر بين أفراده.

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"وعندما تقرر إحدى الشركات اليابانية إنتاج منتج جديد لتصديره إلى إحدى الدول المتقدمة فغالبًا ما تقوم باختبار تسويق هذا المنتج في إحدى الأسواق الفرعية؛ فإذا وجدت أن الظروف السائدة في الأسواق الرئيسية المقرر دخولها يحيطها نوع من المخاطرة؛ فإنها تلجأ إلى تفويض بعض الشركات المحلية، والتي لها خبرة طويلة بطبيعة السوق للقيام بالأنشطة التسويقية"[2].

وهذا أيضًا هو خلُق السكينة، وخلُق الاعتدال في الأمور، مما أشرنا إليه من قبلُ.

ويقول الكاتب مختار الجوهري:

"ورغبة اليابانيين في الوصول إلى حد الكمال تفسر لنا ولع اليابانيين بصفة (الأفضل)"[3].

وهذا أيضًا هو خلُق الإحسان في العمل، والسعي للأفضل، والأحسن، وخلُق الإتقان، مما أشرنا إليه من قبلُ.

وهذا القرآن الكريم يخبرنا بالأفضلية في التقوى، والعمل، وجاء ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

".. ذلك أن الأخذ بظروف العمل ذات الطابع الإنساني لا يؤدي فقط إلى زيادة الإنتاجية، وإنما إلى شعور العاملين بالاحترام، والثقة في أنفسهم، وبالتالي يتولد الولاء، والانتماء لشركاتهم ويدفعهم إلى أداء أعمالهم بصدق، وإخلاص، وهكذا يتحقق الاستخدام الأمثل للعمالة، والتي هي عصب الإنتاج..

فالمجتمع الياباني أقل المجتمعات جرائم بسبب الثقة والترابط بين أفراده، فالقاسم المشترك في أخلاق الشعب الياباني، وسلوكه هو الألفة، والمعاونة، ونكران الذات نتيجة علاقات اجتماعية حميمة (علاقة في المدرسة /الأحياء/الجيران/المعابد/أندية رياضية)، ومن هنا ينبثق الانتماء والمسئولية الجماعية، وروح الجماعة، أو الفريق"[4].

وهذا أيضًا هو خلُق الصدق، والتعاون، والانتماء، وخلُق التواضع، وخلُق الوَدَاعة والأمــانة في التعامل، وخلُق الاستقامة، وخلُق سلامة القلب، وخلُق العفو، وخلُق الرحمة وخلُق الإحسان للغير، مما أشرنا إليه من قبلُ.

ويقول أحمد الشقيري في كتابه (خواطر 3 من اليابان):

---

(1) البخاري (7142).
(2) مرجع سابق، د. محمد عبد القادر حاتم، (ص830).
(3) مرجع سابق، مختار الجوهري، (ص269).
(4) مرجع سابق، د. محمد عبد القادر حاتم، (ص841).

".. خرجت من اليابان، وأنا أحمَد الله أنه يوجد يابانيون على الكرة الأرضية؛ لأنهم جسدوا لي الأخلاق النبوية، حمِدتُ الله أن ما كنت أتمنى أن أراه في عالمنا الإسلامي ليس مجرد أحلام ولا مبالغات، ولكن يمكن تحقيقه، لأن اليابانيين حقَّقوه، وهم بشر مثلنا"[1].

وهذا دليل من الواقع المعاصر على أن الأخلاق التي غرسها فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كافية للوصول لأعلى درجات التنمية الاقتصادية، وهذا ما أشرنا إليه من قبلُ.

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"إن التربية والتعليم ابتداء من الروضة مبنيان على المنافسة، حتى الدخول في الروضة يتطلب درسًا خصوصيًّا في مدارس خاصة لمدة 6 ساعات يوميًّا حتى يؤهلوا الطفل ليتنافس على مكان في روضة للأطفال ذات سمعة جيدة. وذلك لأن التعليم الجيد في الروضة يؤهل لدخول جامعة جيدة، فالمجتمع الياباني مجتمع مبني على التنافس، وهذا هو جوهر الهيكل الاجتماعي الياباني"[2].

وهذا أيضًا هو بناء خلُق الطفل منذ نعومة أظفاره وهو بالروضة الذي أشرنا إليه من قبلُ.

ويضيف الكاتب أحمد الشقيري:

".. الفرق بيننا وبينهم (يقصد اليابانيين) أنهم حولوا هذه المبادئ إلى تطبيق عملي يظهر جليًّا في الحياة اليومية في اليابان؛ بينما نحن اكتفينا بحفظ هذه المبادئ في رءوسنا دون أثر على واقعنا، واكتفينا بالتغني بالماضي، وكيف كنا، ونسينا أن المبادئ دون تطبيق وأثر في العمل هي مضيعة للوقت"[3].

وهذا أيضًا هو أهمية التمرس للأخلاق الذي أشرنا إليه قبلُ.

وعندما سأل أحد الصحفيين رئيس الوزراء الياباني عن سر نهضة اليابان أجاب قائلًا: نحن لا نمتلك عقولًا خارقة لكن لدينا معادلة بسيطة:

علم + أخلاق + عمل = نهضة

وهذا أيضًا أكبر دليل على أهمية الأخلاق للتنمية الاقتصادية الذي أشرنا إليه قبلُ.

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"التدقيق في اختيار نوعية العاملين:

وذلك بأن يتم الاختيار على أساس من الكفاءة، والموضوعية، وليس بواسطة فرضهم عن طريق مكاتب القوى العاملة دون مراعاة للتخصصات المناسبة المطلوبة. كذلك شغل المناصب العليا بالمؤسسة أو الشركة"[4].

وهذا أيضًا هو خلُق الأمانة، وخلُق الإقساط والعدل، مما أشرنا إليه من قبلُ.

ويقول د/ علاء علي زين الدين:

---

(1) أحمد مازن الشقيري، خواطر 3 من اليابان، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1430هـ، الطبعة الأولى، (ص7، رقم: الإيداع 1430/5965هـ.

(2) مرجع سابق، د. محمد عبد القادر حاتم، (ص842).

(3) مرجع سابق، أحمد مازن الشقيري، (ص8).

(4) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص842).

"ما من نهضة حديثة إلا ويقف وراءها منهاج من القيم الدينية تكون بمثابة الطاقة الروحية التي تغذي عقيدة العمل، فلو نظرنا إلى النهضة الأوربية الحديثة لوجدنا أنها استمدت عقيدتها في الحياة والعمل من العقيدة البروتستانتية، وهي قيم أخلاقية تجعل العمل والسعي في الدنيا جزءًا من الإيمان، بل فريضة إيمانية تعدل أعلى الفرائض.

كذلك الحال في النهضة اليابانية".

ثم يضيف قائلًا:

"لا اعتقد أن هناك أمة يمكن أن تنهض دون عقيدة يرتضيها الشعب، ودون أن تتعارض تلك العقيدة مع قيمه الأخلاقية والاجتماعية"(1).

السؤال الهام هنا الذي يطرح نفسه: لماذا نحن لدينا كل هذه العلوم في الأخلاق التي من الوحي المنزل من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة، وهذه عقيدتنا، وهذه قيمنا، وهذه أخلاقنا، ولكن لا نتعلمها إلا قليلًا، ولا نعمل بها إلا نادرًا؟!

فهل من نهضة أخلاقية، وثورة حقيقية على هذا الماضي الخُلقي السقيم ليكون مكانه مستقبل مشرق كلُّه خُلق قويم على صراط الله المستقيم؟!

ويضيف الكاتب أحمد الشقيري قائلًا:

".. تجد مدير العمل يأكل مع الموظفين في المكان نفسه، والأستاذ ينظف الفصل مع الطلاب، ورئيس الوزراء يحيا حياة عادية، ليس فيها بذخ، مثله مثل غيره. طبعًا يوجد احترام شديد لمن هو أكبر منك سنًّا أو مقامًا، ولكنه احترام وليس ذلًّا"(2).

وهذا أيضًا خُلق التواضع, واحترام الصغير للكبير، وعدم الإسراف، والتعاون، والقدوة الحسنة، مما أشرنا إليه من قبلُ.

وهنا نذكر حديث الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارَى التراب شعر صدره، وكان رجلًا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا... وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا» (3).

ونذكر هنا أيضًا قصته مع أهل الصفة، وأهل الصفة هم أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، فكان صلى الله عليه وسلم إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فأُهدِي إليه يومًا قدَح لبنٍ، فشربوا منه جميعًا وشرب بعدهم أبو هريرة رضي الله عنهم جميعًا، فلما شرب وارتوى الجميع أخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح فحمِد الله وسمَّى وشرب الفضلة(4).

---

(1) د/علاء على زين الدين، مختارات في الفكر والثقافة اليابانية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم اللغة اليابانية، كتاب جامعي، 2004م.

(2) البخاري (6452).

(3) البخاري (3034)، مسلم (1803).

(4) البخاري (6452).

"فانظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيط التعامل مع الكل برغم أنه كان رئيس الدولة، والقائد الأعلى، والمدير، ولكن يأكل مع الكل، ويعيش حياة عادية، ويكره أن يعامل معاملة خاصة"[1].

ويضيف د/محمد عبد القادر حاتم قائلًا:

"ونحن في مصر – والعالم على أبواب القرن الحادي والعشرين ما أحوجنا إلى لحظة صدق نقف فيها مع أنفسنا لنحاول أن ننظر بعمق وجدية إلى التجربة اليابانية لنتعلم منها، ونقتبس ما يتلاءم مع واقعنا الاقتصادي والاجتماعي، بهدف المساهمة في تطوير أنماط الإدارة المصرية من خلال التطوير التنظيمي، والإداري للوحدات الاقتصادية، والتنمية الإدارية للعمالة المصرية المنتجة"[2].

وبحق القرآن والسنة لم يترُكا شيئًا إلا وعالجاه، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: 105].

فأين نحن من العمل مع استشعار مراقبة الله لنا؟!

ألم يأتِ في حديث جبريل عليه السلام: «.. قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..»[3]. وفي رواية: «أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4].

فلماذا تكثر أجهزة الرقابة، وكل فرد يحتاج عليه رقيب فأين خلُق الأمانة، والمراقبة؟!

ويدعونا الإسلام إلى الشورى في قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

فلماذا القرارات الاقتصادية فردية غالبًا، وليست عن طريق الشورى؟

ويدعونا الإسلام إلى العلم والتعلُّم في قوله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9].

فلماذا الكتب، والرسائل العلمية لا يُهتم بها لتكون محل التنفيذ العملي طالما فيها المفيد؟

ويدعو إلى الحافز الشخصي، وذلك في قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7-8].

فلماذا المكافآت والحوافز بنظام روتيني لا بنظام ما تُقدم من العمل؟

وسنتعرض معًا لبعض المسائل الهامة، والتي لها علاقة قوية بترسيخ القيم الأخلاقية:

1- مسألة: من "العوامل المؤثرة على الروح المعنوية للعاملين في مجال العمل:

- المشاركة في اتخاذ القرار"[5].

---

(1) مرجع سابق، أحمد مازن الشقيري، (ص12).

(2) مرجع سابق، د/محمد عبد القادر حاتم، (ص858).

(3) مسلم (8).

(4) مسند الإمام أحمد (184).

(5) د/سلافة محمد إبراهيم، العلوم السلوكية، كلية التجارة، التعليم المفتوح، كتاب جامعي، (ص293).

وهذا أيضًا هو خلُق التعاون، والشورى، وخلُق الإقساط والعدل، مما أشرنا إليه من قبلُ.

-"المساواة في المنافع والتضحيات"[1].

وهذا أيضًا هو خلُق الإقساط والعدل الذي أشرنا إليه من قبل.

2- مسألة هامة:

إن محاربة الفساد الأخلاقي "تقتضي تغييرًا كبيرًا في المفاهيم، والسلوك الأخلاقي للجماعات والأفراد، وليست المسألة نقصًا في قواعد السلوك السوي، أو جهلًا بهذه القواعد، إنما تكمن المسألة أساسًا في النفاق الذي جعل الالتزام بالقواعد لا يجاوز الأقوال في معظم الأحوال..

ولا يمكن الاعتماد هنا على إصلاح الأخلاق المعوجَّة بالوعظ والإرشاد (فقط)، إنما يقتضي الأمر أولًا سلوكًا قويمًا من جانب القيادات السياسية والإدارية، وكذلك من جانب الآباء في المنازل والأساتذة في المدارس والجامعات"[2].

وهذا أيضًا هو خلُق عدم مخالفة الفعل للقول، والقدوة، مما أشرنا إليه من قبلُ.

3- مسألة الربا:

لقد حرَّم الإسلام الربا، بوصفه أولى العقبات في التنمية الاقتصادية، ووسيلة سهلة لسرقة أموال الناس دون عمل؛ فالربوي الرأسمالي يقوم بامتصاص أموال المقترضين دون أن يؤدي أي عمل إنتاجي.

والبديل في الإسلام هو توظيف هذا المال في مشروعات إنتاجية تُؤمِّن خلق فرص عمل جديدة وزيادة في الإنتاج يتقاسم رَيْعه العاملون، وأصحاب الأموال، وغير العاملين من المحتاجين وهو أكثر ضمانًا، إذ قد يتعرض المرابي إلى خسارة الفائدة ورأس المال معًا، كما يجري حاليًّا نتيجة للمضاربات، والإفلاسات لكبار المصارف، وبيوت المال في العالم الصناعي، وما يدور في فلكه.

وتعتبر الفائدة في العرف الرأسمالي بمثابة أجر رأس المال النقدي الذي يسلفه الرأسماليون للمشاريع التجارية وغيرها، وتحدد بنسبة مئوية من المال المسلف، ولا تختلف كثيرًا عن الأجر الذي يحصل عليه أصحاب العقارات، وأدوات الإنتاج، نتيجة لإيجار تلك العقارات والأدوات.

أما الإسلام، فقد سمح للكسب الناتج عن إيجار العقارات، وأدوات الإنتاج، وحرَّم أجر رأس المال، وما ذلك إلا للأسباب التالية:

أ- إن القاعدة التي تجتمع عليها كافة التشريعات: الكسب لا يقوم إلا على أساس عمل، وبدون المساهمة من شخص بإنفاق عمل لا مبرر لكسبه؛ فالكسب الناتج عن ملكية أدوات الإنتاج مسموح به نظرًا لما تخزنه الآلة من عمل سابق سوف يكون للمستأجر الحق في استهلاك قسط منه خلال استخدام الآلة في عملية الإنتاج التي يباشرها؛ أما الكسب الناتج عن ملكية رأس المال النقدي (الفائدة) فليس له ما يبرره نظريًّا، لأن المستقرض سوف يرد المبلغ للدائن بكامله دون أن يستهلك منه شيئًا.

---

(1) المرجع سابق، (ص294).

(2) د/إبراهيم شحاتة، وصيتي لبلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، (ص375).

وكذلك الحال بالنسبة لاستئجار العقار، فالمستأجر يستأجر عملًا سابقًا سوف يستهلك المستأجر قسمًا منه حين الانتفاع به.

وتبرر الرأسمالية الفائدة بصفتها تعبيرًا عن الفارق بين قيمة السلع الحاضرة، وقيمة سلع المستقبل، اعتقادًا منها بأن للزمن دورًا في تكوين القيمة؛ فالقيمة التبادلية لجنيه اليوم أكبر من القيمة التبادلية لجنيه المستقبل.

إلا أنه إن كان صحيحًا أن العملات الضعيفة في البلدان الفقيرة المستدينة تنخفض قيمتها باستمرار، كما تنخفض معها- في الوقت نفسه- قيمة موادها الأولية، فإن العملات في البلدان الغنية الدائنة، هي في ارتفاع مستمر كما ترتفع معها قيمة بضائعها باستمرار، ولنتصور حجم الخسائر الباهظة، والمضاعفة التي تتكبدها البلدان الضعيفة المدينة.

ب-التسديد لخدمة الدين بعملات مرتفعة باستمرار، من عملات، وبضائع محلية منخفضة باستمرار.

ج-زيادة الفوائد المتصاعدة باستمرار لتبلغ أضعاف حجم الدين ذاته.

د-خسارة المشاريع التي تمولها، أو شللها من قبل الدائنين بالذات لكونها تنافس بضائعهم بالذات أو توقفها عن العمل لعدم وجود أسواق لمنتجاتها في الخارج، وعدم قدرة الأسواق الداخلية على امتصاصها لضعف الدخول.

وهذا أيضًا هو خلُق التعامل بالربا كخلق ذميم، والذي أشرنا إليه قبل.

ومما لا شك فيه أن مجتمعات تحارب الله بالربا ليس لها إلا الخسران اقتصاديًّا، ولن يحدث لها تنمية مهما اتخذت كل السبل الأخرى.

4- اقتراح هام لحل مشكلة الربا في البنوك:

نريد مصارف إسلامية بدراسات جدوى لمشروعات صناعية حقيقية بنظام المشاركة في رأس المال من قبل المصرف بنظام أسهم مودعة من قبل المودعين في هذه المشروعات المعروفة لديهم بنظام المشاركة في الأرباح بنسبة أسهمهم مع عمل رقابة للمشروعات من قبل رجال المصرف الإسلامي ليقدموا تقارير بنظام العمل للمشاركين بالأسهم، ويكون للمصرف نسبة من الأرباح مقابل الإدارة، والإشراف، وأسهمه ذاته (بمعنى آخر مصرف إسلامي بنظام الشراكة بالأسهم).

"وتُعنى المصارف الإسلامية بربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية في أُطر متوازنة وتنسيق متكامل صحيح، فيسير العمل من أجل توفير الرخاء الاقتصادي، مع التهذيب الاجتماعي القائم على الالتزام بآداب الإسلام، وقِيَمه، وأخلاقه الاجتماعية في كل مناحي الحياة ومسيرة المعاملات، فلا غش، ولا خداع، ولا تغرير، ولا تدليس، ولا مقامرة، ولا غبن في المعاملات، منعًا لأكل أموال الناس بالباطل، وحفاظًا على شيوع روح الود والحب والطمأنينة، ومنع المنازعات بين الناس، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار في الحياة والأوطان الإسلامية، وتقوية وازع الدين، وخشية الله تعالى ورقابته في السر والعلن، حتى يكون المواطن عضوًا أمينًا صالحًا منتجًا، يعمل بوحي من دينه وضميره الذي لا رقيب عليه إلا الله تعالى، ويتقن أعماله ويضاعف جهوده في الإنتاج، والتصنيع، وتحسين الثمار والزروع، وغير ذلك من الأنظمة الاقتصادية، وتقوية التجارة القائمة على الثقة، وإفادة الأمة الإسلامية.

.. ويكون شعار هذه المصارف المساواة بين طرفي التعامل، والوضوح في العمل، والثقة في الاستثمار"[1].

5- علاج نبوي لخلُق التعامل بين الدائن والمدين:

ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى عند قضاء الديون ووفاء الناس حقوقهم، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي رافع، أنه صلى الله عليه وسلم استَسْلف من رجُلٍ بكرًا[2]، فقدِمت عليه إبلٌ مِن إبلِ الصدقةِ فأمر أبا رافعٍ أن يَقضِيَ الرجُل بَكْرَه فرجَع إليه أبو رافع، فقال: لم أجِد فيها إلا خِيارًا رَباعِيًا، فقال: «أعطِه إيَّاهُ إن خِيارَ الناسِ أحسنُهم قضاءً»[3].

فنجد في هذا الحديث منهجًا كاملًا للتعامل عند أداء القرض؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام ردَّ بأحسن من القرض، وهذا يؤدي بنا إلى القول بجواز رد القرض بزيادة على ألا تكون مشروطة، وهذه الزيادة هي زيادة إحسانية وليست ربوية؛ إذْ لم ينصَّ عليها العقد.

فهذا أمر رغَّب فيه النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ رفع مكانة المدين الذي يقضي بأحسن مما استلف، فجعله عليه الصلاة والسلام من خيار الناس.

ولعل من أبرز معالم كيفية رد القرض في الحديث هو الحث على وفاء الدين، وقضائه بالأحسن كي لا ينقطع سبيل المعروف، ولا يشترط أن تكون زيادة مادية كما يجب أن لا يخلو وفاء الدين من الحمد، والثناء للدائن.

ولقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم الناس في القرض الحسن، وخاصة الدائنين الذين يداينون للأجر فقط، إذ جعل القرض الحسن أفضل من الصدقة بأضعاف كثيرة، كما ورد في حديث بريدة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة»، قال: ثم سمعته يقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يومٍ مثليه [4] صدقة»، قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثلُه صدقة»، ثم سمعتك تقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة»، قال: «له بكل يوم صدقة قبل أن يحلَّ الدين، فإذا حلَّ الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة»[5].

6- مسألة هامة:

لقد واجهت بعض الدول اضطرابات بسبب انخفاض قيمة العملة المحلية، وما كان من عموم الناس إلا تحويل عملاتهم إلى العملة الأجنبية الثابتة القيمة، وهذا قمة الخطورة حيث تزداد القيمة الشرائية للعملة الأجنبية، وتقل بالنسبة للعملة الوطنية،

---

(1) الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي (145/7).

(2) البَكر: الفتي من الإبل. الرباعي: ما دخل في السنة السابعة من الإبل.

(3) مسلم (1600).

(4) كذا في المسند، والجادة: «مثلاه»، وقد يخرج هذا على حذف المضاف وإبقاء عمله، كقراءة ابن جماز: (تريدون عرضَ الدنيا والله يريدُ الآخرةِ) بالجرّ على تقدير: والله يريد عرضَ الآخرةِ، وكقول بعض العرب: رأيت التيميَّ تيمِ فلانٍ، على تقدير: أحدَ تيمِ فلان، حكاه الفارسي، فيكون التقدير: «فله بكل يومٍ مقدارُ مثليه صدقة»، والله أعلم. ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك (271/3).

(5) أحمد (23096)، قال الهيثمي في المجمع (135/4): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وهذا طبقًا لنظام العرض والطلب، ويزداد الأمر خطورة بالنسبة لانخفاض قيمة العملة المحلية، ومن الممكن إرجاع هذا الأمر إلى الناحية الخُلقية؛ لأن بالتأكيد في موقف كهذا السعي لشراء العقارات، أو المصانع، أو الشركات كان هو السبيل الصحيح لحماية العملة المحلية لا اللهث وراء العملة الأجنبية، وسنقول هنا دور ترسيخ القيم الأخلاقية في مثل هذه المواقف.

وهذا أيضًا هو خُلق الانتماء، والتعاون، والحرص على الآخرين ، مما أشرنا إليه من قبلُ.

7- مسألة الكنز (عدم أداء الزكاة):

لقد حرم الإسلام كنز المال، فقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: 34].

والهدف الاقتصادي من هذا التحريم يكمن في أن كنز المال يعني انخفاض كمية الثروة المنتجة، ومن ثم تقليص فرص العمل، وحصول البطالة، مما يزيد الفروقات الاجتماعية، وحالات البؤس، وشظف العيش.

وهذا المنع من اكتناز المال ليس مجرد ظاهرة عرضية في التشريع الإسلامي، إنه يعبر عن أوجه الخلاف الخطير بين المذهب الإسلامي والمذهب الرأسمالي؛ فبينما تؤيد الرأسمالية استعمال النقد للاكتناز (بالإضافة إلى دوره كمقياس للقيمة، وأداة للتداول) وتشجع عليه بتشريع نظام الفائدة، إذ يحارب الإسلام الكنز بفرض ضريبة على المال المكتنز (الزكاة).

ومن مضار كنز المال الاقتصادية أيضًا، أن تجميع الثروات الكبيرة في أيدي الأفراد دون استثمارها، يؤدي إلى زيادة البؤس، والحاجة لدى الأغلبية العظمى من الشعب، وهذا يؤدي بدوره، إلى عجز هذه الطبقة عن استهلاك ما يشبع حاجتها من السلع، فتتكدس المنتجات دون تصريف، ويسيطر الكساد على الصناعة والتجارة، فتعم الإفلاسات مختلف النشاطات الاقتصادية، ويتوقف الإنتاج، وتستفحل المجاعات، كما في المعادلة التالية:

انخفاض الاستهلاك = كساد= توقف عن الإنتاج= زيادة بطالة= مجاعة

وهذا هو واقع بعض البلدان حيث نجدها لا تعمل على زيادة الإنتاج، بل تقوم بزيادة نسبة الفوائد الربوية للبنوك فيُفضل أصحاب رءوس الأموال تكنيزها بدلًا من التجارة، والمخاطرة بظروف السوق، واحتمالات الربح والخسارة، فيحدث الخطر الذي سبق ذكره، وهو:

كساد= توقف عن الإنتاج= زيادة بطالة= مجاعة

وهذا أيضًا هو خُلق الجُبن، والبخل، والأذى كخلق ذميم، مما أشرنا إليه من قبلُ.

وهكذا نجد أن قواعد المال في الإسلام حرمت اكتناز المال كما فرضت ضريبة (زكاة) على رأس المال المدخر غير المستثمر، أي على ثروات المجتمع المعطلة من النقود، والثروات الحيوانية والحلي المعدة للتجارة، وتهدف من وراء ذلك إلى تعبئة جميع الثروات، واستثمارها لمواجهة التنمية الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، وهذان نصان يبينان مدى حرص الشريعة على تنمية المال:

أ- عن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ابتغوا في أموال اليتامى لا تأكلها الصدقة"[1]. وفي هذا حثٌّ من عمر رضي الله عنه على التجارة في أموال اليتامى من أجل تنميتها حتى لا تأكلها الزكاة.

ب- روى الإمام مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنه قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق. فلما قَفَلَا مرَّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة، فرحَّب بهما وسهَّل، ثم قال: لو أقدِرُ لكما على أمرٍ أنفعُكما فيه، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريدُ أن أبعثَ به إلى أمير المؤمنين. فأُسْلِفُكماه، فتبتاعان به متاعًا من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤدِّيان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون لكما الربحُ. فقالا: وَدِدْنا. ففعل. فكتَب إلى عمر بن الخطاب، أن يأخذ منهما المال.

فلما قَدِمَا باعَا فأُربِحَا، فلما دفَعَا ذلك إلى عمر، قال: أكلُّ الجيش أسلَفه مثلَ ما أسلَفكما؟ قالا: لا. فقال عمر بن الخطاب: ابنا أمير المؤمنين، فأسْلَفَكما، أدِّيا المال وربْحَه. فأما عبد الله فسكَت، وأما عبيد الله، فقال: ما ينبغي لك، يا أمير المؤمنين هذا. لو نقَص المال أو هلَك لضَمِنَّاه. فقال عمر: أدِّياه، فسكت عبد الله، وراجعه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين، لو جعلتَه قِراضًا. فقال عمر: قد جعلتُه قِراضًا، فأخذ عمر رأسَ المال ونِصْفَ ربْحِه. وأخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب نصفَ ربحِ المال[2].

فهذا هو فقه الصحابة رضي الله عنهم في التعامل مع المال، وهذا ما تعلموه من النبي صلى الله عليه وسلم وفهموه من مقاصد هذه الشريعة الغراء.

8- مسألة الإسراف والتقتير:

ونهى - في الوقت نفسه - عن الإسراف، والتقتير.

قال الله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29].

وجعل المبذر بمثابة السفيه الذي يجب أن يُحجر عليه.

والغاية من ذلك، أن في تبديد الثروة وتقتيرها، منع باقي عباد الله من الاستفادة منها. ومنع إنتاج المواد ذات التكاليف الباهظة المبددة للثروة، والمشكلة تسبب عبئًا على الاقتصاد العام وكذلك المصاريف غير المنتجة التي تصرف على المظاهر، والاحتفالات لأن المحرومين من وسائل عيشهم أحقُّ بها، ويكفي أن نعلم حجم مليارات الدولارات التي تنفق حاليًّا على ألعاب الكرة وحدها في العالم كل عام، في الوقت الذي تموت فيه الملايين من الجوع، لنعلم فقط زاوية واحدة من زوايا التكاليف الباهظة المبددة للثروة التي تمتص موارد البشرية جمعاء.

وهذا أيضًا هو خلُق الإسراف كخلق ذميم والذي أشرنا إليه من قبل.

9- مسألة التبعية الاقتصادية للغير:

وحذر الإسلام من الوقوع في أخطار التبعية الاقتصادية للغير.

وهي في الواقع من أولى خصائص التخلف الاقتصادي في العالم الثالث:

---

(1) أخرجه البيهقي (7132)، وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد عن عمر رضي الله عنه.
(2) الموطأ (2534).

"لا خير في أمة لا تأكل مما تنتج، ولا تلبس مما تصنع".

ومن المعلوم أن التبعية الاقتصادية في هذه البلدان تصل إلى ما يزيد على 90% في غذائهم وكسائهم، وإنتاجهم، وأدوات إنتاجهم. الخ، بينما لا يتجاوز في البلدان الصناعية 20% ويبدو خطرها أشد ما يبدو من الناحية الغذائية:

فسلاح الغذاء، أشد خطورة من كافة الأسلحة، وأنه كان وراء انهيار الاتحاد السوفييتي -كما رأينا- إذ لم تتردد أمريكا في استعماله في الماضي والحاضر، ومن أخطاره أيضًا أن يمنع من وصول المواد الغذائية عوائق طبيعية من زلازل وأعاصير، أو فيضانات، أو جفاف... إلخ تقضي على المزروعات في البلد المصدر نفسه أو حتى الحروب، (وما أكثرها!).

كما أن الاعتماد على الغير في تغذية الشعوب يخشى معه تعريضها إلى أخطار صحية عن قصد أو غير قصد، من جراء استيراد مواد فاسدة، أو سامة، أو مشبعة بالهرمونات... الخ، كما يحصل من وقت لآخر، مثال: لحوم البقر البريطانية المجنونة، والدجاج البلجيكي، والألبان ومشتقاتها، والزيوت الأسبانية، مما تطالعنا به الأخبار كل يوم.

وهذا أيضًا هو نتيجة خلُق الفساد، والخيانة، وعدم الانتماء كخلُق ذميم، مما أشرنا إليه من قبلُ.

10- مسألة سوق الأوراق المالية بين السلبيات والإيجابيات:

ففي المتاجرة بالأسهم في هذه الأسواق مجموعة من السلبيات أهمها ما يأتي:

أ- حجب الثروة الثمنية -النقدية- عن التنمية الاقتصادية للبلاد، فيما يتعلق بعمارتها، وتوسيع نشاط وسائل الإنتاج فيها، من صناعة، وزراعة، وتجارة، تتمثل في تنشيط الأسواق، والاستيراد، والتصدير، وتوجيه السيولة المتوفرة لدى الشركات إلى توسيع نشاطها، ووسائل إنتاجها، وفي حال حاجتها إلى السيولة ترجع لتغطية هذه الحاجة إلى المصارف الإسلامية؛ فهذه من أهم سلبيات سوق الأسهم.

ب- إقبال محدودي الدخل على الدخول في هذه الأسواق، بأموال ما بين ديون محملة بها ظهورهم، وأموال هي قيم بيوتهم، وسياراتهم، ومواشيهم، وحلي نسائهم، وهم بذلك في حال مغامرة ما بين رابح وهم قليل، وخاسر، وهم الأكثر.

ج- التفريط في الأداء الوظيفي، من تعليم، وعمل، وفي القطاعين العام والخاص؛ فقد استهوت أسواق الأسهم كافة شرائح المجتمع بما في ذلك المدرسون، والموظفون، فصرفت بذلك أفكارهم عن أعمالهم، بل صرفت أجسادهم عن كراسي أعمالهم، حينما يتسربون إلى أماكن يختفون بها عن أعمالهم ليباشروا مراقبة السوق عبر الشاشات المختلفة.

د- انصراف مجالس إدارة الشركات إلى استثمار السيولة المتوفرة لديهم في سوق الأسهم، وحجبها عن توسيع نشاط الشركة، وتنمية إنتاجها، مما يعود عليها خاصة، وعلى البلاد عامة بالنفع، والرخاء، والازدهار.

وهذا أيضًا هو نتيجة خلُق الطمع، والخيانة للأمانة كخلُق ذميم، مما أشرنا إليه من قبلُ.

في حين استخدام هذا الفائض من رءوس الأموال في مشروعات حقيقية سيؤدي إلى استثمار حقيقي يزيد من الناتج القومي، وسيكون سببًا لإنهاء مشكلة البطالة، وعدم

ركود رأس المال وعدم الزيادة في سوء توزيع الثروات كما سيساهم في رفع معدلات التنمية الاقتصادية.

والبديل هو الأسواق المالية الإسلامية.

11- الأسواق المالية الإسلامية:

مبادئها وأدواتها:

السوق المالية إحدى أجهزة الوساطة المالية الهامة في الاقتصاديات المعاصرة, لأن هذا الجهاز يوفر للمستثمر الضمان، والسيولة، والربحية, والتوازن بين هذه الأهداف، وهي طموح أي مستثمر, ولهذا السبب اهتم الباحثون في الاقتصاد الإسلامي بهذه الأسواق، وذلك من خلال استحداث أدوات متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية, لكي يتسنى لجمهور المتعاملين المسلمين التعامل بهذه السوق بدلًا من حرمانهم من فوائدها، ومميزاتها، ونعرض فيما يلي أهم مبادئ هذه الأسواق:

أ- الالتزام بالضوابط الأخلاقية والشرعية:

بشكل عام تدخل الإسلام بهيكل السوق، فقد حرم كل عقد يؤدي إلى الربا، والظلم، والغرر، والغبن، والتدليس, وفلسفة الإسلام في ذلك أنها شروط أساسية للمنافسة الأكفأ الشريفة, وبطبيعة الحال ينطبق هذا المبدأ على السوق المالية الإسلامية, أي السوق المنضبطة بالضوابط الشرعية, ولم يتدخل الإسلام بآلية السوق (العرض والطلب) لأنها من الحريات الطبيعية التي أقرتها الشريعة الإسلامية كشرط مكمل وكافي لأداء السوق بكفاءة.

ب- الاستثمار الحقيقي وليس الوهمي:

في الأسواق المالية المعاصرة تكثر المضاربات غير الأخلاقية من بعض المتعاملين بالسوق المالي؛ فيقومون بشراء الأوراق المالية، ثم بيعها ليس بغرض الاستثمار أو الاسترباح، ولكن بغرض التأثير على الأسعار لصالحهم، وهذا ما يؤدي إلى ظهور ميول احتكارية في هذه الأسواق, لكن في السوق الإسلامية لا توجد مثل هذه المضاربات؛ لأن الناظر في العقود الإسلامية يرى أنها عقود تهدف إلى الاستثمار الحقيقي وليس الوهمي، مثل المشاركات، والبيوع، والإجارات، وغيرها من العقود, بالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام قد حرم الاحتكار فقال عليه الصلاة والسلام: : «من احْتكَر فهو خاطئٌ»[1].

ج- المساهمة الحقيقية في التنمية الاقتصادية:

إن من شروط تحقيق قيمة مضافة في الاقتصاد أن تكون الاستثمارات فيه حقيقية, وهذا ما تتميز به الأسواق المالية الإسلامية كما ذكرنا آنفًا, وهذا مبدأ مهم من مبادئ الاقتصاد الإسلامي, إذْ إنه لا يوجد تناقض بين الأهداف الكلية للمجتمع في التنمية الاقتصادية، وآلية تعامل الأفراد في السوق الإسلامية.

12- مسألة التعليم والحفاظ على الهوية الإسلامية:

إن التعليم هو الركيزة الأساسية لتطوير أي مجتمع، وبدون تعليم متمسك بالأخلاق، والهوية الإسلامية الأصيلة فلن يحدث التقدم المنشود مع ملاحظة ضرورة مراعاة طريقة مواجهة التغيرات الاقتصادية، والاتجاهات العالمية في نموها المطرد.

---

(1) مسلم (1605).

"وبما أن في رابطة الإسلام حافزًا قويًّا، وعاملًا باقيًا لأحكام التوجه، ولتنسيق سياسات الدول الإسلامية في مختلف ميادين التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، ولتوثيق علاقات التناصر والتعاون، والمرحمة بين شعوب الأمة في رفع ما يعوق سيرها من ألوان التبعية، ويجابهها من التحديات المعاصرة، وفي بلوغ ما تسعى لتحقيقه من رقي، ومنعة، وازدهار.

يوصي أيضًا بما يلي:

أ ـ الذود عن العقيدة الإسلامية، وتمكينها بصورتها النقية من الشوائب، والتحذير من كل ما يؤدي إلى هدمها، أو التشكيك في أصولها، ويقسم وحدة المسلمين، ويجعلهم مختلفين متنابذين.

ب ـ تأكيد عناية مجمع الفقه الإسلامي بالأبحاث والدراسات الفقهية التي ترمي إلى مجابهة التحديات الفكرية الناشئة عن مقتضيات المعاصرة، واهتمام الفقه الإسلامي بمشكلات المجتمع واعتماده كعنصر أساسي في النهضة الفكرية للأمة، وتوسيع دائرة اعتماده فيما تُسنه الدول الإسلامية من تشاريع وقوانين في عامة شئون المجتمع.

جـ ـ وجوب التناسق الوثيق في ميدان التربية والتعليم مضمونًا، ومنهاجًا على السبيل القويمة للحضارة الفكرية التي بناها الإسلام بغية تكوين أجيال من المسلمين متوحدين في المرجع التعبدي متقاربين في التوجه الفكري متشاركين في الاعتزاز بالانتساب الحضاري.

د ـ إعطاء درجة عالية من الأولوية للبحث العلمي في مختلف ميادين المعرفة، وتخصيص نسبة 1% من الناتج الإجمالي لتمويل البرامج البحثية، وإنشاء المخابر العلمية على أساس وثيق من التكامل، والتعاون بين الجامعات الإسلامية.

هـ ـ العمل مع الجامعات الإسلامية على ضبط برنامج دراسي يتألف من عدد من المحاور الكبرى تكون غرضًا للبحث الفقهي (الاقتصادي)، وإنشاء لجنة عليا من المفكرين المسلمين لمتابعة هذه الأبحاث وإجازتها، وتخصيص جائزة تفوُّق لمكافأة أحسنها.

و ـ أن يكون الإعلام في بلاد المسلمين بكل أنواعه المسموعة، والمقروءة، والمرئية إعلامًا هادفًا إلى تحقيق العبودية لله في أرضه، وبث الخير، ونشر الفضيلة، والتحرر من المبادئ الهدامة للفكر والخلق، والملحدة في دين الله، والمنحرفة عن الصراط المستقيم، ودعم جهود توحيده.

ز ـ إقامة اقتصاد إسلامي لا شرقي ولا غربي، بل اقتصاد إسلامي خالص مع إقامة سوق إسلامية مشتركة، يتعاون فيها المسلمون على الإنتاج، وتسويقه دون الحاجة إلى غيرهم؛ لأن الاقتصاد ركن مهم من أركان قيام المجتمعات، وتكامله سبيل للوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية"[1].

انطلاقًا من أن (إسلامية التعليم) في الديار الإسلامية اليوم ضرورة لا مناص منها لبناء الأجيال الإسلامية بناء سويًّا متكاملًا في الفكر، والتصور، والسلوك، والعمل، وذلك بجعل جميع العلوم محكومة بالإسلام في المنطلقات، والأهداف، وأن يكون

(1) مرجع سابق، د. وهبة الزحيلي (146/7).

الإسلام بنظمه، وضوابطه إطارًا لهذا العلوم، وأن تكون العقيدة الإسلامية قاعدة وأصلًا في بناء المنهج التربوي والتعليمي.

"تتلخص أهم معالم المنهج المنشود في (إسلامية التعليم) فيما يلي:

أ ـ جعل العقيدة الإسلامية قاعدة التصور الإسلامي الكبير الذي يعطي نظرة كلية شاملة للكون والإنسان والحياة، كما تعرِّف الإنسان بخالق الحياة، وعلاقته بالكون، وعلاقة الإنسان بخالقه وبمجتمعه.

ب ـ اتخاذ الإسلام محورًا للعلوم الاجتماعية، والإنسانية، والاقتصادية، والسياسية، وإبراز نظرياته الإنسانية، وتعلقها بخالق الكون، والإنسان، والحياة بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية العاملة في هذا المجال كالمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والمنظمة الإسلامية للتربية، والثقافة والعلوم.

جـ ـ العمل على إظهار فساد ما يخالف العقيدة الإسلامية من علوم مادية، وملحدة، وأخرى مضللة كالكهانة، والسحر، والتنجيم، والتحذير من العلوم التي ذمها، وحرَّمها الإسلام، وكذلك العلوم التي تقوم على الفسق، والفجور.

د ـ إعادة كتابة تاريخ العلوم، والمعارف، وبيان تطورها، وإسهامات المسلمين في كل منها وتنقيتها مما دُسَّ فيها من نظريات إستشراقية، وتغريبية تحرِّف المسار التاريخي الحق، وإعادة النظر في تصنيف العلوم، ومناهج البحث وفق النظرة الإسلامية من خلال أنشطة مراكز ومعاهد البحث العلمي، ومراكز الاقتصاد الإسلامي في شتى البلاد الإسلامية.

هـ ـ إعادة الوشائج بين العلوم التي تبحث في الكون، والإنسان، والحياة وبين خالقها، فإن العالم الباحث في هذه المجالات يجب أن ينظر فيها على أنها تمثل الإبداع الإلهي، والصنعة الربانية المحكمة.

و ـ وضع الضوابط والقواعد المستخلصة من الدين الإسلامي، أو المنسقة مع أهدافه، وغاياته لأن تكون مبادئ لجميع العلوم، أو لعلم واحد منها، وإبراز عيوب المناهج الغربية التي أقامت فصامًا موهومًا بين الدين والعلم، أو بنت العلوم بناء خاطئًا كعلم التاريخ، والاقتصاد، والاجتماع.

وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن هناك مشروعًا يشكل ظهيرًا لإسلامية التعليم؛ بل ربما كان من الوسائل الضرورية له، وهو مشروع (إسلامية المعرفة)، وينهض (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) بمتطلباته من حيث التخطيط، ورسم سبل التنفيذ من خلال مقالات، ومؤلفات وندوات والله الموفق"[1].

وهذا أيضًا هو خلُق ترسيخ العلم النافع الذي أشرنا إليه من قبلُ.

13- مسألة التضخم:

وهو يعني تغيُّر قيمة العملة حيث تمر العملة النقدية في بعض بلدان العالم في فترات حرجة بسبب ما يؤثر عليها من هزّات اقتصادية قد تكون إيجابية بسبب النمو، والازدهار الاقتصادي وقد تكون سلبية بسبب التدهور الاقتصادي، وتدني الوضع المالي لذلك البلد.

---

(1) المرجع السابق (147/7، 146).

"والعملة النقدية تأخذ نوعين من التغير عادة في البلدان التي تشكو من ضعف في القوة الاقتصادية يتمثل في استمرار ارتفاع الأسعار بمعدلات منخفضة نسبيًّا تقدر بـ2%، وهذا ما يسمِّيه أهل الاقتصاد بالتضخم الزاحف Creeping Inflation.

ومثل هذا النوع من التضخمات لا يؤثر على التعاملات المالية بصورة عامة، سواء بين الأفراد أو الهيئات، أو حتى بين الدول، فهو تضخم ناتج عن الانحدار البسيط، والتراجع في قيمة العملة النقدية بسبب الأوضاع غير المستقرة، وهناك تغير فاحش يتمثل في استمرار ارتفاع الأسعار بمعدلات مرتفعة نسبيًّا تتجاوز 50%، وهذا ما يسمِّيه أهل الاقتصاد بالتضخم الجامح Hyper Inflation، هذا النوع يولِّد انهيارًا في قيمة العملة، والتي تبدأ بالانخفاض في قيمتها الحقيقية، وقد تنتهي إلى فقد ثمنيتها، ومثل هذا لا شك يؤثر كثيرًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما يؤثر على أنواع التبادلات التجارية، والتعاملات المالية.

ففي دول جنوب شرقي آسيا مثلًا تراجعت أسعار صرف العملات مقابل الدولار في كل من إندونيسيا بنسبة 83. 2%، وفي تايلاند 40. 1%، وفي ماليزيا 39. 8%، وفي الفليبين 36. 2% وفي كوريا الجنوبية 35%، وفي تايوان 19. 2%، وفي سنغافورة 15. 4%، وفي هونج كونج. 1%، خلال الفترة من منتصف عام 1997م، وحتى بداية تموز/ يوليو 1998م.

ومثل جنوب شرق آسيا دول كثيرة كما هو الحال في بعض بلدان العالم كتركيا، والعراق والسودان، وغيرها"[1].

وعند مقارنة قيمة العملة بالسلع في بعض دول العالم؛ فإن العملة تتغير مقارنة بالسلع بشكل واضح في أبسط أمور الحياة، فقد يرتفع سعر طبق البيض مثلًا من دينارٍ واحد إلى30 دينار خلال فترة وجيزة جدًّا نتيجة انهيار العملة ليشير إلى ارتفاع السعر دون تغير القيمة، فالبيض قيمته بنفسه لم يتغير إلا أن سعره تجاوز كل أنواع التضخمات، وكل فروق الحسابات.

ومن هنا فإن تغير السعر بثبات القيمة يمكن أن يطلق عليه مصطلح التضخم الذي اقترن مفهومه بمعنى الارتفاع العام في مستوى الأسعار مهما كانت درجته ومهما كانت أسبابه[2]، إلا أن التضخم يأخذ عدة تعريفات بسبب تعدد أنواعه، وتولد أسبابه، وبادئًا فهناك تعريفان أحدهما للماليين، والآخر للاقتصاديين لنفس المصطلح:

فعلى حد تعريف التضخم عند الماليين: فهو زيادة الطلب الكلي الاستهلاكي على العرض الكلي نتيجة التوسع في الإصدار النقدي الجديد، أو التوسع في الائتمان الصيرفي الذي يترتب عليه ارتفاع مستمر في الأسعار، وانخفاض في قيمة النقود[3].

---

(1) شذا جمال. . . سلسلة دراسات استراتيجية: الأزمة المالية والنقدية في دول جنوب شرقي آسيا (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2001م، العدد (51)، (ص18).

(2) مضر نزار: أحكام تغير قيمة العملة النقدية وأثرها في تسديد القرض (عمّان: دار النفائس للطباعة والنشر، ط1، 2000م)، (ص49).

(3) د. غازي حسين: التضخم المالي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة) (1405هـ-1985م)، (ص9).

أما التعريف الاقتصادي للتضخم: فهو زيادة الطلب الكلي الاستهلاكي على العرض الكلي الذي يترتب عليه ارتفاع مستمر في الأسعار، وانخفاض في قيمة النقد (وذلك نتيجة عوامل نقدية كما في حالة التضخم المالي)، أو عوامل عينية (هيكلية) تعود لطبيعته البنيانية لتحقق مرحلة التوظف الكامل بالنسبة للاقتصاديات المتقدمة، أو جمود البنيان الإنتاجي بالنسبة للاقتصاديات النامية[1].

ويُورد الاقتصاديون أسبابًا تفسيرية لحدوث التضخم تختلف باختلاف نوع التضخم الحادث، إلا أن من أكثر التضخمات حدوثًا هو التضخم النقدي[2]. والذي يُعد أحد أبرز أنواع التضخم.

لذا حاولنا الإحاطة بشكل "موجز بالأسباب الرئيسة المنشأة لجميع حالات التضخم من خلال ما عرضه علماء الاقتصاد في مؤلفاتهم وهو كما يأتي:

أ- أسباب التضخم:

- الاختلال بين العرض والطلب.
- ارتفاع التكاليف.
- ارتفاع الأجور بسبب ارتفاع الأسعار.
- ارتفاع سعر الفائدة.
-ارتفاع أسعار السلع التي يتم إنتاجها في الاحتكار، أو منافسة القلة.
- ارتفاع معدلات الأجور.
-ارتفاع أثمان المواد الخام، أو المواد الغذائية المستوردة مما يزيد من نفقات الإنتاج.
-التوسع في الاستهلاك.
-اختلال التوازن بين الاستهلاك والاستثمار.
-ثم النفقات العامة، والتي تتطلب رءوس أموال كبيرة دون أن تؤدي في غالب الأحيان إلى أي إنتاج كالمصاريف العسكرية، والمصاريف المنفقة على الصحة، والتعليم، وغيرها. كل هذه تؤدي إلى التضخم"[3].
- زيادة طباعة الأوراق النقدية بدون اتزان مع العمل على زيادة الإنتاج.

والتصرف الذي تفعله الحكومات هو رفع المعدلات للفوائد البنكية ليزيد الإيداع بالبنوك، وهذا رغبة منها في الاستفادة بالتدفقات النقدية لحل مشكلات قروضها الخارجية مع الزيادة في طباعة الأموال؛ لتغطي الفوائد البنكية للقروض طويلة الأجل، ولكن في الواقع الذي يحدث مما تبيَّن نجد إن موجات الارتفاع، والانخفاض في قيم الأوراق النقدية تؤدي حتمًا إلى زعزعة الثقة بالأوراق المحمولة، فتكون النتيجة الحتمية في ظهور النزاعات والخصومات، في دور القضاء والإفتاء طلبًا لحقهم خارج

---

(1) د. غازي حسين: تمويل التنمية الاقتصادية بالتضخم المالي (بيروت: دار الجيل، طبعة 1، 1411هـ-1991م)، (ص20).

(2) التضخم النقدي: وهو الذي يربط التضخم بالمعطيات النقدية، وهو اتجاه النظرية الكمية، أي كل زيادة في كمية النقد المتداول تؤدي إلى زيادة في المستوى العام للأسعار.

(3) د. عبد المنعم محمد: الاقتصاد الإسلامي: النظام والسكان والرفاه والزكاة (جدة: دار البيان العربي، طبعة 1، 1405هـ-1985م) (1/445-447).

دائرة العقود المبرمة، وفي ضوء التضخم وأثره على القيمة النقدية لكل من الدائن والمدين ينتهي الأمر إلى ما يأتي:

الدائنون الذين أقرضوا قرضًا طويل الأجل يخسرون عند هبوط قيمة النقود، وارتفاع الأثمان لأنهم يتقاضون من المدين المبالغ الاسمية المتفق عليها في عقد القرض التي لا ترتفع بارتفاع الأسعار.

أما المدينون الذين اقترضوا قبل ارتفاع الأسعار؛ فإن سداد الدَّين يكون في صالحهم لأنهم لا يسددون إلا المبالغ الثابتة بموجب عقود سابقة على ارتفاع الأثمان، وهذه قد قلَّت قيمتها الحقيقية رغم ثبات قيمتها الاسمية.

في المقابل، وفي حالة الانكماش على القيمة النقدية لكل من الدائن، والمدين:

فإن الدائنين بمبالغ ثابتة يتحصلون على فائدة كبيرة؛ لأنهم يستردون القيمة الاسمية لديونهم في حالة ارتفاع قيمة العملة الورقية، وهبوط الأثمان.

لكن العبء يقع على عاتق المدينين الذين يجب أن يردوا الديون بقيمتها الاسمية رغم ارتفاع قيمتها الحقيقية. وهذا أيضًا خُلُق الربا وعواقبه الوخيمة من تضخم وخلافه الذي أشرنا إليه من قبلُ.

14- مسألة التعاون الاقتصادي الإسلامي:

العقبات التي تواجه التعاون الاقتصادي الإسلامي

تواجه الأمة الإسلامية مشاكل كبيرة جدًّا معقدة ومتنوعة؛ تاريخية، وأيديولوجية، وسياسية، وثقافية، واقتصادية، واجتماعية.

ولقد زاد من حدتها المحيط العالمي، من خلال عالمية الاقتصاد، وإقامة نظام اقتصادي دولي غير عادل يميل بكل معطياته لتحقيق مصلحة البلدان القوية ذات السيطرة الإعلامية، والثقافية، والتكنولوجية، والتفوق العسكري.

فعالمنا الإسلامي تمزقه الصراعات والحروب، والسياسات غير المتزنة، إضافة إلى التحديات الاقتصادية والاجتماعية، والتي يأتي في مقدمتها: (التخلف، والفقر، والمرض، والجهل، والبطالة، والسلبية التي يعيشها عالمنا اليوم، والمديونية الخارجية، وانعدام الأمن الغذائي، وضعف البنية الأساسية، والاعتماد على الغير).

إن العالم الإسلامي ليس فقيرًا في موارده المتنوعة، ولكنه يعاني من حالتين إما موارد غير مستغلة أصلًا، وإما موارد مستعملة في غير محلها فهي معرضة للهدر، أو الضياع، أو الإسراف.

إن البلدان الإسلامية لا تنقصها الأموال إلا أن معظمها مهجَّر إلى الأسواق المالية العالمية، وفي نفس الوقت تتجه معظم البلدان الإسلامية إلى الاقتراض من الأسواق المالية الأصلية بأسعار وفوائد مرتفعة.

ويستثنى من ذلك الدول النفطية الرئيسة التي ليس عليها ديون خارجية، والبلدان الإسلامية التي يتوفر فيها موارد طبيعية ضخمة؛ فهناك الأراضي الخصبة المنتجة إلا أن قطاعها الزراعي قد تُرِكَ متخلفًا، وأهمل إلى درجة أن العجز الغذائي بلغ أرقامًا مخيفة يتم سده عن طريق الواردات المتزايدة.

وتمتلك البلدان الإسلامية من الخبرات الكثير إلا أن الهجرة إلى الخارج أصبحت مطلب الكثير من هذه الخبرات نتيجة للعوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تعيشها بلداننا الإسلامية.

إن العالم الإسلامي يستند إلى نظام عالمي إلهي يقوم على الوحدة، والأخوة، والتضامن والتعاون، والعدالة الاجتماعية، ويدعو إلى السِّلْم، والانضباط، ونبذ العنف، والإرهاب، وأن ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من تخاذل، وانحطاط، وسلبية أمام أعدائها إنما هو بسبب الابتعاد عن تعاليم الإسلام، وأخلاقه، ومبادئه المشروعة في كل المجالات، إنه لا يصلح حال أمتنا اليوم إلا بما صلح به حالها في السابق في القرون الأولى، والعمل الجاد على تغيير الأنظمة الاقتصادية، والسياسية القائمة، وتطبيق مبادئ، وقيم الإسلام في جميع المجالات، ومن ذلك المجال الاقتصادي، والعمل على إعداد إستراتيجية للتنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وفق نمط إسلامي للعودة إلى هويتنا الإسلامية حتى تستطيع الوقوف أمام التحديات التي تواجه أمتنا، وإيجاد الحلول المناسبة لمعظم القضايا المعاصرة.

يقول الله تعالى: {إِنَّ الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]. فالتغيرات لا بد أن تقوم بوسائل الإقناع التربوية، والسياسية، والدينية، كما أن التغيير لا بد أن يصاحبه عدالة في التوزيع، وتنمية مستمرة في مختلف المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، وأن يكون مناط التغيير القضاء على معظم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، ومنها:

أ- القضاء على الفقر، وتخفيض عدد الفقراء في المجتمع بضمان دخل أدنى لهم، وتوفير الحاجات الأساسية كالغذاء، والكساء، والسكن، والنقل، والعلاج.

ب- محاربة البطالة بالعمل على إنشاء، أو خلق فرص عمل بهدف التشغيل الكامل الذي يتم تحقيقه على مراحل متعددة، ومتتالية.

ج- العناية بتنمية الموارد البشرية، ومضاعفة نفقات التنمية، وخاصة لقطاعات التربية والتعليم، والتدريب، والصحة، والتكنولوجيا.

فالموارد البشرية يجب أن يكون لها مركز متقدم في أي سياسة اقتصادية، واجتماعية.

د- العمل على استثمار وتنمية الموارد الطبيعية، واستغلالها بشكل جيد دون إسراف، أو هدر؛ فالإسلام يشجع كل مبادرة تنموية، ويحث على العمل، وإنعاش الاستثمار، وإنماء الثروات لبناء مجتمع قوي وفقًا لاقتصادنا الإسلامي.

هـ- تقليص الفجوة التكنولوجية، وذلك بالعمل على الاستثمار في مجالات واستخدامات التقنية، وتطويرها بما يخدم قضايا الأمة الإسلامية.

ويجب على جميع الدول التعاون للتخفيف من حدة هذه المشكلات بالعمل الجاد على تقليصها في دول العالم الإسلامي، إلا أن مواجهة تلك التحديات يتطلب تطبيق سياسات عادلة تعمل على تحقيق العدالة في بناء المجتمع الإسلامي، إذ إنه يعتبر مطلبًا من مطالب التنمية الاقتصادية، والذي عجزت عن تحقيقه كثير من الأنظمة الاقتصادية الوضعية.

كما يتطلب اندماج السلطات في البلدان الإسلامية مع الجماهير، وإيجاد نوع من التلاحم بين المؤسسات، والقائمين عليها من جانب، والجماهير من جانب آخر، ولن يكون هذا إلا بالآتي:

- احترام القيم الإسلامية وحماية الحريات.
- تطبيق المنهج الاقتصادي الإسلامي.

- إنهاء قضية التبعية الاقتصادية للخارج.
- التخطيط السليم وفق أحكام الشريعة الإسلامية؛ باستخدام العلم والعقل.
- التمسك بالهوية الإسلامية، وحرية الإنسان المسلم.

وهذه الأمور كلها يمكن حلها عن طريق أساسي واحد نبدأ به، وهو ترسيخ القيم الأخلاقية والتي لو تم استعراض المشكلات السابقة كلها سنجدها في كل مشكلة لها حل بترسيخ قيمة من القيم الأخلاقية التي تم ذكرها..

فإن حل جميع المشكلات في دول العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة لا بد أن تكون البداية بترسيخ القيم الأخلاقية، ولقد شاهدنا اليابان كنموذج لدولة بدأت من الصفر، ونشاهد الآن كيف أصبحت، وهذا لم يأت من فراغ، ولكن بتعليم النشأ من الصغر الأخلاق علمًا، وعملًا فنشأ جيل لديه انتماء، ورغبة في العمل للأحسن والإتقان، وأن يكون في المقدمة.

15- مسألة التمكين:

سنعرض من القصص القرآني صورًا للتمكين وعلاقتها بالبناء الاقتصادي:

أ - التمكين وأنبياء الله يوسف وشعيب وموسى وهود ولوط عليهم السلام:

"وفي الوقت الذي تعاني فيه بعض الدول الإسلامية من مشاكل اقتصادية كبيرة تعبر قصة يوسف عليه السلام عن منهجية علمية سليمة لإدارة الأزمات تخطيطًا وتنفيذًا ونجاحًا ومسئولية اجتماعية مع دول الجوار، فقد كان له ما أراد في التغلب على مشكلة القحط.

أما شعيب عليه السلام والملقب بخطيب الأنبياء لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاء قومه إلى الإيمان برسالته و[الانتهاء] عن انحرافهم الاقتصادي وفسادهم في الأرض وتشويههم البنية الاقتصادية المعنوية والمادية، فقد كانوا يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيها، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص، وهي أمور لا يستقيم معها العمران الاقتصادي ولا السلام الاجتماعي.

أما قصة موسى عليه السلام مع الفرعون، فهي قصة متعلقة بالاستبداد السياسي وآثاره السلبية والتدميرية للحياة، فقد كان فساده فسادًا واضحًا، بيِّنًا ظاهرًا جليًّا، لا يخفى عواره، وكذلك كانت البلطجة السياسية من قوم عاد لنبي الله هود عليه السلام عندما دعاهم إلى التوحيد.

وقد أثبتت التجارب العالمية الاقتصادية الناجحة أنه لا يمكن نهوض الأمم إلا بالشورى واعتدال السياسة وإذا كان العنصر البشري واستمراريته هو أساس العمران بالكيفية التي أرادها الله سبحانه وتعالى والمخالفة لقرارات مؤتمرات السكان الغربية التي تدعو إلى تحديد الإنجاب والموافقة على زواج المثلين فقد جاءت قصة لوط عليه السلام لتبين خروج قومه عن منهج الله في العلاقات السوية بالزواج إلى العلاقات الشاذة حتى أخذتهم الصيحة. وأخيرًا يقول الإمام علي كرَّم الله وجهه: القرآن الكريم بحر عميق لا يدرك غوره ولا تفنى عجائبه. فهل نتدبر القرآن"[1].

ب - ذو القرنين والتمكين:

---

(1) مرجع سابق، د. عادل حميد يعقوب، مقال الاقتصاد والقصص القرآني، 18 فبراير 2017 - 7: 10.

"وقد حثَّ القرآن الكريم على العمل والإنتاج وربط بين تعاونهما عند الله تعالى حتى أصبح العمل جزءًا من الإيمان، كما أكد القرآن الكريم على القوة والهمة العالية في العمل، كما في قصة ذي القرنين عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، كما قاوم فكرة تعطيل بعض الثروات الطبيعية وتجميد بعض الأموال وحبسها عن مجالات الانتفاع والاستثمار، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

كما نهى القرآن الكريم عن الفساد في الأرض بأي صورة من الصور، حتى إن الربا والغش في الكيل والتطفيف من كبائر الذنوب، كما أكد القرآن الكريم على تنويع المجالات الاقتصادية، فالزراعة والصيد والتجارة والصناعة والمعادن تعدد ذكرها في الآيات الكريمات"[1].

16- مسألة ترسيخ خلُق النظافة وأثره على التنمية الاقتصادية:

لو أخذنا مثالًا عمليًّا من خلال دولة كمصر كم تنفق من أموال بسبب سوء هذا الخلُق، وكم يسبب ذلك من أمراض، وزيادة عدد المرضى في المستشفيات، هذا من جهة أخرى عبأ على الدولة، وبسبب عدم الإحساس بأهمية النظافة تجد العمال الذين يصل عددهم في الشوارع إلى 5000 عامل؛ يقومون بكنس الشوارع يوميًّا بخلاف 5000 موظف إداري؛ في حين لو تم توفير هذا الجهد، وهذه المرتبات للعمل في شيء إنتاجي أكثر ضرورة؛ فبعملية حسابية 10000عامل وموظف، عدد العمال 5000 ضرب في 1200ج مقدار راتب شهري = 72 مليون جنيه سنويًّا مرتبات؛ بخلاف الموظفين 5000 ضرب متوسط 2000 ج راتب شهري = 120مليون جنيه سنويًّا، أي المجموع 192 مليون جنيه على أقل تقدير سنويًّا تُنفق لخلل بسبب عدم ترسيخ خلُق النظافة في نفوس الناس؛ فلو كل شخص احتفظ بالورق الذي يريد أن يرميه حتى يصل إلى أقرب صندوق نفايات، ويتم وضعه فيه لانتهت المشكلة هذا الأمر الذي يوفر للبلاد الكثير من المدخرات للسعي قدمًا نحو زيادة التنمية الاقتصادية[2]، والحادث الآن أن شركة أسبانية إيطالية هي التي تباشر هذه العملية مقابل عائد تدفعه لها الحكومة، وبكل الأسى الحكومة المصرية عجزت، والشركة الإيطالية الأسبانية لا تستطيع العمل بكفاءة لتسد فجوة عدم النظافة بالشوارع، والميادين، وهذا مشاهد للجميع، وخاصة خارج الأحياء الراقية.

ولو وضعنا تعداد لحالات الإصابة بالأمراض بسبب التلوث الناتج عن إلقاء النفايات في الشارع لوجدنا بندًا آخر لا يقل عن السابق يتم إهداره بسبب الحالات التي يتم الإنفاق عليها في المستشفيات بسبب الأوبئة، والأمراض الناتجة عن تراكم النفايات.

فكم من الأموال سيتم توفيرها عند ترسيخ هذا الخلُق؛ على أقل تقدير نصف هذه المبالغ، وبالتالي سيكون هناك فرص مضافة استثمارية للتنمية الاقتصادية ستعود نفعًا على البلاد.

---

(1) المرجع السابق، د. عادل حميد يعقوب، مقال تأملات اقتصادية في القرآن الكريم، 19مارس2016 - 23: 37.

والمعمول به في الدول الغربية هو تطبيق غرامة على من يقوم بإلقاء نفايات في الشارع، وهذا مناسب جدًّا لوضعنا الحالي؛ ليكون هناك الزجر، وفي نفس الوقت يتم ترسيخ هذا الخُلُق في مدارسنا، وجامعاتنا، وبين أطفالنا من الصغر.

ومن جهة أخرى يلزم توفير العبوات، والحاويات التي يتم إلقاء النفايات فيها، وتوزيعها بشكل منتظم، وعمل عقوبة رادعة لمن تسول له نفسه سرقتها كأن يعاقب في ميدان عام، ليعلم جميع الناس مصيره؛ ليكون عبرة لأن هذه سرقة أموال عامة، وهي من جملة أموال المسلمين والشعب بأكمله، وبذلك يكون الوجه الحضاري للشارع، والذي له أثره على التنمية الاقتصادية بشكل عام.

ومشاهد للجميع كيف أن بعض الدول بسلوكها الحضاري في النظافة عملت على تقوية حركة النشاط السياحي في بلادها، وهذا بدون شك له مردود اقتصادي عالٍ جدًّا، وخاصة إذا كان مدعومًا بالقيم والأخلاق، فسنجد العائد الاقتصادي فيه من البركة، والتي هي إحدى مرادفات التنمية كما ذكرنا، ومن جهة أخرى نجد بلادًا تصد غير المسلمين عن سبيل الله، وتجعل الأثر السيئ في نفوسهم، ويقولون عندما يجدون عدم النظافة في الشوارع، والميادين أهذا دينهم؟ أهذه حضارتهم، ورقيهم؟ وبالتالي يحدث أيضًا مردود ضعيف جدًّا من السياحة الخارجية".

17- مسألة ترسيخ البعد عن خُلُق الفساد الاقتصادي وأثره على التنمية الاقتصادية:

نحن أولًا في حاجة إلى توزيع عادل للثروة، واحترام قرارات الشعوب، الأمر الذي بدونه يؤدي إلى الفساد الاقتصادي، وشيوع الرشوة والمحسوبية، ومن ثم حدوث الاختناق الاجتماعي وبالتالي الانفجار السياسي، والأمني.

ثم نحن في حاجة إلى تغليظ العقوبات على جرائم الفساد الاقتصادي، والمالي، من الغش والنصب، والاحتكار، واستغلال النفوذ، والمنصب، واغتصاب أموال الدولة، وأراضيها والعمولات، والرشاوى، إلى غير ذلك من صور الفساد، والإفساد.

وقد يكون الفساد أحيانًا حالة عرضية لبعض الأفراد السياسيين، أو الموظفين العموميين، أو مؤقتًا، وليس منتظمًا.

وفي حالات أخرى يكون الفساد موجودًا في مؤسسة بعينها، أو في قطاعات محددة للنشاط الاقتصادي دون غيرها من القطاعات الأخرى، وذلك كوجود بعض الموظفين الرسميين الفاسدين في بعض الوزارات، والقطاعات المختلفة.

ويكثر الفساد في القطاعات التي يسهل جني الرَّيْع منها، حيث يسود الضعف في النظام وتضعف الرقابة، والتنظيم في هذه القطاعات.

وفي أحيان أخرى يصبح الفساد ظاهرة يعاني منها المجتمع بكافة طبقاته، ومختلف معاملاته.

ويقول الأستاذ الدكتور عادل حميد يعقوب: "الفساد الاقتصادي من أخطر المشاكل التي تواجه بلدان العالم، حيث تقدر الخسائر الناتجة عنه سنويًّا على مستوى العالم بحوالي تريليون و600 مليار دولار، كما أنه المعوق الأساسي للنمو الاقتصادي والمعول الرئيسي للهدم.

وتتعدد أشكال الفساد من الرشوة واختلاس المال العام إلى غسيل الأموال والاتجار في المخدرات والتزوير واستغلال السلطة والمحسوبية، كما أنه يمتد إلى السرقة والنهب

بطرق ملتوية ومختلفة. هذا، ويشمل الفساد الجوانب الإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية، فضلًا عن الاقتصادية.

ومن أهم أسبابه الاستبداد السياسي والفكري وضعف المؤسسات وغموض القوانين المطبقة وتعارضها في كثير من الأحيان وكذلك تدني المستوى القيمي والأخلاقي للمجتمع وضعف الاقتصاد، فيكون المناخ العام مهيأ لانتشار الفساد، كما أن الفساد له جذور ضاربة وبقوة في الأعماق يصعب معها اقتلاعها، حتى ولو تم ذلك من خلال إطلاق صواريخ نووية عليها.

وأعتقد جازمًا أن أخطر ما في الفساد أنه يؤسس لقيام اقتصاد طفيلي يدمر الاقتصاد الحقيقي، إذْ إنه تعتمد رؤيته العلمية على الفهلوة وسوقه على الاحتكارات واستثماراته على المضاربات المحمومة.

فهو دائمًا ما يوجه دعمه للأغنياء ويعين قيادات شركاته ومؤسساته من الوصوليين وأصحاب الذمم الخربة.

وإذا كان الاقتصاد قد تطور من التقليدي إلى اقتصاد العقول، فإن الفساد أيضًا قد تطور وبسرعة أكبر من خلال الفساد الإلكتروني والرقمي.

ويلاحظ أن عددًا كبيرًا من البلدان العربية تقع وللأسف ضمن دول العالم الأكثر فسادًا وذلك طبقًا للمؤشر الذي تصدره منظمة الشفافية العالمية، حيث تقدر خسائر الدول العربية الناتجة عن الفساد سنويًّا بحوالي 400 مليار دولار، كما يقدر حجم غسيل الأموال بها بحوالي 25 مليار دولار سنويًّا.

كما تجب الإشارة إلى أن جميع تجارب دول العالم الاقتصادية الناجحة كان العامل المشترك والمؤثر فيها جميعًا مكافحة الفساد والإصلاح المؤسسي والشفافية والرقابة، وأخيرًا فإن عالمنا العربي وخاصة بلدانه التي تقبع في مؤشر الفساد تحتاج إلى تغيير وتجديد في الفكر لمحاربة الفساد، كما أنها تحتاج إلى تعاون ومساندة المؤسسات العربية والدولية ذات العلاقة.

وتحتاج أيضًا إلى دعم سياسي وقوي بضرب البنية التحتية والفوقية للفساد، والأهم من ذلك أننا نحتاج إلى الإخلاص في النوايا ما يصدقه من حسن العمل وجديته.

فالتقدم الاقتصادي قطار سريع الحركة لا يأخذ معه إلا المجتهد، أما النائم في ظلمات الفساد فعليه البقاء[1].

يُذكر أن منظَّمة الشفافية الدوليَّة أطلقت مؤشر مدركات الفساد سنة 1995 ليصبح أحد أهم إصدارات منظمة الشفافية الدولية وأبرز المؤشرات العالمية لتقييم انتشار الفساد في القطاع العام ويعطي المؤشر لمحة سنوية عن الدرجة النسبية لانتشار الفساد من خلال تصنيف البلدان في مختلف أنحاء العالم، والمؤشر بالدرجات كلما كان أقل إلى صفر كان المؤشر أقل فساد وهكذا.

قد يعجبك أيضًا مؤشِّر حرِّية التفكير

وفي هذا التقرير درست العلاقة بين الفساد، وحرِّية الصحافة، وحرية تكوين الجمعيَّات، وحرية التعبير، واستندت إلى إحصائيَّات صادرة عن لجنة حماية

(1) مرجع سابق، د. عادل حميد يعقوب، مقال اللصوص والذهب، 21 أغسطس 2016 - 3: 30.

الصحفيين، ومراسلون بلا حدود، ومشروع أنماط الديمقراطية، والمشروع العالمي للعدالة.

الدول العشر الأولى بالترتيب هي: نيوزيلاندا – الدانمارك – فنلندا – النرويج – سويسرا – سنغافورا – السويد – كندا – لوكسمبورغ – هولندا – المملكة المتحدة – ألمانيا – أستراليا

الدول العشر الأخيرة في الترتيب هي: غويانا – غينيا بيساو – كوريا الشمالية – ليبيا – السودان – اليمن – أفغانستان – سوريا – جنوب السودان – الصومال.

الدول العربية بالترتيب كما يلي:

21- الإمارات (الأولى).
29- قطر.
57- السعودية.
59- الأردن.
68- عُمان.
74- تونس.
81- المغرب.
85- الكويت.
112- الجزائر.
117- مصر.
122- جيبوتي.
143- موريتانيا.
143- لبنان.
165- اريتيريا.
169- العراق.
171- ليبيا.
175- السودان.
175- اليمن.
178- سوريا.
180- الصومال [1].

ومن الملاحظ أن الفساد في الدول العربية والإسلامية معدلاته أكثر، وهذا يرجع للعوامل السابقة التي ذكرناها، وتكلمنا كيف يكون الإصلاح، وترسيخ الأخلاق لإزالة هذا الفساد.

ولقد ارتكز النشاط الاقتصادي في النظام الإسلامي على مبادئ إنسانية، وأسس أخلاقية، وضوابط شرعية، تغرس في نفوس أتباعه الحرص على مزاولته، وإتقانه في الإطار الذي يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، ويكفل تصحيح المخالفات لجميع أنواع التصرفات الضرورية، والجماعية، جامعًا لكل من الجانبين

(1) خارطة مؤشر مدركات الفساد لعام 2018 الصادر عن منظمة الشفافية الدولية.

المادي، والروحي في وقت واحد، باعتبار أن الاهتمام بجانب دون الآخر يؤدي إلى خلل واضطراب في حياة الفرد، والمجتمع.

وتحقيقًا لهذه الغاية الفريدة، فقد وضع الإسلام للنشاط الاقتصادي آدابًا وقيمًا تهدف إلى ربطه بالأخلاق الحميدة، مما يحقق له الفاعلية الإيجابية، والحركة الصحيحة.

ومع وضوح هذه الحقيقة، ودعوة الإسلام الصريحة لها، فإن ما جنح إليه النشاط الاقتصادي في الوقت الحاضر من تجنب لها، وغفلة عنها جعل العلاقات الاقتصادية بين الناس تقوم على أسس نفعية مادية كما تتجه إلى تحقيق غايات فردية.

فزادت صور الغش: تتنوع صور الغش والخداع في مجال النشاط الاقتصادي، ومن أكثرها شيوعًا الكذب، وهو ضد الصدق، وقد حذر الإسلام من الكذب في البيع.

ويدخل في ذلك الحلف على البيع، فهو مكروه؛ لأنه قد يكون موصلًا لتغرير المتعاملين، كما يكون سببًا لزوال تعظيم اسم الله تعالى من القلب.

وعلى هذا فلا يصح الحلف على البيع، وإن كان يؤدي إلى بيع السلعة؛ لأنه يمحق البركة، ومن صور الغش في النشاط الاقتصادي كتمان العيب، وعدم إظهاره، فلا يحل لمن يبيع سلعة أن يكتم ما بها من عيوب للنهي عن ذلك، ومن صور الغش في البيع ما يكون من خداع المتعاملين، والتدليس عليهم فهو من أكل أموال الناس بالباطل، ويدخل في الغش نقصان الكيل والميزان، وبخسهما، لما يترتب عليه من ظلم، وأضرار للمتعاملين، وقد حذر الإسلام من ذلك، وأمر بالوفاء بالكيل، والميزان بالعدل، وأكل أموال الناس بالباطل، وذلك حرام.

كما اتجهت الاقتصاديات الوضعية إلى قصر عنايتها على الجانب المادي وحده، فأصبح الهدف الوحيد للنشاط الاقتصادي المعاصر دون مراعاة أو التفات للجوانب الأخرى كالقيم، والمبادئ الأخلاقية، فقد شاع التعامل بالأشياء المحرمة في مجال الأطعمة، والأشربة، والصناعات، وذلك ما يمنعه الإسلام، وتأباه شريعته التي لا تسمح أبدًا بأية صورة من صور الكسب الخبيث، كما أن في إجازة بيع المحرمات، والاتجار فيها يعتبر تنويهًا بتلك المعاصي، وتسهيلًا للناس في اتخاذها وتقريبًا لهم منها.

كل هذه الأمور السابق ذكرها كصور للفساد الاقتصادي ستنعدم بترسيخ القيم الأخلاقية، وتُصبح عدمًا، ولا ننسى النموذج الإسلامي القديم الذي كانت عليه الدولة الإسلامية في سابق عهدها حيث فُتحت أوروبا كلها بالتجارة، والصدق في التعامل، وحسن المعاملة، وهذا أكبر دليل على أهمية ترسيخ القيم الأخلاقية، وبخاصة في البعد عن خُلُق الفساد بكل أنواعه، ويعنينا الفساد الاقتصادي بالدرجة الأولى، وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لا يدخل السوق إلا فقيه (أي يعلم بأخلاق البيع والشراء)، وهذا ما نريده أن يعود مرة أخرى.

وبترسيخ البعد عن هذا الخُلُق الذميم سيكون لدينا صحوة اقتصادية هائلة، ولقد سبق ذكر كيف أن اليابان بصدق تعاملاتها، ووفائها بعهودها في تجارتها نالت الحظ الأوفر من السبق عالميًّا في التنمية الاقتصادية، وكتبنا في الفقه ذاخرة بالأخلاق في البيع والشراء، ولكن المسألة تحتاج إلى تعليم، «وإنما العلم بالتعلُّم، والفقه بالتفقُّه»[1]،

---

(1) أخرجه الطبراني (19/رقم: 929)، البخاري تعليقًا (25/1). قال ابن حجر في الفتح (161/1): إسناده حسن إلا أن فيه مبهمًا اعتضد بمجيئه من وجه آخر.

وترسيخ لهذه الأخلاق ثم العمل بها لنكون في المقدمة كما كانت الأمة الإسلامية في سابق عهدها.

ومن خلال ما تم عرضه في الصفحات السابقة نجد أن ترسيخ القيم الأخلاقية يعد من أهم العوامل التي تساعد على إنجاح التنمية الاقتصادية في أي دولة كانت، وإن كانت التنمية الاقتصادية ركيزتها الأساسية الإنتاج بكل ما يشمله من "عوامل للإنتاج".

نَلْحَظ أن ترسيخ القيم الأخلاقية قاسم مشترك في كل هذه العوامل؛ لتحقيق النجاح المنشود للعملية الإنتاجية، وبالتالي التنمية الاقتصادية، فعنصر العمل بما يتضمنه من الأيدي العاملة بدون ترسيخ القيم الأخلاقية لن يحقق الأمل المنشود، ويعتبر هباءً منثورًا، وعنصر رأس المال كذلك بدون ترسيخ القيم الأخلاقية سيكون الهادر منه كبير، وفي غير موضعه، وعنصر الأرض لن يتم استغلاله الاستغلال الأمثل بدون ترسيخ القيم الأخلاقية، وأيضًا عامل الوقت يعتبر في طريق الضياع والإهدار إن لم نرسخ القيم الأخلاقية.

ويمكننا القول وبدون مبالغة: إن ترسيخ القيم الأخلاقية ليس فقط قاسمًا مشتركًا بين هذه العوامل، ولكن أيضًا نستطيع أن نعتبره أهم هذه العوامل على الإطلاق، وأساس إنجاحها؛ بل ولن تتحقق التنمية الاقتصادية على الإطلاق لو تم توفير هذه العوامل السابقة، ولم نستطع أن نقوم بالعامل الأهم والرئيس في العملية الإنتاجية، وهو ترسيخ القيم الأخلاقية، فهو أساس البناء التنموي الاقتصادي، وهيكله.

ونحن لا نبالغ عندما نقول: إن ترسيخ القيم الأخلاقية هو القاعدة الأساسية التي بها يتم بناء أي اقتصاد ناجح، ولقد شاهدنا كيف أن اليابان كدولة من الدول العظمى المتقدمة اقتصاديًّا تهتم كل الاهتمام بالأخلاق في جميع مراحلها التعليمية، وخاصة من الصغر، فكانت النتيجة هذا النجاح، في حين أنها ليس لديها موارد، وخامات كافية لتساعدها على التنمية الاقتصادية.

لقد أصبحت اليابان بهذا العنصر البشري الذي لديه بعض القيم الأخلاقية التي ذكرناها دولة تتحرك في إطار التنمية الاقتصادية بخطوات ثابتة جعلتها من أقوى الدول الاقتصادية في العالم، وإن كانت الأمة الإسلامية هي بالأساس أمة أخلاق، إن صح التعبير، فأين نحن الآن من ترسيخ هذه القيم الأخلاقية؟! والتي يلزم أن يكون لها كل العناية على جميع المستويات دولةً وحكومةً وشعبًا؛ فكما يتم توجيه الاهتمام إلى كيفية توفير الماء، والطعام، والكساء لا بد من توجيه كل الاهتمام إلى ترسيخ الأخلاق؛ لأن في ذلك تصحيحًا لهيكل البناء الاقتصادي كله، وبهذا تستطيع الأمة الإسلامية الرجوع للقمة كسابق عهدها، وليس ذلك على الله بعزيز.

وبعد هذا العرض نخلص إلى النتائج الآتية:

1- لا نهوض للتنمية الاقتصادية إلا بترسيخ القيم الأخلاقية.

2- الاقتصاد الإسلامي أعمدته الأخــلاق أساسًا، وبناءً، ومعنًى، ولغةً.

3- التنمية الاقتصادية تزداد، وتنمو، وتتقدم بالأخلاق، ولو لدينا ندرة في الموارد.

4- السعي نحو التنمية الاقتصادية يبدأ من التعليم الأخلاقي للأطفال في سن الطفولة المبكرة.

5- التنمية الاقتصادية لن تتحقق، ولو لدينا وفرة في الموارد، لو لم نرسخ القيم الأخــلاقية.

6- ركـائز ترسـيخ القـيم الأخلاقيـة هـي الأسـرة، والمدرسـة، والجامعـة، والمسـجد، والإعلام والشـارع، ومراكـز التـدريب الخلُقية، ومراكـز الشـباب والرياضـة، ومراكـز محو الأمية الأخلاقية.

7- القرآن الكريم والسنة المطهرة، هما النبع الصافي الذي لا كدر فيه لترسيخ القيم الأخلاقية.

8- الفجوة بين الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه في الحياة العملية لن تنعدم إلا بترسيخ القيم الأخلاقية.

9- إن ترسيخ القيم الأخلاقية يُمثل القاعدة الأساسية التي بها يتم بناء أي اقتصاد ناجح.

وبعد هذا العرض نوصي بالتوصيات الآتية:

1- وضع أسس لترسيخ القيم الأخلاقية للأطفال منذ سن الطفولة المبكرة بشكل عملي.

2- إضافة مادة أساسية لكل المناهج الدراسية في المراحل التعليمية بعنوان القيم الأخلاقية.

3- تدريس مادة القيم الأخلاقية في كل الكليات، وبما يناسب أخلاقيات كل مهنة.

4- إضافة كلية جديدة للجامعات كلها باسم كلية الأخلاق لتخريج كوادر تُدرس هذا العلم.

5- وضع ضوابط للقائمين بالتدريس لهذا العلم مثل ضوابط الكليات العسكرية، ولكن خلقيًّا.

6- سن قوانين وتشريعات رادعة لعقاب مخالفي القيم الأخلاقية.

7- الاهتمام بالبحوث العلمية التي تُعنى بإنجاح ترسيخ القيم الأخلاقية عمليًّا.

8- القيام بعمل دورات لتطوير التنمية الاقتصادية من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية.

9- القيام بعمل دورات متخصصة في المؤسسات، والقطاعات الإنتاجية، والمصانع لترسيخ القيم الأخلاقية.

10- عمل جوائز تشجيعية على جميع المستويات العلمية والعملية للأحسن خُلقًا.

11- تغيير شكل شروط التعيين للوظائف، وجعلها لمن يجتاز أيضًا الاختبارات الخلُقية.

12- عمل إضافة للتعليم العالي بإعطاء دبلوم في القيم الأخلاقية.

13- معاهد محو الأمية للقراءة، والكتابة تُدَعَّم بمناهج لمحو الأمية الأخلاقية.

ثبت المصادر والمراجع

1- **إبطال الحيل**، لعبد الله عبيد الله بن محمد العكبري المعروف بابن بطَّة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ.

2- **الإجماع**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، مكتبة الفرقان – مكتبة مكة الثقافية، دولة الإمارات، ط2، 1420هـ/1999م.

3- **الأحكام الشرعية الكبرى**، لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط1، 1422هـ/2001م.

4- **أحكام القرآن**، لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.

5- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزَّالي، دار المعرفة، بيروت.

6- **الأدب المفرد**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ/1989م.

7- **الأزهية في علم الحروف**، لعلي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1391هـ/1971م.

8- **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي.

9- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، 1429هـ/2008م.

10- **أمراض القلوب وشفاؤها**، يليها التحفة العراقية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، ط3، 1402هـ.

11- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، د ت.

12- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

13- **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**؛ أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، موقع التفاسير، http: //www. altafsir. com.

14- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، لعلاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ/1986م.

15- **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، لأبي الحسن ابن القطان، تحقيق: د. الحسين آية سعيد، دار طيبة، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.

16- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.

17- **التبيان في أقسام القرآن**، لشمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
18- **التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)**، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.
19- **تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام**، للشيخ عبد العزيز بن باز، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط2، 1416هـ/1995م.
20- **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، للعِراقي وابن السبكي والزبيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود بِن محمد الحدَّاد، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط1، 1408هـ/1987م.
21- **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري**، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.
22- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت.
23- **تصحيح الفصيح وشرحه**، لعبد الله بن جعفر بن درستويه، تحقيق: د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1419هـ/1998م.
24- **التعريفات**، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.
25- **تفسير التستري**؛ أبي محمد سهل بن عبد الله التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ.
26- **تفسير حدائق الأرواح**، للشيخ محمد الأمين الأرمي العلوي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، **1421هـ/2001م**
27- **تفسير الرازي (مفاتح الغيب)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
28- **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.
29- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين**، لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م.
30- **التفسير الواضح**، للشيخ محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.
31- **التفسير الوسيط**، لشيخ الأزهر السابق محمد سيد الطنطاوي، د ت.

32- **تهذيب الأخلاق**، للجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، دار الصحابة للتراث.
33- **تهذيب سنن أبي داود (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود)**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض- دار ابن حزم، بيروت.
34- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.
35- **الثقات**، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط1، 1393هـ /1973م.
36- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، ط1، 1422هـ/2001م.
37- **جزء لوين**؛ أبي جعفر محمد بن سليمان الأسدي المصيصي، تحقيق: أبي عبد الرحمن مسعد السعدني، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.
38- **جمهرة اللغة**، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
39- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، المطبوع بهامش الشرح الكبير على مختصر خليل، أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير، دار الفكر.
40- **الخراج**، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد - سعد حسن محمد.
41- **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق : حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.
42- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر، ط1، 1424هـ/2003م.
43- **دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (شرح منتهى الإرادات)**، لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي، عالم الكتب، ط1، 1414هـ/1993م
44- **رد المحتار (حاشية ابن عابدين)**؛ محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المطبوع بهامش الدر المختار، لعلاء الدين الحصكفي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ/1992م.
45- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)**؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
46- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط3، 1412هـ/1991م.

47- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،** لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
48- **الزهد،** لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1386هـ.
49- **سلسلة الأحاديث الصحيحة،** لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
50- **سنن الدارقطني؛** أبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م.
51- **سنن ابن ماجه؛** أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
52- **سنن أبي داود؛** سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م.
53- **سنن الترمذي؛** أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م.
54- **السنن الصغرى،** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ/1986م.
55- **السنن الكبرى،** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، 1414هـ/1994م.
56- **السنن الكبرى،** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.
57- **الشافي في شرح مسند الشافعي،** لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: أحمد بن سليمان - أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ/2005م.
58- **شرح السنة،** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ/1983م.
59- **شرح تسهيل الفوائد،** لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد - د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ/1990م.
60- **شرح مختصر خليل،** لمحمد بن عبد الله الخرشي المالكي، دار الفكر للطباعة، بيروت.
61- **شعب الإيمان،** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
62- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،** المؤلف: لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر

المعاصـــر (بيـــروت - لبنـــان)، دار الفكـــر (دمشـــق - ســـوريا)، ط1، 1420هـ/1999م.
63- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط4، 1407هـ/1987م.
64- **صحيح ابن حبان،** تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/1993م.
65- **صحيح ابن خزيمة؛** أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور ماهر الفحل، دار الميمان، الرياض، ط1، 1430هـ/2009م.
66- **صحيح البخاري؛** أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تشرف بخدمته والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د ت.
67- **صحيح مسلم؛** مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
68- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية،** لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1405هـ/1985م.
69- **العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،** للأستاذ عبد الحميد بن باديس، رواية وتعليق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1995م.
70- **عون المعبود شرح سنن أبي داود،** لأبي عبد الرحمن العظيم آبادي، وبهامشه: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
71- **العين،** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.
72- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
73- **فتح القدير،** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، تحقيق: دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.
74- **الفقه الإسلامي وأدلته،** للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط12.
75- **القاموس المحيط،** لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م.
76- **كشاف القناع عن متن الاقناع،** لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل السعودية، وزارة العدل السعودية، ط1، 1421هـ/2000م.

77- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
78- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،** للمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ/1981م.
79- **لسان العرب،** لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
80- **اللغة العربية وكيف ننهض بها نطقًا وكتابة،** تأليف: د. أسامة الألفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م.
81- **المبسوط،** لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م.
82- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ/1994م.
83- **المجموع شرح المهذب،** لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، مع تكملة تقي الدين السُّبكي ومحمد نجيب المطيعي، دار الفكر.
84- **مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز،** أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
85- **محاسن التأويل،** لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
86- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)؛** أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
87- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،** للملا علي بن سلطان القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2002م.
88- **المستدرك على الصحيحين،** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م.
89- **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني،** مؤسسة قرطبة.
90- **مسند البزار (البحر الزخار)،** لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، بدأت 1988م، وانتهت 2009م.
91- **مسند الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه،** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط1، 1430هـ/2009م.
92- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار،** للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة، دار التراث.

93- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403هـ.
94- المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة الفرقان، ط1، 1427هـ/2006م.
95- المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة الفرقان، ط1، 1427هـ/2006م.
96- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من المكتب الإسلامي – بيروت، ط2، 1403هـ.
97- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد السيوطي الرحيباني، المكتب الإسلامي، ط2، 1415هـ/1994م.
98- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ/1997م.
99- معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ/1932م.
100- معجم الصحابة، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1421هـ/2000م.
101- المعجم الصغير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي - دار عمار، بيروت - عمان، ط1، 1405هـ/1985م.
102- معجم الصواب اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.
103- المعجم الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ/1983م.
104- معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م.
105- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، دار الدعوة.
106- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
107- المغني، لموفق الدين عبد الله بن أحمد، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط3، 1417هـ/1997م.
108- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.

109- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
110- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
111- منازل السائرين، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت.
112- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1332هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2).
113- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم)، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
114- الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، ط1، 1425هـ/2004م.
115- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ/1963م.
116- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ/1984م.
117- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
118- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.
119- نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ/1993م
120- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد حاج، دار القلم- دار الشامية، جدة، السعودية، ط1، 1416هـ/1996م.
121- وجوه القرآن، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري، تحقيق: د. نجف عرشي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط1، 1422هـ.
122- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية، ط1، 1427هـ/2006م.

123- **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، لهارون بن موسى، تحقيق: د. حاتم الضامن، سلسلة خزانة دار صدام للمخطوطات، دار الحرية، بغداد، 1409هـ/1988م.
124- **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها**، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، دراسة وتحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، سوريا، ط1، 1419هـ/1998م.

المراجع الاقتصادية:

1- **د/إبراهيم شحاتة**، وصيتي لبلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م.
2- **أحمد مازن الشقيري**، خواطر 3 من اليابان، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1430هـ، الطبعة الأولى، رقم الإيداع 1430/5965هـ.
3- **د/ أمين توكوماسو**، رئيس جمعية مسلمي اليابان، حوارات، مجلة الاقتصاد الإسلامي، القاهرة.
4- **د/أمين مصطفى عبد الله**، أصول الاقتصاد الإسلامي ونظرية التوازن الاقتصادي في الإسلام، دار الكتب، 1404هـ - 1984م، الطبعة الأولى.
5- **د/حسن عباس زكي** – مجلة الاقتصاد الإسلامي – دبي – العدد الأول 1982م.
6- **حسن محمد ماشا**، رؤية الإسلام لحل المشكلة الاقتصادية، مجلة كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، الخرطوم، السودان، العدد الأول 2008م.
7- **د/ خليل حسن**، مقال بعنوان "الأخلاق سر نجاح التجربة اليابانية"، جريدة إيلاف الإلكترونية، من مفكرة سفير عربي في اليابان.
8- **ديفيد ب. رزنيك**، ترجمة: د/ عبد النور عبد المنعم مراجعة أ.د /يمنى طريف الخولي، أخلاقيات العلم، عالم المعرفة، 2005م.
9- **د/رفعت السيد العوضي:**
1- النظام المالي في الإسلام، الإسراء للطباعة.
2- الوسطية الاقتصادية في الإسلام، كتاب جامعي، كلية التجارة، جامعة الأزهر.
10- **د/رمضان صديق**، الدين وأثره في التنمية الاقتصادية، دار الكتب.
11- **د/سامية عبد الرحمن عبد السلام:** القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1992م.
12- **د/سلافة محمد إبراهيم**، العلوم السلوكية، كلية التجارة، التعليم المفتوح، القاهرة، كتاب جامعي.
13- **شذا جمال**، سلسلة دراسات إستراتيجية: الأزمة المالية والنقدية في دول جنوب شرقي آسيا (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية)، ط1، 2001م.
14- **د/شعبان فهمي عبد العزيز**، مقدمة في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة، دار أبو المجد للطباعة، كتاب جامعي.

15- **د/صديق محمد عفيفي،** التربية الخلقية في المدرسة المصرية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، رقم الإيداع بدار الكتب 13484.
16- **د/ عادل حميد يعقوب،** جريدة لوسيل الاقتصادية، أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة (جامعة الأزهر)، ومستشار جامعة الملك خالـــد بالمملكة العربية السعـودية.
17- **د/عبد الباسط وفا،** التنمية الاقتصادية، القاهرة، دار النهضة العربية 2009م.
18- **د/ عبد اللطيف محمد خليفة،** ارتقاء القيم – عالم المعرفة، رقم 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب – الكويت، إبريل، 1992م.
19- **د/ عبد الله محمد عبد الله،** مستشار سابق بمحكمتي التمييز والدستورية بدولة الكويت، غسيل الأموال وبيان حكمه في الفقه الإسلامي والنظم المعاصرة، مقدم للمؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، محرم 1424هـ- مارس2003م، بجامعة أم القرى- مكة المكرمة.
20- **د/عبد المنعم محمد،** الاقتصاد الإسلامي: النظام والسكان والرفاه والزكاة (جدة: دار البيان العربي، طبعة 1، 1405هـ-1985م).
21- **د/علاء علي زين الدين،** مختارات في الفكر والثقافة اليابانية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم اللغة اليابانية، كتاب جامعي، 2004م.
22- **د/عمر الأشقر،** مجلة الاقتصاد الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة، دبي، إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية ، مجلد 3، العدد 28، ربيع الأول 1404هـ، 1983م.
23- **د/غازي حسين:**
- التضخم المالي (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة)، (1405هـ-1985م).
- تمويل التنمية الاقتصادية بالتضخم المالي (بيروت: دار الجيل، طبعة 1، 1411هـ-1991م).
24- **د/فاطمة عمر نصيف،** "أخلاقنا في الميزان"، دار المحمدي، جدة، ط الأولى، 1422هـ.
25- **د/فوزي درويش،** اليابان الدولة الحديثة والدور الأمريكي، الطبعة الثالثة، 1994م، دار الكتب المصرية.
26- **محمد باقر الصدر،** اقتصادنا، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، القاهرة، 1977م.
27- **د/ محمد شوقي الفنجري،** المدخل في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1972م.
28- **د/محمد عبد القادر حاتم،** أسرار تقدم اليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية 1997م، رقم الإيداع بدار الكتب 13384.
29- **د/محمد عبد الكريم أحمد،** القيم الخلقية بين المنهج الوضعي والمنهج المعياري، دراسة تحليلية مقارنة (رسالة دكتوراه)، إشراف: د. حامد طاهر، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، 1426هـ2005م.

30- **د/محمد عبد الله العربي،** محاضرة في الاقتصاد الإسلامي، ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، الموسم الثقافي الثاني للمحاضرات العامة.
31- **مختار الجوهري،** "بلاد الشمس المشرقة" القصة الحقيقية لليابان، القاهرة، دار المعارف.
32- **مضر نزار،** أحكام تغير قيمة العملة النقدية وأثرها في تسديد القرض (عمّان: دار النفائس للطباعة والنشر، ط1، 2000م).
33- **د. مقداد يالجن،** التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م.
34- **ناصر بن علي عائض حسن الشيخ،** عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2000م.
35- **د/نصر عارف،** مفهوم التنمية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.
36- **د/يسري محمد أبو العلا،** علم الاقتصاد، القاهرة، دار النهضة العربية.
37- **د/يوسف القرضاوي،** دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة.
38- **موقع وزارة الأوقاف المصرية،** فتاوى الأزهر، التعامل مع البنوك http: //www. islamic-council. com.

فهرس الموضوعات

توطئة..6
مقدمة...7
مبحث تمهيدي..10
دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي...11
الفصل الأول: ماهية القيم الأخلاقية.. 28
المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم..29
المبحث الثاني: الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة.............................. 36
المبحث الثالث: الأخلاق الذميمة التي حذرنا منها القرآن والسنة.................. 63
الفصل الثاني: التنمية الاقتصادية والقيم الأخلاقية.............................. 92
المبحث الأول: مفهوم التنمية والاقتصاد في القرآن الكريم.........................93
المبحث الثاني: ركائز التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم..................... 106
المبحث الثالث: القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية...119
الفصل الثالث:ترسيخ القيم الأخلاقية وأثره على التنمية الاقتصادية...153
المبحث الأول: مفهوم ترسيخ القيم الأخلاقية.................................. 155
المبحث الثاني: ركائز ترسيخ القيم الأخلاقية....................................165
المبحث الثالث: أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية...179
الفصل الرابع: التجربة الأخلاقية اليابانية..181
النتائج...211
التوصيات...211
ثبت المصادر والمراجع.. 212

بين يدي الكتاب

هذا الكتاب يتناول القضايا الآتية:

- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.
- ماهية القيم الأخلاقية ومفهومها.
- الأخلاق الحسنة في القرآن والسنة، والأخلاق الذميمة التي حذَّرانا منها.
- مفهوم التنمية والاقتصاد في القرآن الكريم.
- ركائز التنمية الاقتصادية في القرآن الكريم.
- القيم الأخلاقية أساس التنمية الاقتصادية.
- عرض لمحاور محددة في الجانب الأخلاقي، مثل التعامل بالربا، والغش، وغيرها من الأخلاق التي كانت سببًا في التخلف الاقتصادي.
- ترسيخ القيم الأخلاقية وأثره على التنمية الاقتصادية.
- أثر ترسيخ القيم الأخلاقية على التنمية الاقتصادية متخذًا التجربة الأخلاقية اليابانية نموذجًا تطبيقيًّا.